

سلسلة محاورات أفلاطون
مترجمة عن النص اليوناني

محاكمة سقراط

(محاورات " أوطيفرون " ، " الدفاع " ، " أقريطون ")

ترجمة وتقديم

دكتور عزت قرنى





أفلاطون

محاكمة سقراط

(محاورات، "أوطيفرون"، "الدفاع"، "أقريطون")



سلسلة
محاورات أفلاطون
مترجمة عن النص اليوناني
(٢)

أفلاطون

محاكمة سقراط

(محاورات "أوطيفرون" ، "الدفاع" ، "أقريطون")

ترجمها عن النص اليونانى مع مقدمات وشروح
د. عزت قرنى
دكتوراه الدولة فى الآداب من السربون

الطبعة الثانية
معدّلة ومنقحة
٢٠٠١

الناشـــر
دار قبـــاء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)
عبده غريب

الكتـــاب : أفلاطون . محاكمة سقراط
تأليــف : عـزت قـرنى
رقم الإيـداع : ٢٠٠١/٢٥٩٨
الترقيم الدولى : ISBN
977 - 303 - 329 - 5
تاريخ النشر : ٢٠٠١ الطبعة الثانية
النـاشـــر : دار قباء
للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة :
٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون
الدور الأول - شقة ٦
☎ ٦٣٦٢٥٦٢ — فاكس/ ٦٣٧٤٠٢٨

المكتبـة :
١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)
☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ ١٢٢ (الفجالة)

المطابـع :
مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية (C1)
☎ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

www. alinkya.com/kebaa
e-mail: qabaa@naseej.com
kebaa@ajeeb.com

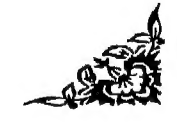


إهـــداء

إلـى المعهـد الـذى كـان لـه علىّ أعظـم الفضـل
والذى تعلمت فيه أهم ما تعلمت وفى رحابه وفيما
حولــه قضـيت أجمـل لحظـات الشـباب المـبكر
وأكثرها تأثيراً

إلى المكتبة العامة لجامعة القاهرة
أهدى هذا الكتاب ثمرة بعض ما غرست

ع . ق





تقديم الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب فى عام ١٩٧٣م، وقد لاقى ترحابا قويا من طلاب مقررات الفلسفة اليونانية ومن الجمهور القارئ، ليس فى مصر وحسب، بل وكذلك فى المغرب والشمال الإفريقى عامة، وفى الشام واليمن وكثير من بلاد الخليج العربى. ولهذا، فقد حان الوقت لإصدار هذه الطبعة الجديدة، وهى إن تماثلت تماما فى محتواها مع الطبعة الأولى، إلا أننا بذلنا قصارى الجهد من أجل تصويب بعض الأخطاء المطبعية التى شابت الإصدار الأول، كما قمنا بعمل بعض التعديلات الأسلوبية والطباعية وغيرهما.

ونأمل أن تنال هذه الطبعة الثانية نجاحا أوسع وأكبر مما نالته سابقتها.

عزت قرنى

فى الأول من سبتمبر عام ٢٠٠٠م



تقديم عام

يدعي الغرب أن الفلسفة واحدة، ويزعم أن فلسفته امتداد لفلسفة اليونان. لهذا كثيرا ما نرى[1] اليوم عظماءه في هذا الميدان ينقبون في عبارة لأرسطو أو يحفرون تحت كلمة لأفلاطون، أعمق فلاسفة اليونان في نظر معظمهم. ولكن أرسطو لا يفهم ولا يمكن تصور أفلاطون بدون سقراط، مؤسس الدرب الذي سارت عليه فلسفتهما. ومنبع تأثير سقراط هو إعدامه. لهذا كانت معرفتنا بلحظة محاكمته وسيلة لأن نضع أيدينا على لحظة فاصلة من لحظات الفلسفة اليونانية والفلسفة الغربية بالتالي بحسب ما تدعي.

ونحن نقدم في هذا الكتاب الصورة التي تركها أفلاطون عن محاكمة سقراط. ونعرف أن هناك صوراً أخرى عنها، أخصها بالذكر صورة إكسينوفون في مؤلفاته: "المذكرات" و "الدفاع" و "المأدبة"، ولكنا لن نعرض لها هنا، وسنعود إليها في كتاب عام عن "سقراط" نتناول فيه بالدراسة شهادة أفلاطون وإكسينوفون وغيرهما لنحاول الوصول إلى صورة عن سقراط التاريخي نفسه شخصاً وفكراً. ولكن هناك حقيقة قائمة: سقراط لم يؤثر في تاريخ الفلسفة إلا عبر أفلاطون، وأهم المحاورات التي عرض فيها أفلاطون لسقراط التاريخي هي المحاورات التي نقدمها اليوم هنا: "أوطيفرون" و "الدفاع" و "أقريطون"، وهناك غيرها لا شك، ومنها "فيدون" و"المأدبة"، ولكن هاتين المحاورتين الأخيرتين تعرضان فكر أفلاطون أولا وقبل كل شيء، وإن كانتا تشيران بشكل أو بآخر إلى بعض لحظات سقراط.

ويمكن أن نقول إن الاحتمال كبيرا جداً أن تكون هذه الترجمة هي أول ترجمة كاملة لهذه المحاورات إلى اللغة العربية من النص اليوناني مباشرة. فهناك مقتطفات من بعض المحاورات كانت معروفة عند المسلمين القدماء، ولكنها نقلت على أغلب احتمال عن مصدر متوسط، على الأخص عن اللغة السريانية. وقد ظهر حديثا (عام ١٩٣٥ ميلادية) ترجمة عن الإنجليزية[2]، ولكنها بعيدة كثيراً عن

---

(١) قارن مقدمة ترجمتنا لكتاب "الطبيعة والإغريق"، من تأليف إرفين شرودنجر، مجموعة الألف كتاب، القاهرة، دار النهضة العربية (١٩٦٢م).

(٢) "محاورات أفلاطون"، عربها عن الإنجليزية زكي نجيب محمود، ١٩٣٥م.

الدقة حينما لا تكون مخطئة صراحة، كما يمكن للقارئ أن يتبين بنفسه بمقارنتها مع ترجمتنا، أو، وهو الأفضل، مع الأصل اليونانى[٣].

أما عن خصائص هذه الترجمة، فإننا لن نكرر ما قلناه فى تقديم ترجمتنا لمحاورة "فيدون"، فما قيل هناك ينطبق على هذه الترجمة كذلك. ونكرر هنا فقط أننا اتبعنا النص الذى نشره جون بيرنت (J. Burnet) للمحاورات الأفلاطونية فى طبعة أكسفورد، وترقيمنا للسطور هو بحسبه أيضاً. وقد وضعنا بين أقواس مربعة أرقام الصفحات الأصلية وفقراتها التى يجدها القارئ فى المراجع العلمية. وكانت كل صفحة قد قسمت إلى خمس فقرات: أ ، ب ، جـ، د، هـ، وفى كل فقرة ما يقرب من عشرة سطور (ثمانية فى العادة). وهكذا فإذا وجدنا إشارة إلى ٣٥ جـ، فمعنى هذا أن يرجع القارئ إلى الصفحة ٣٥ من الترقيم الأصلى للمحاورة، وإلى الفقرة جـ منها، وأحيانا ما يُحدد السطر المطلوب الرجوع إليه فى تلك الفقرة، فيكون المرجع هكذا: ٣٥ جـ٣. هذا، وقد كتبنا الكلمات اليونانية بالحروف اللاتينية على النحو المشار إليه فى تقديمنا "لفيدون".

(٣) راجع حول هذا كله تقديمنا لترجمة "فيدون".

محاورة " أوطيفرون "

مقدمة " أوطيفرون"

وضع هذه المحاورة فى البدء قبل "الدفاع" و"أقريطون" أمر يستحق لذاته التعليق، لأنه يكشف منذ اللحظة الأولى عن المشكلة الرئيسية فى معرفتنا بسقراط وعن جانب ذى أهمية فى الإنتاج الأفلاطونى: ذلك أن "سقراط" هو إحدى شخصيتى هذه المحاورة التى تتحدث عن لحظة حاسمة من لحظات سقراط التاريخى. ولكنها فى الوقت نفسه من تأليف أفلاطون، فهى إذن لحظة من لحظات التطور العقلى لهذا المؤلف. ولو كان هدفنا هو وضع هذه المحاورات فى ترتيب ما باعتبارها بعض مؤلفات أفلاطون، وبحثنا أن يكون هذا الترتيب زمنيا (أى كاشفاً عن صلة القبل والبعد النسبيين بين كل منها والأخريين) ومذهبيا (أى كاشفا عن ظهور الاتجاهات الأفلاطونية فى تميزها عن الاتجاهات التى يمكن أن ننسبها إلى سقراط)، إذن لوضعناها بلا تردد على هذا النحو: "الدفاع" ثم "أقريطون" وفى النهاية "أوطيفرون". ولكنا ننظر إليها هنا باعتبارها مؤلفات تخبر عن بعض جوانب حياة سقراط وشخصيته وتفلسفه أولا، ثم باعتبارها مؤلفات أفلاطونية بعد ذلك. ولهذا، فقد وضعنا فى مقدمتها محاورة "أوطيفرون" التى تتحدث عن سقراط قبل المحاكمة، ثم "الدفاع" و"أقريطون" اللتين تتحدثان عنه أثناء وبعد المحاكمة على الترتيب. هذا إذن هو الاعتبار الذى جعلنا نأخذ بهذا النظام، وهو، كما يتضح، مختلف كثيراً عن الدواعى التى جعلت بعض الناشرين والمؤلفين(بيرنت وتايلور، Burnet , Taylor) الذين يعتقدون أن كل ما يجىء على لسان سقراط فى محاورات أفلاطون فإنما هو لسقراط التاريخى فعلا، يعتبرون أن ترتيب: "أوطيفرون"، "الدفاع"، "أقريطون"، هو ترتيب زمنى ومذهبى معا، لأن موضع الاعتبار عندهم إنما هو سقراط وحده، وبالتالى فإن كل ترتيب زمنى يكون بالضرورة ترتيباً مذهبيا كذلك، حيث إنه لا يعقل، فى نطاق فرضهم ذاك، أن يذهب سقراط فى "أوطيفرون" مذهبا يمكن أن يعتبر "متقدما" على شىء قال به فى "الدفاع"، هذا على حين أن اللحظة التاريخية للمحاورة الأولى "سابقة" على الثانية. ولكننا لا نأخذ بهذا الفرض، وهناك شبه إجماع على هذا الآن بين الباحثين، ولذلك فإن الترتيب الزمنى بحسب وقت المحاورة لا يعكس بالضرورة الترتيب المذهبى، حيث إن مرجع الترتيب فى النظرة الأولى هو حياة سقراط، أما مرجع الترتيب فى

النظرة الثانية فهو مذهب أفلاطون. وهكذا فإننا سننظر إلى "أوطيفرون" نظرتين: نظرة تاريخية باعتبارها تخبر عن حياة سقراط، ونظرة فلسفية باعتبارها من إنتاج أفلاطون، ولعلنا نجد فيها إشارات إلى بعض اتجاهات سقراط.

الجانب التاريخى:

ولنبدأ أولا بلحظة الحوار بين سقراط وأوطيفرون. والسطور الأولى من الحوار تحدد هذه اللحظة تحديداً مكانيا، إن أمكن هذا القول: فالرجلان يلتقيان أمام مقر "الحاكم – الملك" المختص بشئون القضايا الدينية على الخصوص(١). ولكننا نعرف من محاورة "الدفاع" (١٧د) أن سقراط لم يكن له شأن مع المحاكم خلال سنوات عمره السبعين جميعها، فنعرف من هذا، ومما يقوله سقراط نفسه فى محاورتنا عن السبب الذى أتى به إلى هذا المكان، أن وقت الحوار يسبق بقليل محاكمة سقراط. والانطباع الذى يخرج به القارئ للسطور الأولى أن ذلك الوقت يمكن أن يكون سابقا مباشرة على لحظة "الدفاع"، ولكن يبدو أنه يجب تقديم وقت الحوار على لحظة المحاكمة ذاتها بأيام ربما كانت كثيرة. والدليل على هذا هو محاورتنا نفسها التى تبرر الحديث بين سقراط وأوطيفرون فى موضوع التقوى بحاجة سقراط إلى علم رجل الدين حتى يستفيد منه ويستخدمه، إن تطلب الأمر، فيما قد يجرى بينه وبين رافع الادعاء عليه، مليتوس، من "عروض" (٥ أ). وكان القانون الأثينى يسمح بالتباحث بين الأطراف المتقاضية قبل عرض القضية وأثناء النظر فيها. بل إن سقراط يشير إلى إمكان أن ينجح فى إقناع مليتوس بالتنازل عن دعواه (ولكنه إمكان لا يذكره إلا ليستبعده). فكل هذا يشير إلى أنه لا يزال بيننا وبين لحظة المحاكمة وقت، ووقت طويل نسبيا. وما الذى جاء بسقراط إلى "رواق "الملك"؟ لاشك انه أتى لمقابلة صاحب هذه الوظيفة لأمر يتعلق بالادعاء، وربما كان ذلك حتى يُبلغ بها رسميا أو لإحاطته علما بالإجراءات التى ستتبع.

ولكننا نعرف على وجه التفصيل السبب الذى جعل أوطيفرون يأتى إلى هناك. لقد جاء متهما، ومتهما لأبيه نفسه بالقتل، فيصيح سقراط تعجبا، وتزداد دهشته حينما يعلم أن الابن يتهم أباه ليس بقتل واحد من الأقرباء، بل بقتل أحد العبيد. فقد

(١) حول هذه الشخصية، انظر هامش (٢) على النص.

أسرف هذا العبد، الذى كان يعمل مزارعا عند أوطيفرون، فى الشراب ذات مرة حتى أنه، وقد تعارك مع أحد الخدم، قطع رقبة هذا الأخير، فأمر والد أوطيفرون به أن يقيد وبأن يقذف فى حفرة، ثم بعث إلى أثينا (حيث إن الحادث وقع فى جزيرة ناكسوس فى بحر إيجه، الواقعة جنوب جزيرة ديلوس المشهورة) يطلب فتوى المفسرين الدينيين فيما عليه أن يفعله، وترك العبد فى حفرته فأجهز عليه القيد مع الجوع والعطش والبرد قبل أن يأتى رسول الأب بالفتوى. ويجب أن نتوقف قليلا أمام الأمر لنتفحص وجهتى نظر كل من سقراط (وأفلاطون معه) وأوطيفرون. فسقراط عندما يعلم أن المنجِّم (فهذه مهنة أوطيفرون) يتهم أباه بالقتل، يظن لأول وهلة أن المقتول لا شك أحد أقربائه، لأنه من غير المعقول أن يرفع إتهامه ضد أبيه "بسبب أحد الغرباء"، أى بسبب شخص من غير الأقرباء. ويمر المقدسون لسقراط وأفلاطون، وهم الكثرة الغالبة من الباحثين، مر الكرام على هذه الكلمات وكأنها لا تعكس موقف سقراط "المحافظ"، أو موقف أفلاطون إن شئت. والجدير بالذكر أن أفلاطون نفسه يهتم بإيراد رد أوطيفرون، وسنعرض له بعد لحظات. ولكن دهشة سقراط واستغرابه يزدادان عندما يعلم أن القتيل لا هو بالقريب ولا هو بالغريب، بل هو مجرد عبد من العبيد. وإذا كانت دهشة سقراط تعكس موقف أفلاطون المؤيد لنظام العبيد، فإن أفلاطون نفسه ما كان ليرى فى هذه الدهشة شيئا غير طبيعى، إنما كان مقصده منها إبراز هذه التناقض الحاد بين اتهام أقرب درجات القرابة، وهو الأب، من أجل أبعد درجات الارتباطات الإنسانية، وهو العبد العامل. ونحن بهذا نوضع أمام موقف متطرف يسمح لسقراط أن يقول لأوطيفرون: فلابد إذن أن تكون عالما كل العلم بأمور الدين والعلم والتقوى حتى تهاجم أباك من أجل عبد، وحتى لا تخشى أن يكون عملك هذا معارضا للتقوى الواجبة علينا بإزاء الآباء (٤أ – ب، هـ). وهذا ما يؤدى إلى بدء الحديث عن تعريف هذه الفضيلة. ونعود إلى موقف أوطيفرون.

يشعر أوطيفرون، أولا، أنه مسئول عن ذلك العبد لأنه كان فيما يبدو ملكه، رغم أن المزرعة كانت فيما يظهر من كلامه تستغل باسم الأسرة كلها، حيث إنه يستخدم أكثر من مرة تعبير "نحن". وهو، ثانيا، لا يفرق بين قتل عبد أو غريب، أو قتل حر أو قريب، ويقول قولا كان يمكن أن يكون جديراً بأفلاطون نفسه: "هناك شيء واحد فقط يجب الالتفات إليه: ألا وهو إن كان القاتل قد قتل عدلا أم ظلما"

(٤ب). وهو لهذا لا يفرق بين أن يكون القاتل أباه أو غيره، فهو لا يرى فى أبيه غير القاتل. والغالب أن الدافع لأوطيفرون على اتخاذ هذا الموقف دافع دينى. فهو يرى أنك إن عرفت جرما وعرفت مرتبكه ولم تتابعه بطلب العقاب، فإن "الدنس" يلحق بك. ومن جهة أخرى، فإن تطهيرك وتطهيره معا لا يكون إلا بتقديمه إلى المحاكمة. وقد ثارت على أوطيفرون أسرته، ليس فقط لأنه يهاجم أباه، وهو أمر ليس من التقوى فى شىء، بل وكذلك لأن القتيل، وهو مجرد عبد، كان هو نفسه فوق هذا قاتلا. كذلك فإن الأب لم يقتله متعمداً. ويعلق أوطيفرون على هذا: "إنهم يعرفون معرفة سيئة، يا سقراط، حكم الآلهة فيما هو تقوى وفيما ليس بتقوى"، مفترضا هكذا أنه هو الذى يعرفه، وعلى هذا الأساس سلك سلوكه ذاك. وقد تساءل الباحثون عن هذه الحالة الشاذة، وهل اختلقها أفلاطون اختلاقا، أم أنها حدثت بالفعل. ونحن نميل مع الكثيرين إلى اعتبار أن شذوذها فى حد ذاته يمكن أن يكون دليل تاريخيتها، فما كان أفلاطون ليلجأ إلى اختلاق مثل هذه القضية ليقدم بها محاورة عن التقوى لو لم تكن حدثت بالفعل. فقد كان يكفيه أن يقدم للحوار بالحديث عن محاكمة سقراط أو أن يدخل إلى الموضوع مباشرة كما فعل أحيانا (انظر مثلا فاتحة محاورة "مينون"). ومن جهة أخرى فإن شخصية أوطيفرون كما يرسمها أفلاطون تتلاءم تماما مع سلوك مثل هذا، ونتحدث الآن عنها.

نحن لا نعرف شخصية تاريخية بهذا الاسم، فهل اخترعها أفلاطون اختراعا؟ ليس هناك ما يمنع من ذلك. فأفلاطون الأديب قادر على هذا، وقد أظهر قدرته هذه فى حالات أخرى (مثلا شخصية كاليكليس فى محاورة "جورجياس"). ولكننا نميل إلى وجود شخص تاريخى بهذا الاسم، بسبب الاعتبارات التى تحدثنا عنها بخصوص تاريخية القضية. ويزداد هذا الموقف قوة إذا اعتبرنا أن أوطيفرون هو نفس الشخص الذى يتحدث عنه أفلاطون فى محاورة "أقراطيلوس"، حيث يصفه بأنه "شخص موحى إليه"، ويقول سقراط فى تلك المحاورة إنه كان مع أوطيفرون كل الصباح وظل طوال الوقت منصتا له وهو يتكلم عارضاً علمه "الإلهى" (٣٩٦ د). وهذه الخصائص تنطبق على رجلنا، وخاصة منها حبه لعرض علمه وسهولة عنده فى الكلام. ونلاحظ أن سقراط فى محاورتنا يدفعه دفعا لطيفا عن الاستطراد فى الحديث عن معارك الآلهة التى يعرف عنها الكثير، والتى سيندهش سقراط عند سماعها، ويقول له: ستحكيها لى مرة أخرى! لهذا فلا سبيل لنا إلى معرفة الشخص

التاريخى إلا عن طريق أفلاطون، وما دام الأمر كذلك، فإنه يتساوى أن تكون صورته من خلق أفلاطون أو رسما للواقع.

وشخصية أوطيفرون من أطرف شخصيات محاورات أفلاطون فى رأينا. وقد نجح الكاتب فى رسمها، حتى لكأنها تحيى وتتحرك، بل إنها لقادرة على أن تقضى مع القارئ بعض الوقت بعد فراغه من قراءة المحاورة، لشدة حيويتها واتساقها وتفردها. ومن الواضح أن أفلاطون قصد أن يسخر من أوطيفرون، ويستمر كثير من العارضين للمحاورة حتى الآن على السخرية من هذه الفريسة. وفى الرجل لاشك سمات كثيرة تبعث على السخرية منه: فهو مغرور بعلمه الإلهى ("لن أساوى شيئا يا سقراط، ولن يكون هناك أى فرق بين أوطيفرون والعامة من الناس، إن لم أكن أعرف كل أمور الدين والآلهة معرفة دقيقة"، ٤هـ - ٥أ، وانظر كذلك ٦د، هـ، ٨ب، ٩ب، هـ)، ويعتبر نفسه من زمرة سقراط، أى من زمرة "العلماء" (٣جـ)، وأن العامة تحسده على علمه. ورغم غروره ذاك فإن أفلاطون يلمح إلى أنه مجهول مغمور (٥جـ)، لا يكاد أحد ينتبه إليه. وسقراط يسخر منه طوال الوقت (انظر على الخصوص صفحات ٣-٥، ٩، ١٤-١٥ من المحاورة)، ولكنه نادراً ما ينتبه إلى هذه السخرية، بل هو يحملها على محمل الثناء أو يأخذها على مأخذ الجد. وهو مقتنع بما يعتقد ولا يرغب فى تغييره، ولو توقف الأمر عليه وحده، إذن لما تحركت آراؤه قيد أنملة (١١ د). ورغم هذا، فإن فى شخصيته جوانب قد تحسب له لا عليه. من ذلك مثلا انه يعى أن الناس تعتبره "كالمجنون"، وأنهم يضحكون منه ولا ينصتون إلى حديثه، ويعرف أن فعلته التى جاء بشأنها إلى "الحاكم - الملك" فعلة كبيرة، وأن الناس ستعتبر بسببها أنه فقد عقله. ورغم هذا، وربما بسبب هذا، فإنه لا يخشى الجمهور ولا أى اتهام، ويبدى استعداده عن طيب خاطر، أو عن سذاجة، لأن يتحمل، مكان سقراط، ادعاءً يرفعه عليه مليتوس، وسيعرف هو كيف يدير الاتهام ليجعله يقع على مليتوس. وهو يدرك أن الجماهير سهلة التأثر بالاتهامات الدينية، ويقف من سقراط موقفا متعاطفا كل التعاطف، ويعرض عليه، كما رأينا، مساعدته. وهو يعرف فضل سقراط ومكانته (٣أ ، جـ)، ويعرف بعض ما يميزه (٣ب)، ويقف منه على العموم موقف الاحترام. أخيراً، فإنه لا ينقصه الذكاء ولا سرعة الفهم، فهو يدرك فى سرعة مطلب سقراط الخاص بالتعريف بالجوهر (قارن ٥ د مع ٦هـ)، وهو سريع فى اتخاذ مواقف

سقراط لنفسه (مثلا ٧د ، ١٣د)، وبعد وقوعه فى شرك سقراط يبدأ فى التحوط والإجابة بإجابات حذرة بعض الشىء (مثلا ٨هـ، ٩أ، هـ). هذه هى ملامح شخصية أوطيفرون كما نجح أفلاطون فى رسمها. ونضيف أنه يبدو من معارف سقراط البعيدين (٢أ)، وهو لا شك أصغر سنا من سقراط (١٢أ)، ولعله كان فى أواسط العمر (انظر ٣جـ).

ونأتى الآن إلى صورة سقراط فى هذه المحاورة. وتظهر بعض معالم هذه الصورة على لسان أوطيفرون وبعضها الآخر على لسان سقراط نفسه. وتأتى على لسان أوطيفرون إشارتان، الأولى منهما إلى "سقراط العادل"، فهو يدهش لرؤية سقراط قريبا من رواق "الملك"، لأنه لا يتصور أن يتهم سقراط أحداً. وستشير محاورة "الدفاع" إلى نفس الأمر، ولكن بتعميم أكبر (١٧د)، أما هنا فإن موضوع التأكيد هو أن سقراط أبعد ما يكون عن اتهام شخص آخر أمام المحاكم. أما الإشارة الثانية التى تأتى على لسان أوطيفرون فهى أهم كثيراً من الأولى، وهى ربما تحمل رأى أوطيفرون نفسه، إن كان قد وجد بالفعل شخص بهذا الاسم، وتحمل يقينا اعتقاد أفلاطون. فأوطيفرون يستنكر اتهام مليتوس لسقراط (٣أ)، ويعتبر هجومه عليه هجوما على "قلب أثينا" نفسه، ويستخدم أفلاطون فى هذا السياق لفظاً (estia) بعض معانيه دينية، وتشير إلى ما يمكن أن يكون "قدس الأقداس" فى البيت حيث موضع الآلهة المنزلية وحيث الملجأ حين التضرع. فهو يعتبر سقراط، إذن، أحد أعمدة المدينة الأثينية، وربما إن قلنا "ضميرها" فلن نبتعد كثيرا عن مقصد أفلاطون. وهو قد أتى بهاتين الإشارتين على لسان أوطيفرون حتى يضعهما موضع الوقائع الموضوعية التى أدركها أوطيفرون، وكان يستطيع أن يدركها كل من له عيون تنظر.

أما العناصر الأخرى للصورة السقراطية فى المحاورة فتأتى على لسان سقراط نفسه أو تظهر خلال ثنايا أقواله. والصفة السقراطية الرئيسية التى تظهر من أقوال سقراط هى هدوؤه ورباطة جأشه أمام اتهام مليتوس. وهو يعالج الأمر ويتناوله من بعيد، وكأنه حكاية رجل أخر. وهو قد يبدو مستهينا بمليتوس، بالتالى باتهامه (٢جـ)، حتى أنه يتحدث عن هذا الاتهام فى لهجة تقرب من الهزر، ويتحدث عن سلوك مليتوس وكأنه يتحدث عن رجل يعيش فى الخيال ويبنى قصورا فى

الهواء، أو هو ينسب إليه هذا على الأقل (٢جـ -٣أ). أما أوطيفرون فإنه لا يضحك البتة ولا يجارى سقراط فى لهجته الساخرة، بل هو يحمل الأمر على محمل الجد، ويدرك أن مقاصد مليتوس لن ينتج عنها إلا الإساءة إلى أثينا. ولكننا نشعر بالقلق يتسرب إلى كلمات سقراط حين يتحدث عن "الشعب" الأثينى، وخاصة حين يقول إنه لا يدرى إن كان الشعب سيأخذ الاتهام على محمل الجد، ولا يدرى النتائج التى تنتج عن ذلك، مشيرا بهذا إلى إدانته على الأقل. وسقراط يكشف لنا هنا عن جانب هام من جوانب شخصيته وحياته، ذلك هو جانب المفكر الذى يربط العمل بالفكر، ويخرج من الفكر إلى نتائجه العملية. وهو لا يكتفى بأن يحيا بحسب ما يعتقد، بل يريد، بسبب حبه للبشر كما يقول (٣د)، أن يجذب إلى طريقه الآخرين، وهو بهذا أقرب ما يكون إلى شخصية "المبشر". وأفلاطون يخبرنا بهذه السمة عن طريق المقارنة بين سلوك أوطيفرون وسلوك سقراط، فالأول لا يكشف دائما عن مكنون فكره "ولا يعلِّم ما يعرف"، ولهذا، يقول سقراط، فإن العامة لا تهتم به بل تضحك منه: فهو لا يشكل خطراً عليها وعلى طريقتها فى الحياة. أما سقراط فإن أمره أمر آخر: فهو ينقل إلى الآخرين ما يفكر، ولا يدخر فى ذلك وسعا، وهو لا يأخذ على هذا أجراً، بل وسيطيب له أن يدفع الأجر للآخرين إن هم أنصتوا إليه، باختصار هو يريد أن يجعل الآخرين يصيرون على شاكلته. هكذا تتصور العامة سقراط، فهو إذن خطر عليها. لم هذا الموقف من جانب الجمهور؟ كان أوطيفرون قد فسر موقف العامة منه "بالغيرة" من علمه، أما سقراط فلا يعتقد فى هذا التفسير، ويشير إلى وجود "أسباب غير هذا"، وسنعود إلى هذا الموضوع فى مقدمتنا لمحاورة "الدفاع".

مضمون المحاورة:

ما هو هدف أفلاطون من كتابة هذه المحاورة؟ هل هو هدف تاريخي محض؟ أم كانت له كذلك أهداف فلسفية؟ بعبارة أخرى: هل هدف هذه المحاورة هو استمرار الدفاع عن ذكرى سقراط وحسب؟

ما من شك أن "أوطيفرون" ترتبط بشخص سقراط، حيث إنها تحكى عنه وهو فى لحظة ما قبل المحاكمة أو، على الأدق، والمحاكمة على الأبواب، وهى تشير إلى موضوع الاتهام وإلى رافع الدعوى على سقراط. ولكن لعلها تقوم بوظيفة

تاريخية (أى متعلقة بسقراط التاريخى) أهم من السابقة، ألا وهى تحديد موقف سقراط من الدين على نحو أوضح مما سمحت به ظروف محاورة "الدفاع"، بعبارة أخرى: يمكن النظر إلى هذه المحاورة على أنها وثيقة تتضمن بعض آراء سقراط التاريخى فى موضوع الدين.

بمن يعارض أفلاطون سقراط؟ هناك أولاً، بطبيعة الحال، أوطيفرون، ولكن هناك كذلك، وعلى الخصوص، الضمير الدينى الشعبى، أى الشعب الأثينى نفسه ممثلا لعامة اليونان. صحيح أن هناك خلافا بين أوطيفرون وبين العامة فى موضوع الدين، وأنهم يسخرون من آرائه، بينما هو يعتبر نفسه العالم الوثيق بأمور الآلهة. صحيح أيضا أن أوطيفرون يعتبر نفسه "مجدداً" دينيا هو الآخر. فهو حينما يعرف أن مليتوس يتهم سقراط بإحداث "آلهة جدد" ينطلق ليقول: "أنا نفسى عندما أتحدث فى أمر من أمور الدين أمام مجمع الشعب، وأتنبأ لهم بما سيأتى، يحدث أن يسخروا منى كأننى مخبول...". فالعبارة الأولى، التى يمكن أن نترجمها حرفيا: "بل وأنا نفسى كذلك"، تشير إلى أن له هو الآخر آراءه الخاصة والتى تخالف بعض الآراء الدينية السائدة، ولهذا يقول منهيا عبارته السابقة: "ولكن لا يجب علينا أن نلتفت إليهم [إلى العامة]، ولنسر قدما فى طريقنا" (٣ب - جـ). كل هذا صحيح. ولكن طبيعة الخلاف بين سقراط والعامة من جهة، وبين أوطيفرون والعامة من جهة أخرى طبيعة مختلفة. فالخلاف بين الكاهن وبين الكثرة ليس، فيما يبدو، إلا خلافا حول بعض التفصيلات، أو هو خلاف "فى الدرجة" إن صح استخدام هذا التعبير. فأوطيفرون، لأنه يعلم عن الآلهة ما لا يعلمون، يتخذ مواقف تبدو أمام العامة متطرفة، ومنها مثلا موقفه من أبيه، وهو يدل على موقفه من واجباته الدينية التى تمليها الديانة التقليدية كما يفهمها ومطبقة على حادثة مقتل العبد (انظر ٤د - هـ). أما الخلاف بين سقراط والعامة فهو أعمق من ذلك بكثير. إنه خلاف مبدأى حول طبيعة الآلهة وحول طبيعة الواجبات الدينية. وفى هذا الإطار، فإن سقراط سيلقى بأوطيفرون إلى معسكر العامة، ليصبح الخلاف بينه من جهة وبين أوطيفرون والعامة معا من جهة أخرى. بل إن أوطيفرون يصير فى الحوار الممثل للتصور الدينى الشعبى، لأنه يزعم لنفسه "العلم": فهو يعلم ما تعلمه العامة ويعلم أكثر مما تعلم (٦ب). ودليلنا على أن أوطيفرون يصبح ممثل العامة نص صريح. يقول سقراط: "أما إن كنت أنت نفسك، وأنت العالم بهذه

المسائل [الإلهية]، تتفق معهم [مع العامة] على هذا، فلن يكون لنا، فيما يبدو، إلا أن نحني رؤوسنا نحن أيضا"، (٦أ - ب). فالخلاف الرئيسى هو، إذن، بين التصور الدينى السقراطى وبين الديانة الشعبية بصفة عامة.

ما هو محور هذا الخلاف؟ أفلاطون يحدده بدقة ووضوح، مما يعطى لتصريحه قيمة تاريخية ويجعلنا نكاد نتيقن أن ما يقوله يعبر عن رأى سقراط التاريخى نفسه. كان أوطيفرون قد برر سلوكه بإزاء أبيه بأنه كان يفعل مثلما فعل الإله زيوس مع أبيه كرونوس، وأبوه هذا مع أبيه هو الآخر، فيرد سقراط: "ألا يكون سبب رفع الدعوى علىّ، يا أوطيفرون، هو أنه يصعب علىّ، حينما يحكى أحد مثل هذه الحكايات عن الآلهة، أن أوافق عليها؟ هذا هو السبب، فيما يبدو، الذى يجعل البعض يقول إننى على خطأ"(٦أ). وهكذا فإن الخلاف الرئيسى بين سقراط والعامة يدور حول طبيعة الآلهة: هل ما يقال عنها من أساطير صحيح؟ هل يُقبل أن الآلهة تسرق وتزنى وتخدع كما تساءل قبل سقراط المفكر إكسينوفان (ولد حوالى ٥٧٠ ق.م)؟ باختصار: هل الآلهة على صورة البشر فى معظم سماتها؟ أوطيفرون يقبل كل ما يحكى عنها، بل وعنده من الحكايات ما هو أعجب. أما سقراط فإنه، كما رأينا من النص الهام المذكور، لا يقبل هذه الحكايات، لأنها، فى كلمة واحدة، مما لا يليق بالآلهة. فلا يمكن أن تتناحر الآلهة فيما بينها، وأن يصل بها العداء إلى حد الحرب، وغير ذلك من ألوان السلوك الذى نجد وصفه فى شعر الشعراء، وخاصة هوميروس، وفى تصاوير الفنانين على واجهات المعابد: فسقراط إذن يعارض المجتمع كله وكل "سلطاته" الدينية والأدبية والفنية. ومن هنا كان لابد من اصطدامه بالسلطة السياسية، لأن الدين كان من شأن الدولة نفسها.

وقد نتج عن هذا الموقف السقراطى نتيجة غاية فى الخطورة: ذلك أن سقراط (وبعده أفلاطون) أصبح لا يعتبر الديانة التقليدية أساساً سليما للأخلاق، أى للسلوك الأخلاقى. ولنتذكر أن مشكلة أوطيفرون هى قبل كل شىء مشكلة عملية: هل يصح أم لا أن يقدم أباه إلى المحاكمة؟ والحل الذى ارتضاه أوطيفرون لنفسه إنما يأخذ به مؤسسا إياه على أسس نظرية أو عقائدية، ألا وهى بعض جوانب العقيدة الدينية التى تجعل الآلهة نموذجا للبشر، وسلوكهم مثلا أعلى. فالحق أن المشكلة الرئيسية هنا هى مشكلة "الحكم" الأخلاقى وماذا يجب أن يكون أساسه. وليس هذا استنتاجا

منا، بل هو مكتوب فى قلب النص الأفلاطونى حين يقول سقراط (٧د) إن مشاكل الخير والشر والعدل والظلم هى المسائل التى يصعب فيها "الحكم" الدقيق الذى نطمئن إليه (وأفلاطون يستخدم هنا (٧جـ،د) كلمة يونانية (krisis) لها كل معانى "الحكم" بالعربية فى ميدان الفكر والمنازعات). ولكن الآلهة نفسها، وسقراط هنا يضع النقاط فوق الحروف (٧هـ)، مختلفة حول هذه المسائل. فإلام يكون المرجع إذن؟ وإذا قيل "المرجع" قفز إلى الذهن "المعيار" و "المقياس"، ولهذا فنحن لا نفاجأ إذا رأينا أفلاطون يستخدم نصا كلمتى "القياس" "والميزان" (٧جـ). فقد كان حلم أفلاطون، وسقراط نفسه لا شك، أن نبني سلوكنا على أساس دقيق، ومن هنا يقدم سقراط لكلامه عن مشكلة فقد المعيار الثابت فى ميدان الأخلاق بنموذجين من ميدان القياس: قياس الأطوال وقياس الأثقال، ليقول: إذا حدث واختلفنا فى ميدان الأكبر والأثقل، فإننا نرجع إلى المقياس أو إلى الميزان، ولكن ماذا سنفعل فى ميدان الحكم الأخلاقى بينما الآلهة نفسها، وهى قمة النظام الأخلاقى التقليدى وأساسه معا، مختلفة متنازعة حول هذا؟ وهكذا، فما دام هذا الأساس الأخير نفسه مخلخلا فإن كل سلوك وكل حكم سيصبح مستحيلا (٨ب)، وسيتسرب الشك إلى مشروعية أى اختيار وأى قرار (٩أ – ب، انظر كذلك ١٥د).

وعلى الرغم من أن الطابع الظاهر للمحاورة هو الطابع النقليدى أو "التفنيدى"، إلا أنها تشير فى الحقيقة إلى "بديل" للنظام الأخلاقى التقليدى القائم على الدين. فى مناقشة سقراط لتعريف أوطيفرون أن التقوى هى "ما تحبه الآلهة"، يبين له أن محبة الآلهة لفعل ما ليست السبب الذى يجعل منه فعلا تقيا، وإنما تحبه الآلهة لأنه فعل تقى (١٠د)، وهكذا فليست محبتهم له إلا عرضا (pathos) من أعراض التقوى، أما جوهرها فغير هذا. وفى كلمات قصيرة، ولكنها ذات أهمية عظيمة، يضيف سقراط أن جوهر التقوى هو الذى يجعل من طبيعة الفعل التقى أن يكون محبوبا (١١أ)، بحيث تكون محبة الآلهة له بعد ذلك أمرا ثانويا، بل ستكون ضرورة عليهم. وهاهو مكمن خطر هذا الموقف: ذلك أن الآلهة لم يعودوا المصدر الأول للقيم الأخلاقية، بل يكون هناك نظام موضوعى للقيم، أى موجودا وجودا مستقلا عن البشر وحتى عن الآلهة، بل هو أعلى من الآلهة نفسها حيث إنه يفرض نفسه عليها فرضا، وليس لها أن تأخذ به أو أن تنبذه، فلا مفر لها من أن تقبله. وإذا قيل بعد هذا إن سقراط كان يدك دكا أسس النظام الأثينى (واليونانى بصفة

عامة) الدينى والأخلاقى معا، كان هذا حقا بعد الذى رأيناه، بل ويصبح فى إمكاننا معه أن نعطى لهذا الحكم مضمونا دقيقا، ولو أنه بالطبع مضمون جزئى، فلا يكتمل مضمون هذا الحكم إلا بتتبع شتى جوانب النشاط السقراطى.

الدين، إذن، ليس (أى لا يجب أن يكون) مصدر المثل الأخلاقية فى رأى سقراط. إذن، فلا يمكن الركون إلى النقل وإلى التقليد، وفى كلمة واحدة: إلى التراث. فماذا يجب علينا إذن؟ يجب اللجوء إلى العقل، وهذا هو الفرق بين أوطيفرون (وكل العامة معه) وبين سقراط. فالأول كان يظن أنه ينهى الأمر بأن يقول إننى فاعل مع أبى ما فعله زيوس مع أبيه، أما سقراط فإنه يطالب بالفحص، ويقول هذه الكلمات التى ستذهب بعيدا رغم بساطة مظهرها: "إذا قال أحد (ولنفهم بذلك كل التراث وعلى رأسه الشعراء وكبيرهم هوميروس) إن شيئا ما هو كذا، فهل نسلم له بأنه كذلك أم نفحص ما يقول هذا القائل؟" (٩هـ). إن سقراط هنا إنما يضع موضع التساؤل كل الديانة اليونانية التى لم تعد أمرا مسلما به. لقد فقد الطوطم هيبته.

هذا هو إذن محور الخلاف بين سقراط والمجتمع الأثينى. والخطيئة الأصلية التى يرتكبها أوطيفرون والعامة معاً هى، فى نظر سقراط، أنهم جميعا لا يفحصون ما يعتقدون ولا يُعملون عقولهم فيه، وبعبارة سقراطية: هم يعتقدون أنهم يحكمون لأنهم يعلمون، وعند الفحص يتبين لهم أنهم يجهلون ما هم به يتشدقون. سيحدث هذا مع مليتوس، وسيحدث هذا مع أوطيفرون، وسيحدث هذا مع غيرهما من شخصيات المحاورات الأولى لأفلاطون، ومعهم سيكون كلام سقراط ككلامه هنا مع أوطيفرون فى السطور الأخيرة من الحوار، وهى تلخص تلخيصا حيا موقف سقراط من أهل عصره: إنه الباحث دائما، الباحث عن طبيعة هذه الفضيلة أو تلك، أى عنها فى ذاتها وفى جوهرها، وبالعقل وليس عن طريق التقليد، وطالما سيكون قادرا على ذلك، فإنه لن يتخلى عن تلك المهمة، مهمة العثور على الحقيقة التى يدعى أوطيفرون ويدعون أنهم حائزون عليها، وأنهم يعرفونها معرفة دقيقة واضحة. وهو لن يترك أوطيفرون، العالم الفقيه فى أمور الدين كما يدعى، قبل أن يكشف له عن طبيعة التقوى، وسيظل يتابعه كالمحب الملازم لموضوع حبه، ومحبة سقراط تتجه إلى الحقيقة. أما إن كان أوطيفرون لا يعرف فى يقين ما هى

التقوى، فأنى له إذن أن يجرؤ على القيام بعمل مثل عمله؟ وما دام غير متيقن من حكم الدين فى هذه المسألة، أما كان عليه أن يركن إلى مصدر أدنى للقيم الأخلاقية، ألا وهو المصدر الاجتماعى؟ (١٥د). وهكذا فإن عدم اهتمام أوطيفرون بفحص معتقداته يعرضه لأن يخسر دينه وسمعته معا، وكان العلم قادراً على مساعدته على تجنب مثل هذه الخسارة.

هذه الخطيئة الأصلية، الأخذ بالتقليد وعدم الفحص، نجدها ليس فقط فى ميدان المعتقدات، ومركزه مسألة طبيعة الآلهة، بل وكذلك فى ميدان العبادات. فالمحاورة لا تنتقد فقط رأى أوطيفرون فى طبيعة الآلهة، بل وكذلك مفهومه عن العبادات، أى عن طبيعة العلاقة بين البشر والآلهة. فالتعريف الرابع (١٢هـ) الذى يعرضه أوطيفرون للتقوى هو أنها ذلك الجزء من العدل الذى يخص العناية بالآلهة، ثم يعدل هذه الصيغة فى التعريف الخامس الذى يقول إن التقوى هى "علم" قول أو فعل ما يجلب السرور إلى الآلهة (١٤ب). ولكن سقراط يبين أننا لا يمكن أن "نعتنى" بالآلهة: فالعناية معناها تحسين الموضوع الموجهة إليه، فهل نستطيع ونحن البشر الناقصون أن "نحسن" الآلهة؟ الحق أن هؤلاء لا يجنون أية فائدة كانت من تقوانا إذا كانت هكذا. وحتى إذا كان قصد أوطيفرون أنها نوع من "الخدمة" على مثال ما يقدمه الخدم إلى أسيادهم، فإنه ليس من الواضح طبيعة النتائج التى تجنيها الآلهة من تلك "الخدمات" (١٣هـ). وقد شاء بعض المفسرين أن يرى فى هذا الموقف أحد المواقف الرئيسية للمحاورة. ولكن النظر إلى تركيبة الحوار يؤدى إلى اعتباره مجرد مرحلة جدلية من مراحله، هدفها بيان أن المفهوم الذى يقدمه أوطيفرون مفهوم "فارغ"، أى بغير محتوى موضوعى. وهكذا فإن تفسيرنا هذا مغاير كثيرا للتفسير المشار إليه، والذى يريد أن يجعل من هذا النص تعبيرا عن رأى لسقراط مؤداه أن الدين يجب أن يكون تعاونا بين الآلهة والبشر من أجل غاية نبيلة، ولكن سقراط لا يحدد هذه الغاية. أما نحن فنقول إن تحديد الغاية إنما كان واجبا على أوطيفرون نفسه، بحيث إن عدم ذكرها إنما هو دليل نقص مفهومه هو عن التقوى. وتجب الإشارة إلى أن تلك "الغاية النبيلة" ليست فى فكر سقراط غاية يحققها البشر، بل هى نتيجة تصل إليها الآلهة نفسها بخدمتنا أى بمساعدتنا. ونحن نضيف رغم هذا أنه يجب إعطاء شيء من الاهتمام إلى هذه السطور، لأن سقراط فى المحاورة ربما كان يشير إليها عندما يقول لأوطيفرون إنه كان على وشك أن

يعلمه ما هى التقوى (١٤جـ)، لو كان قد أجابه عن سؤاله، وكان سؤاله هذا يخص بالفعل طبيعة النتائج التى تصل إليها الآلهة بمساعدتنا (١٤أ). ولكنه من الغامض كيف كان سقراط سيصل إلى تعريف التقوى ابتداء من هذا المفهوم، وحتى لا نضطر إلى الرمى بالغيب فلنأخذ هذه الفقرة كما هى، ولنعتبرها وصولا إلى نهاية طريق "مسدود" ينبغى للحوار بعده أن يتحول إلى طريق آخر.

هذا الطريق الآخر هو أن التقوى "علم" الصلوات والتضحيات، أى أنها، فى رأى أوطيفرون الذى يعبر هنا عن الموقف الشعبى، أو المفهوم "الظاهرى" أو "البرانى" للديانة، معرفة كيف تطلب من الآلهة وكيف تغريها بالعطاء. فهى إذن نوع من التبادل، هى فن التجارة بين الآلهة والبشر. ويرد أوطيفرون: "سمها تجارة إن شئت". ويكشف سقراط عن المتضمنات الخاطئة لهذا المفهوم، فهل سنكون أمهر من الآلهة فى التجارة؟ كذلك، فإننا نأخذ منهم كل شيء، هذا واضح للعيان، أما ما نعطيه لهم، ففيم ينفعهم؟ (١٤د - هـ). وفشل أوطيفرون فى وضع مفهومه عن العبادات فى صيغة مقبولة يمكن الدفاع عنها إنما هو فى الحقيقة فشل الديانة الشعبية بأسرها فى تأسيس أوامرها على مبادئ قوية يقبلها عقل سقراط.

الفلسفة الأفلاطونية فى المحاورة:

كان هذا عن موضوع الدين فى المحاورة. ولكن المحاورة لا تتحدث فقط عن الدين، ولا هى تتحدث فقط عن سقراط التاريخى، فيما يبدو لنا وللكثيرين من المفسرين، بل إنها لتقدم عناصر جديدة بالقياس إلى الفكر السقراطى، بحيث إنها تهم أيضا تطور مذهب أفلاطون فى طريقه نحو الاستقلال عن اتجاهات ومواقف سقراط التاريخى (ولا يلزم أن يكون هذا البحث عن الاستقلال واعيا مقصودا). وهى تهم هذا التطور إلى درجة كبيرة، لأنها تمس ما يمكن أن يعتبر بوادر قلب المذهب الأفلاطونى، أى بدايات نظرية المثل الشهيرة.

ويمكن أن نقول، أولا، ونحن ننظر الآن من زاوية أفلاطون نفسه، إن هذه المحاورة حلقة من حلقات البحث فى الفضائل، أو فى القيم بصفة عامة، الذى يميز محاورات أفلاطون الأولى، حيث نجد مثلا محاورة "هبياس الصغرى" تبحث فى الصدق والكذب، و"هبياس الكبرى" فى الجمال، و"لاخيس" فى الشجاعة، و"خارميديس" فى الحكمة، وهكذا ... ولكن هناك أسبابا قوية تجعلنا نميل إلى

اعتبار أن محاورة "أوطيفرون" تمثل حلقة ناضجة من هذه الحلقات. ودليل هذا "النضج" هو أنها تستخدم مصطلحات فلسفية تجعل منها إحدى البدايات التى نلمح فيها أفلاطون وقد أخذ يستقر على الطريق الذى سيؤدى به إلى نظرية المثل. وحتى لا يكون كلامنا نظريا، فإنه يمكن أن نقارن بين "أوطيفرون" ومحاورتين أخريين هما "لاخيس" و "هبياس الكبرى". وشكل السؤال فى كل من المحاورات الثلاث واحد: "ما هو كذا؟"، هنا التقوى وهنا الشجاعة وهناك الجمال. والسؤال الذى نبدأ به فى محـــاورة "لاخيس" هو: ما هى تلك الخاصية التى نجدها فى كل فعل شجــاع؟ (١٩١هــ)، ولما كان المتحدث مع سقراط لا يفهم سؤاله، فإنه يوضح له بمثال أن ما يطلبه هو ذلك العنصر الدائم فى الأعمال الشجاعة مهما تغيرت (١٩٢ب).

هكذا يوضع السؤال، وهكذا يوصف الموضوع الذى تبحث المحاورة عن تعريف له، وواضحة بساطة الطريقة التى توضع بها المشكلة، وسيتضح هذا أكثر عندما نرى الطريقة التى يوضع بها السؤال فى محاورة "هبياس الكبرى". هنا نبدأ أيضاً بسؤال: "ما هو الجمال؟" (٢٨٦د)، ولكننا نجد بعد ذلك تفصيلات كثيرة عن موضوع البحث. "فالجمال" شىء حقيقى (٢٩٧د)، وهناك فرق بينه وبين الأشياء الجميلة المتعددة مثل هذه المرأة الجميلة وهذا الإناء الجميل وغير ذلك، فموضوع البحث هو "الجميل فى ذاته" (٢٨٨أ) الذى يهب الجمال لكل شىء فردى جميل، والذى يبقى هو هو جميلا على الدوام لأنه "الجمال فى ذاته" (٢٩٢جـــ – د)، ولا يلحقه القبح أبداً (٢٩١د). هذه هى خصائص "الشىء فى ذاته"، أى "القيمة" التى هى الموضوع الخاص لهذه المحاورة أو تلك. وواضح أننا وجدنا هنا تفصيلات أكثر وعرضا مفصلا لهذه الخصائص بالقياس لما كان عليه الأمر فى محاورة "لاخيس"، مما يسمح بالقول بأن محاورة "هبياس الكبرى" أنضج فلسفيا من الأخرى، وليس بين هذا القول وقول أنها تأتى زمنيا بعد "لاخيس" إلا خطوة واحدة، هى خطوة استخراج النتيجة من المقدمات. ولكن الفرق بين المحاورتين يتضح أكثر إذا علمنا أن "هبياس الكبرى" تسمى "الشىء فى ذاته" باسم اصطلاحى خاص لا نجده فى "لاخيس": هذا الاسم هو "إيِدُس" (cidos) (٢٨٩ د).

وما وجه الأهمية فى هذا؟ وجه الأهمية فيه هو أن "المثل" الأفلاطونية سيسمى

كل منها من بعد بنفس الاسم. إذن، فمحاورة "هبياس الكبرى" تبرز على الأقل بعض خصائص "الشيء فى ذاته"، وهو الذى سيسمى من بعد "بالمثال"، وتعطى كذلك أحد اسمين رئيسيين يتسمى بهما "المثال" الأفلاطونى فى محاورة "فيدون" وفى "الجمهورية". لدينا حتى الآن، إذن، درجتان من درجات البحث الأفلاطونى الذى سيؤدى به إلى نظرية المثل، وبيت القصيد هو أن ندرك أهمية "أوطيفرون" على طريق هذا البحث إذا درسنا ما تقوله عن "الشيء فى ذاته" وقارناه بما تقوله "هبياس الكبرى"، مما يدفع بنا إلى اعتبارها تالية زمنياً وأكثر اقتراباً من "نظرية المثل".

تتناول محاورتنا هذا الموضوع فى فقرات ثلاثة: ٥جـ - د، ٦د - هـ، ١١أ - ب. فى الفقرة الأولى يؤكد سؤال سقراط على عمومية موضوع البحث، فنحن نبحث فى التقوى بصفة عامة، سواء أكانت مطبقة على السلوك بإزاء جريمة أو فى ميدان آخر. والتقوى تظل هى هى فى كل الأفعال الفردية التى نقول إنها تقية. وكذلك، فإنها مختلفة كل الاختلاف عن ضدها، وهو الضلال، فهى شيء وهو شيء. باختصار، بحثنا موضوعه هو تلك "الصورة الواحدة" التى تتكرر فى كل فعل تقى. فى هذه السطور نجد نفس الخصائص التى وجدناها "للجمال فى ذاته" فى محاورة "هبياس الكبرى"، وفوق ذلك نجد اسما اصطلاحياً جديداً لهذا "الشيء فى ذاته"، ألا وهو اسم "الصورة" (idea أو الهيئة أو الشكل أو الفكرة)، ونجد كذلك تأكيداً جديداً على واحدية هذه "الصورة"، فالتقوى فى ذاتها واحدة مهما تعددت الأفعال التقية. إذن، محاورتنا تخطو خطوتين جديدتين إلى الأمام بالقياس إلى محاورة "هبياس الكبرى". ومما يدل على تقدم محاورتنا على طريق الفكر الفلسفى الأفلاطونى أن الفقرة الثانية (٦ د - هـ) تعود فتستخدم لفظ eidos، وتقول: "الإيدس فى ذاته"، وهو الذى به يصير كل فعل فردى تقى تقيا، وتؤكد هذه الفقرة هى الأخرى على واحدية "الصورة" الخاصة بالتقوى أو فكرتها، وتستخدم فى سطور متعاقبة اللفظين الإصطلاحيين المذكورين، مما يدل على أنهما يدلان على نفس المعنى. فيمكن القول، إذن، إن محاورتنا شاهد على نضج المصطلح الفلسفى عند أفلاطون بالقياس إلى محاورات سابقة عليها. ولكن هذه الفقرة تخطو أبعد إلى الإمام حين تذكر إلى جانب هذين الاصطلاحين ثالثاً له شأنه أيضاً، وذلك حين تقول إن موضوع البحث، أى هذه "الصورة" أو الفكرة أو الهيئة الواحدة أو الخاصية الجوهرية، هى أيضا نموذج (paradeigma) لكل سلوك يضعه المرء

أمام عينيه لكى يسير على مثاله ولكى يحكم بحسبه. هنا أيضاً نقترب خطوة بل خطوتين من نظرية المثل: حين نصل إلى مفهوم "النموذج"، وحين تشخصه المحاورة وكأنه شيء يوضع أمام النظر، نظر العقل بالطبع، الذى سيتطور فى محاورتى "فيدون" و "الجمهورية" ليكون هو وسيلة المعرفة العقلية التى موضوعها عالم "المثل".

وتكرر الفقرة الثالثة (١١ أ – ب) بعض ما جاء فى السابقتين ، فتتحدث مثلا عن "التقوى فى ذاتها"، ولكنها تضيف بدورها جديداً وجديداً ذا خطر. فهى تسمى "الشيء فى ذاته" باسم جديد هو "الجوهر" (ousia)، وهو اسم سنجده يطلق هو الآخر على "المثال" الأفلاطونى. ولكن أهمية هذه التسمية الجديدة هو أن أصلها فى اللغة اليونانية هو فعل الكينونة، وهكذا يصبح موضوع البحث الأفلاطونى ليس مجرد مفهوم عام، كما كان الحال على كل احتمال مع سقراط، بل شيئا له خصائص الوجود، هو ذلك "الجوهر الموجود" أو الوجودى، الذى يوجد وجوداً موضوعياً. صحيح أن معنى "الجوهر" هنا يظل قريبا من معنى "فى ذاته"، أى الشيء "هو هو"، لأن أفلاطون يعارض هذا "الجوهر"، أى التقوى فى ذاتها، بعَرَض من أعراضها هو محبة الآلهة لها. ولكن المهم أن الاصطلاح قد استخدم، وهو سيدفع أفلاطون دفعا بما فيه من شحنة "وجودية" واضحة إلى اعتبار أن عالم الموضوعات التى يبحث فيها ذو وجود موضوعى مستقل.

تحليل خطوات الحوار:

ينقسم الحوار إلى ثلاثة أقسام: مقدمة، ثم عرض للتعريفات، ثم خاتمة. وفى المقدمة موضوعان: اتهام مليتوس لسقراط، ثم اتهام أوطيفرون لأبيه. يلتقى أوطيفرون بسقراط أمام رواق المسئول القضائى الملقب "بالحاكم – الملك"، فيسأله عما جعله يترك اللوقيون، حيث يلتقى بالأثينيين وبالشباب منهم على الخصوص ويحاورهم، ليأتى إلى هنا، وعما إذا كانت له قضية معروضة على القضاء. فيرد عليه سقراط بأن الأمر ليس أمر "قضية" عادية يرفعها شخص على شخص باعتبارهما فردين، بل هو أمر "ادعاء عام" مرفوع عليه ويخص علاقته بالدولة الأثينية. ثم يصف مليتوس مقدم الادعاء ضده، ذلك الإدعاء الذى فحواه أن سقراط يفسد الشباب، ويحدث آلهة جديدة، ولا يعترف بآلهة الدولة (٣ب). فيدرك

أوطيفرون أن وراء هذا الاتهام ذلك "الجنّى" أو الصوت الإلهى الذى يقول سقراط إنه يسمعه ناهيا له عن بعض الأفعال. ويتطرق الحديث إلى سهولة إثارة الشعب عن طريق الاتهامات الدينية، ويقول سقراط إن سبب الحفيظة عليه هو أنه لا يحتفظ بما يعتقد سراً لنفسه، بل يتحدث عنه إلى الجميع، ولو كان يلتزم الصمت لما تابعه أحد باتهام (٣جـ - د). ثم يسأل أوطيفرون عن أمره هو، فيقول إنه جاء متهماً أباه بقتل أحد العبيد الذى كان يشتغل مزارعا عندهم، وكان قد قتل أحد العمال بعد أن شرب فثمل، فرمى به والد أوطيفرون فى حفرة وأرسل إلى أثينا يستفتى فى أمره، ولكن الجوع والبرد أوديا بحياة العبد المقيد. ويعتبر أوطيفرون أنه من الدنس لبيته ألا يخبر عن القاتل، وأنه تطهير لنفسه ولأبيه معا أن يقدمه إلى المحاكمة بتهمة قتل العبد، وهو مقتنع بهذا رغم أن أسرته تثور عليه وتتهمه بأن سلوكه لا يراعى واجبات التقوى (٤ د - هـ). فيدهش سقراط من حكايته، ويقول إنه ما شك أن أوطيفرون يعرف معرفة دقيقة أحكام الدين، ولولا ذلك لما جرؤ على القيام بمثل هذا السلوك، ويسأله إذن أن يعلمه ما هو احترام أحكام الدين أى ما هى التقوى، حتى يستفيد بعلمه هذا فى مباحثاته مع مليتوس التى ستسبق المحاكمة، لعله يثنيه عن اتهامه بالضلال، ويسأله أن يحدد له بوضوح ما هى التقوى وما هو الضلال بصفة عامة، أى ما هى الخصائص التى توجد فى فعل ما فتجعله تقياً، وذلك أياً ما كان ميدان هذا الفعل (٥جـ - د). وهكذا ندخل إلى القسم الثانى من المحاورة، وهو قسم التعريفات المقترحة. ويمكن تقسيم هذا القسم إلى قسمين: التعريفات الثلاثة الأول ثم الإثنين الأخيرين، ويفصل بينهما "ارتباك" أوطيفرون (١١ أ - د).

التعريف الأول الذى يقدمه أوطيفرون للتقوى هو أنها السلوك كما يسلك هو، أى متابعة المجرم أيا من كان، أما عدم متابعته فهو الضلال أو عدم التقوى. وهو يقدم على ذلك برهاناً ساطعاً، ألا وهو أن زيوس نفسه، كبير الآلهة وأفضلها وأعدلها، لم يتردد فى تقييد أبيه نفسه. وكان أبوه هذا نفسه، كرونوس، قد شوه أباه هو الآخر. فما دامت الآلهة تفعل هذا، وما دامت الناس تعتبرها مع ذلك عادلة، فليس على أوطيفرون من مأخذ إن هو قلد الآلهة (٥ د - ٦أ). ولما كان سقراط لا يعتقد فى حقيقة هذه "الأساطير"، فإنه يسأل الكاهن أوطيفرون، وهو رجل الدين

المتفقه، إن كان يعتقد جديا فى هذه الروايات، فيجيبه بالإيجاب، وينطلق للإفاضة فى هذا الموضوع لولا أن سقراط يمنعه من هذا الاستطراد ليعود به إلى موضوع التقوى طالباً منه أن يوضح ما قاله، لأن سقراط يعتبر أنه لم يجب عن سؤاله (٦جـ – د). فالذى أجاب به لا يوضح ما هى التقوى، إنما يشير فقط إلى جانب من الأفعال التقية، بينما الذى يريده سقراط ليس تقديم "عيِّنة" من الأفعال التقية بل أن يدله أوطيفرون على تلك الخاصية الجوهرية التى تجعل كل الأفعال التقية تقية، أى أن يدله على جوهر التقوى ذاتها. يفهم أوطيفرون هذه المرة المقصود، ويقدم تعريفه الثانى (أو هو تعريفه الأول إذا راعينا أن السابق لم تتوفر فيه كل شروط سقراط، أى العمومية والجوهرية)، وهو أن ما تعزه الآلهة فهو تقوى (٦هـ). وكما حدث مع التعريف الأول، وكما سيحدث مع التعريفات التالية، فإن هناك بصفة عامة ثلاث خطوات: عرض التعريف، فحصه، ثم رفضه. وفى فحصه لهذا التعريف يبرز سقراط واقعةً هى أن الآلهة مختلفون فيما بينهم، وإذا كان هناك موضوع يمكن أن يختلفوا بصدده فهو ميدان العدل والظلم، الجمال والقبح، والخير والشر، أى ميدان القيم بوجه عام، ومنها التقوى. فإذا كانت التقوى هى ما تعزه وتحبه الآلهة، وكان هناك خلاف بينها، فإنه سينتج عن ذلك أن نفس الشيء سيحبه بعضهم وسيكرهه البعض الآخر، وسيكون هكذا تقياً وغير تقى فى نفس الوقت. على هذا فإن تعريف أوطيفرون ليس التعريف المطلوب (٨أ – ب). فيعترض المنجم بأنه واثق كل الثقة أن كل الآلهة متفقة على أن متابعة المجرم سلوك تقى. واعتماداً على هذه الإشارة (٨ب، ٩ب) يقترح سقراط تعديل التعريف السابق بحيث يصبح: "ما تكرهه كل الآلهة ليس بتقوى، وما تحبه كل الآلهة فهو تقوى"، ويقبله أوطيفرون، فيبقى فحصه لتبين إن كان صحيحاً أم لا. ويثير سقراط هذا السؤال الخطير: هل الفعل التقى تقى لأن الآلهة تحبه، أم هى تحبه لأنه تقى؟ بعبارة أخرى: هل محبة الآلهة سبب أم نتيجة؟ ثم يبين سقراط أن محبتها لفعل تقى ليس لشيء إلا لأنه تقى، إذن فليست هناك علاقة "هوية" بين ما هو تقى وما هو محبوب من الآلهة، فالفعل التقى محبوب من الآلهة لأنه تقى، ولكنه ليس تقياً لأنه محبوب من الآلهة (١٠ د – هـ). فالمحبوب من الآلهة هو نتيجة لفعل الحب، أما التقى فإنه ليس نتيجة لهذا الفعل، بل هو محبوب لأنه من طبيعة التقوى أن تُحب.

باختصار، فإن التعريف الجديد لا يكشف عن "جوهر" التقوى، بل عن أحد "أعراضها" أو حالاتها، وهو أنها محبوبة من الآلهة، هذا على حين أن المطلوب هو تعريف التقوى "فى ذاتها" (١١ أ – ب).

هنا تصيب أوطيفرون حالة من "الارتباك"، ويبدو وقد فقد قدراً كبيراً من ثقته بنفسه: "الحق يا سقراط أننى لا أدرى كيف أقول لك ما يدور بفكرى" (١١ب)، ويتهم سقراط بأنه هو السبب فى عدم الثبات على التعريفات المعروضة. ولكن سقراط يطلب منه أن يتسلح بالشجاعة: "وحيث يبدو لى أن همتك قد ثبطت، فإننى سأحاول أنا نفسى أن أضيف جهدى إلى جهدك، لكى أبين لك على أى نحو تستطيع أن تفيدنى علماً فى موضوع التقوى". وهكذا يحاول سقراط وضع أوطيفرون على الطريق السليم لتعريف هذه الفضيلة، ويبدأ فى محاولته بمقدمات: أ) أن التقوى جزء من العدل، ب) ولكن العدل أعم من التقوى، فليس كل فعل عادل تقيا، ولكن كل فعل تقى عدل، جـ) فيجب إذن اكتشاف ذلك الجزء من العدل الذى يسمى بالتقوى. هنا يقدم أوطيفرون التعريف الرابع بأن التقوى هى ذلك القسم من العدل الذى يخص "العناية" بالآلهة، أما العناية التى يقوم بها البشر بإزاء بعضهم البعض فإنها تشكل القسم الآخر من العدل. وبعد التعريف يأتى الفحص: "أحسنت القول يا أوطيفرون، ولكن هناك نقطة بسيطة تحتاج إلى شرح: ماذا تقصد "بالعناية"؟". إن العناية تهدف إلى تحسين الشىء الذى هو موضوعها وإلى فائدته، فهناك مثلاً عناية الراعى بقطيعه، فهل تصير الآلهة أحسن بتقوانا؟ كلا، إنما كان أوطيفرون يقصد العناية التى يمثلها ما يقدمه الخادم إلى السيد، فهو كان يقصد إذن نوعاً من "الخدمة". فيحاصره سقراط ليعرف نوع هذه الخدمة، وخاصة النتائج التى تنتج عنها لمن يتلقاها، فيتهرب أوطيفرون من متابعة هذا الطريق الذى كان قد فتحه له سقراط نفسه، ليعود إلى فكرة سبق له أن عرضها (١٤أ – ب). والتعريف الجديد، الخامس إن شئت، يقول إن التقوى تنحصر فى معرفة كيف نقول ونفعل ما يجلب السرور إلى قلوب الآلهة وذلك بالصلاة والتضحية. فالتقوى، فى كلمات أخرى، هى "علم" الصلوات والتضحيات، أى علم المطالب والهدايا التى تقدم إلى الآلهة. وسقراط يفهم هذه الصياغة الجديدة على أنها عرض لمعنى "الخدمة" التى نقدمها إلى الآلهة بالتقوى (١٤ د)، ولهذا فهى مرتبطة بالتعريف السابق. ولكنها فى رأينا تعديل له يفتح طريقاً جديداً، ولهذا يمكن اعتبارها التعريف الخامس، وما تتميز به

هو إضافتها لمفهوم "العلم"، ويبرهن سقراط فى فحصه لهذه الصيغة الجديدة على أن التقوى ستصير، إذن، نوعا من التجارة بين الآلهة والبشر، ثم يعود إلى سؤاله السابق: ما هى النتائج التى ستنالها الآلهة من هذه الخدمة؟ (١٤هـ). ولكن أوطيفرون لا يقبل أن الآلهة "تستفيد" شيئاً مما نقدمه إليها، وإنما كل ما فى الأمر أنه تكريم لها، وباختصار هو وسيلة منا لكى نكون محببين إليها ولكى تسر هى منا. "إذن، يا أوطيفرون، فإن التقوى ستكون ما يعجب الآلهة، وليس ما هو مفيد لهم ولا ما هو محبوب منهم؟". ولكن أوطيفرون يعتقد أن هذا هو ما تحبه الآلهة فوق أى شيء آخر، ونعود هكذا إلى تعريفنا السابق: أن التقوى هى ما تحبه الآلهة، ولكنا كنا قد وجدنا أن ما هو تقوى وما هو محبوب من الآلهة ليسا شيئاً واحداً ونفس الشيء. فالطريق إذن مسدود، ويتعين البحث من جديد، ولكن أوطيفرون يقول لسقراط: ليس هذه المرة، فلدى أعمال تناديني، فإلى مرة أخرى.

المنهج الفلسفى:

مراحل الحوار الأفلاطونى التى تكلمنا عنها فى الفقرات السابقة هى الإطار العام للمنهج الفلسفى فى المحاورة. فالحوار يقتضى وجود متحاورين، وأحدهما هو سقراط، ويسير الحوار حسب خطة محددة تتكرر فى الغالبية العظمى من محاورات أفلاطون مع بعض التنويعات هنا وهناك. ونصل فى الحوار إلى لحظات رئيسية تتكرر: لحظة الدعوة إلى بدء المناقشة والتشجيع عليها، لحظة الفحص، لحظة التفنيد الكامل التى تنهى معظم محاورات الشباب الأفلاطونية. وخلال هذا كله يكون هناك موقف معين يتخذه سقراط ومبادئ عامة يتكرر اللجوء إليها.

من تلك المبادئ العامة أن البحث عن طبيعة فضيلة ما يجب أن يكون "موضوعياً"، أى يجب أن كون مستقلا عن الأشخاص. ويظهر هذا فى محاورتنا حين يحاول أوطيفرون تعريف التقوى بأنها "مثلما أفعل أنا"، فيبين له سقراط أن المطلوب إنما هو الوصول إلى تلك الخصائص المميزة للتقوى سواء فى حالة ما يفعل هو أو فى حالة غيرها. ولتأكيد هذا الاتجاه الموضوعى فإنه كثيراً ما يشير أفلاطون فى محاوراته إلى أمثلة مأخوذة من ميدان الرياضيات أو ، بصفة عامة، من ميدان المعارف الدقيقة، ونجد هنا إشارة إلى المقياس وإلى الميزان (٧جـ)، اللذين نلجأ إليهما لحسم الخلافات فى ميدان معين. ولكن "الموضوعية" يمكن أن تؤخذ بمعنى مختلف قليلاً عن المعنى السابق، وإن يكن على اتصال به، فيكون

المقصود بها أن للفضائل والقيم، التى تبحث عن تعريفاتها محاورات أفلاطون الأولى، وجوداً خاصاً بها، ومن هنا كانت كل فضيلة منها "شيئاً فى ذاته". ونتيجة هذا أننا نجد فى محاورتنا إشارات إلى التقوى كمعيار أو نموذج، ونجد كذلك فكرة "الإلزام"، فمن طبيعة التقوى أن تجعل الآلهة يحبونها، فهى تلزمهم بذلك وليس لهم ولا للبشر فى ذلك خيار. والسبب البعيد فى هذا هو أنها موجودة بذاتها فى ذاتها ومستقلة عنهم جميعاً. بعد مبدأ الموضوعية هناك مبدأ أن البحث الفلسفى يستهدف العام وليس الجزئى، والجوهرى وليس العرضى، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق، فلن نعود إليه. ومبدأ آخر هو أن أساس البحث هو العقل ووسيلته هى الحجة. وأحياناً ما يشعر القارىء أن المتحاورين ليسوا فى الحق اثنين بل هم ثلاثة: سقراط ومحدثه ثم الحجة العقلية التى أحياناً ما يشخصها أفلاطون، وهو يفعل هذا فى محاورتنا حين يجعلها "تلف وتدور ولا تبقى ثابتة فى مكانها" (١١ب - د، وكذلك ١٥ ب - جـ)، بل وأحياناً ما يجعلها تتكلم، كما سنرى من بعد فى محاورة "أقريطون". وما دام الأساس هو العقل فإن أفلاطون يرفض النقل، لأن طريق التقليد طريق مختصر، هو طريق السهولة، بينما الواجب فحص كل شىء وعدم التسليم إلا بما نجد أنه مقبول من العقل. ومن هنا كان لابد دائماً من البرهنة على ما يتقدم به المرء، أو بمعنى أدق من تقديم "التبرير" له: "أقول كذا لأن ...". ونجد سقراط فى محاورتنا يؤكد على ضرورة الفحص وضرورة البرهنة فى أكثر من موضع، وخاصة عند تقديم تعريف جديد (مثلا ٧ أ ، ٩أ - ب، هـ، ١٥د).

ولكن الذى يعطى للمحاورة الأفلاطونية طعمها الخاص، وخاصة عند قراءتها للمرة الأولى، هو موقف سقراط أثناء الحوار. ونريد هنا أن نضع النقاط فوق الحروف بصدد مسألة أشرنا إليها سريعاً مرة فى سطور سابقة، ويجب أن نتوقف عندها لحظة هنا. فالموقف الذى سنتحدث عنه هو موقف "سقراط" الشخصية التى نجدها فى المحاورة، ولكننا لا نملك، ولا يملك أحد أياً من كان، أن نؤكد أن هذا الموقف هو موقف سقراط التاريخى. ذلك أنه يجب أن نميز بعناية بين سقراط التاريخى و "سقراط" الشخصية التى يضعها أفلاطون فى المحاورة لتعبر عن آرائه هو. وكما أشرنا من قبل، فإن الصعوبة تكمن فى تمييز كل من السقراطين عن الآخر، وإحدى حالات هذه الصعوبة هى محاورتنا نفسها التى تشير فى قسمها التاريخى، وفى معظم حديثها عن الدين (أو على الأقل فى موقفها من طبيعة الآلهة)، إلى أشياء تخص سقراط التاريخى نفسه فيما يبدو لنا، ولكننا نعتقد أن ما

يبقى منها يجب أن ينسب إلى أفلاطون، وهو، كما يجب ألا ننسى، ليس فقط كاتب المحاورة بل ومؤلفها. إذن فموقف "سقراط" الذى سنتحدث عنه هنا خلال حواره مع أوطيفرون هو موقف شخصية المحاورة والذى ينطق باسم أفلاطون.

أول موقف يتخذه سقراط، والذى يسير عليه أيضاً طوال المحاورة، هو موقف "الجهل"، أو بمعنى أدق إدعاء الجهل الذى يصل إلى حد السخرية الواضحة عندما يطلب من أوطيفرون أن يتخذه تلميذاً له حتى يحتمى بعلمه أمام اتهامات مليتوس (مثلا ٥أ – ب، ٦أ – ب، ٩أ). وإذا كان إدعاء الجهل إحدى كفتى ميزان، فإن الكفة الأخرى هى رفع قدر المتحدث الآخر حتى تنتفخ أوداجه فيقبل على الحديث مع سقراط والإفضاء بما لديه وهو شاعر بالأمان، وذلك على نحو تتضخم معه أخطاؤه بمقارنتها مع ثقته بنفسه وبادعاءاته (مثلاً ٤هـ – ٥أ، ٥ب – جـ، ٦هـ، ٩ب، وخاصة ١٢أ). الموقف التالى لسقراط هو موقف تقبل الإجابة عن سؤاله والبدء فى الفحص. ونموذج له كلامه فى ٧أ، وهو نص هام لأنه جامع: "عظيم جداً يا أوطيفرون. إنك تجيب على النحو الذى كنت أريد. ولكن هل هذه الإجابة صحيحة؟ هذا ما لا أعلمه بعد. ولكنه من المتفق عليه أنك ستوضح تفصيلا صحة ما تقول". ومن أخص ميزات طرق سقراط فى الفحص لجوؤه إلى ما يسمى "بالاستقراء"، أى إيراد أمثلة كثيرة يمكن معها الحكم بوضوح على مبدأ عام أو حتى على حالة خاصة مماثلة (ونحن هنا أمام "إرث" أخذه أفلاطون عن سقراط التاريخى) (انظر مثلا ٧ب – جـ، ١٣أ وما بعدها، ١٤ أ). ويتصل بالاستقراء، باعتباره طريقة من طرق استخدام الأمثلة، الاهتمام بالتحليلات اللغوية. فميدان اللغة أحد الميادين التى يكثر أفلاطون من استخدامها كمصدر للأمثلة، ولدينا فى هذه المحاورة نموذج هام لهذا الاستخدام، وهو الكلام عن الفرق بين الأفعال "الموجبة" والأفعال "الانفعالية" (المقابلة فى العربية للمبنى للمعلوم والمبنى للمجهول)، ولعل السطور التى خصصها أفلاطون لهذا التمييز (١٠أ – جـ) من أول ما كتب فى هذا الموضوع فى التأليف اليونانى. وهكذا نجد أن محاورتنا تهم، عرضاً، تاريخ علم النحو اليونانى.

بعد عدد من المحاولات لتقديم تعريف مُرض، نرى المتحدث مع سقراط وقد ثبطت همته وفقد شجاعته. ويقول أوطيفرون: لم أعد أدرى يا سقراط كيف أعبر

عن أفكارى. إننى أعرف كل هذه الأمور معرفة جيدة، ولكنى لا أدرى لم لا أستطيع التعبير عما أعرف تعبيراً دقيقاً. هذه هى لحظة الارتباك (aporia) التى نجدها فى معظم محاورات أفلاطون، والتى يكون المتحدث مع سقراط أثناءها عدوانياً فى بعض الحالات، فيتهم سقراط بأنه هو السبب فيما يشعر به من عجز. ويجدر أن نشير إلى الموقف الخاص لهذه اللحظة فى محاورتنا. فبعد أن يعترف أوطيفرون بعجزه (١١ب)، نجد أن سقراط هو الذى يبدأ بالهجوم عليه، قائلا إن تعريفاته كأنها تماثيل دايدالوس الأسطورية التى كان يقال إنها تتحرك. ويقتصر أوطيفرون، الذى أشرنا فى البداية إلى موقف الاحترام الذى يقفه من سقراط، على رد المزاح بمثله قائلا إنه يبدو أن سقراط هو نفسه دايدالوس المناقشة بينهما، أى الذى لا يجعل التعريفات تثبت وتقف فى مكانها. وبصفة عامة فإن لحظة الارتباك تهيئ المتحاور مع سقراط لقبول الأفكار التى يقترحها هذا الأخير، والتى تسمح بالسير على الطريق الصحيح فى نظر أفلاطون للوصول إلى تعريف مقبول. وهكذا نجد أن سقراط يبعث الشجاعة من جديد فى قلب أوطيفرون، ويقترح عليه بداية طريق جديد، وذلك بعد أن كان موقف سقراط فى القسم السابق من الحوار مقتصراً على تلقى اقتراحات أوطيفرون، ويقول له: "ألا ترى أنه من الضرورى أن يكون كل ما هو تقى عدلا؟" (١١هـ). وما يفعله سقراط هكذا هو تحديد "الجنس" الذى تندرج تحته التقوى، ويضرب لأوطيفرون مثلا العلاقة بين الخشية والاحترام، فالاحترام قسم من الخشية ويندرج تحتها (١٢ أ وما بعدها)، ويبقى تحديد هذا القسم من العدل الذى هو التقوى، ووضع اليد على سماته المميزة (أى ما سيسمى من بعد فى المنطق بالخاصة المميزة). والمثل على ذلك هو تعريف الأعداد الزوجية، فجنسها هو العدد، أما سمتها المميزة فهى أنها تلك الأعداد التى تنقسم إلى اقسام متساوية. وبعد أن يضرب سقراط هذا المثل، يقول: "والآن حاول أن تعلمنى، على نفس هذه الطريقة، أىّ جزء من العدل هو التقوى". ولا شك أن فى هذه العبارة شيئاً من "السخرية" السقراطية، ولكن أوطيفرون لا يفلح فى الإمساك بالخيط الذى مده سقراط إليه ويتحول إلى اتجاه آخر (١٤ جـ)، لا يسفر بدوره إلا عن نتيجة سلبية. والعبارات الأخيرة من المحاورة (١٥جـ وما بعدها) نموذجية لنهايات محاورات الشباب الأفلاطونية (انظر مثلا نهاية "هيبياس الكبرى")، فهى تكشف فى سخرية قاسية عن البون الشاسع القائم بين إدعاء العلم عند المتحاور مع سقراط والمعارف الفعلية التى يحوزها.

" أوطيفـرون "

(أو : عن التقوى)

شخصيات الحوار: سقراط ، أوطيفرون

٢ [٢أ] أوطيفرون: ماذا جد من جديد يا سقراط حتى تترك مجالسك فى اللوقيون[١]، وتأتى إلى هنا تقضى وقتك بجوار رواق[٢] "الملك"؟ فلا يمكن من غير شك أن تكون لك قضية أمام "الحاكم – الملك"؟

سقراط: ليس الأمر أمر ما يسميه الأثينيون "قضية" على الدقة يا أوطيفرون، بل هو أمر ما يسمونه "بالادعاء العام"[٣].

[ب] أوطيفرون: ماذا تقول؟ لابد أن أحداً، فيما يظهر، يرفع عليك أنت إدعاء، لأننى لا يمكن أن أتصور أن تكون أنت الذى يرفع إدعاء على آخر[٤].

سقراط: كلا ، فى الواقع.

أوطيفرون: إذن فشخص آخر يرفع عليك أنت إدعاء؟

سقراط: تماماً.

---

(١) هو أحد ملاعب ثلاثة رئيسية فى أثينا كان الشباب يتلقى فيها تربيته الرياضية، وكانت تقع خارج أسوار المدينة. وكثيراً ما كان سقراط يختلف إلى هناك ليلتقى بالشباب وبغيرهم (انظر مثلا محاورة "أوثيديموس"، ٢٧١ أ وما بعدها).

(٢) هذا المبنى هو مقر "الحاكم – الملك"، وهو ثانى "حكام" تسعة لم تكن لهم فى الواقع إلا وظائف شرفية وخاصة فى الميدانين الدينى والقضائى. و"الحاكم – الملك" كان مختصاً بشئون المنازعات الدينية، وسنرى أن سقراط كان متهما بعدم الاعتقاد فى آلهة المدينة. واسم "الملك" هنا ليس بذى دلالة فعلية.

(٣) كان "الادعاء" (graphê) يختلف عن الاتهام (dikê) فى أن الأخير كان ذا صبغة شخصية، وهذا هو حال اتهام أوطيفرون لأبيه كما سنرى. أما الادعاء فكان ذا صبغة عامة لأن أمره يمس الدولة والمدينة كلها، وتهمة إفساد الشباب والتهم الدينية التى سيتضمنها إدعاء مليتوس ضد سقراط لا تخص مليتوس بشخصه بل تخص الدولة الأثينية بأسرها. انظر كذلك ٢جـ.

(٤) نعرف من "الدفاع" (١٧د) أن سقراط لم يظهر قط أمام أية محكمة.

أوطيفرون: ومن هو هذا الشخص؟

سقراط: هو رجل لا أعرفه أنا نفسى معرفة جيدة يا أوطيفرون، فهو فيما يبدو لى شاب ومجهول(٥)، ولكنه يسمى بحسب ما أعتقد، مليتوس، وهو من حى(٦) بتثيوس. هل لديك فكرة عن شخص من بتثيوس اسمه مليتوس، ذى شعر ناعم، قليل شعر الذقن وذى أنف معوجة قليلا؟

أوطيفرون: لا أتذكر شخصا بهذا الوصف يا سقراط. ولكن ما هو الإدعاء [جـ] الذى أقامه عليك؟

سقراط: تسألنى أى ادعاء؟ إنه ادعاء ليس بغير أصالة فى رأيى. ذلك أنه ليس بالشىء الهين أنه استطاع، وهو فى هذه السن الصغيرة، الوصول إلى حكم بخصوص مسألة لها مثل هذه الأهمية: ذلك أنه يعرف، فيما يقول، بأية طريقة يُفسَد الشباب، ويعرف من هم الذين يفسدونه. ولعله يكون عالما من العلماء، فقد انتبه إلى جهلى الذى يجعلنى أفسد الشباب الذين من سنه، وجاء يتهمنى أمام المدينة، وكأنها الأم. واعتقد أنه الوحيد بين رجال السياسة [د] الذى يبدأ الطريق على الوجه الصحيح، لأنه من الصواب البدء بالعناية بالشباب أولا حتى يصير أفضل ما يمكن، وذلك كما يفعل الزارع البارع الذى يوجه عنايته أولا، كما ينبغى، إلى النبت الصغير، ثم يعتنى بعد ذلك بالنباتات الأخرى. وهكذا مليتوس: فهو يبدأ

٣ أولاً [٣أ] بإبعادنا نحن الذين نفسد الناشئين من الشباب، فيما يزعم. ومن الواضح، بعدما يكون قد فعل هذا، أنه باعتنائه بعد ذلك بمن هم أكبر سنا سيكون مصدر فوائد عديدة وعظيمة للمدينة، وإنه ليحق لنا أن ننتظر مثل هذا من شخص يبدأ من بداية كهذه.

---

(٥) وهذا هو سبب عدم معرفة سقراط له جيداً، ولنلاحظ أن سقراط كان يعرف الكثيرين من أهل المدينة، وخاصة المشتغلين منهم بأمور الفكر والسياسة.

(٦) كان سكان أثينا مقسمين، بعد عصر الإصلاحات الديمقراطية التى تمت على يد كليستينيز، إلى عشر "قبائل" (phulai)، ويندرج تحتها عدد آخر من المجموعات السكانية (أو "الأحياء")، التى يسمى كل منها dêmos. وكان هناك منها فى البدء مائة (عشرة تحت كل قبيلة)، ولكن عددها أخذ فى التزايد بعد هذا. وأحسن ترجمة عربية لهذا اللفظ هى "الحى"، وهو يفضل "البطن"، لأنه ذو دلالة مكانية وسكانية معا كاللفظ اليونانى تماماً.



أوطيفرون: أود هذا يا سقراط، ولكنى أخشى ألا يكون العكس هو ما يحدث. ذلك أنه يبدو لى، ببساطة، حين يشرع فى الإساءة إليك، بادئا أفعاله السيئة فى حق المدينة من القلب نفسه [٧]. ولكن قل لى ماذا فعلت حتى يقول عنك إنك تفسد الشباب؟

[ب] سقراط: أشياء تبدو غريبة جداً عند سماعها، أيها الرجل الرائع. ذلك أنه يقول إننى مخترعُ "آلهة"، ومن أجل أننى أخترع آلهة جديدة ولا أعتقد فى الآلهة القديمة ، من أجل هذا ذاته، فيما يقول، أقام علىّ الادعاء.

أوطيفرون: فهمت يا سقراط. إن مصدر هذا هو ذلك "الجنّى"[٨] الذى تقول إنه يظهر عندك من وقت لآخر. فباعتبارك إذن مجددا فى ميدان المقدسات الدينية هو يرفع عليك تلك الدعوى، ويتقدم هكذا مفتريا عليك أمام المحكمة، عارفا كيف أنه يسهل التأثير على الجماهير بأمثال هذه الافتراءات. ويحدث لى أنا نفسى[٩]، [جـ] عندما أتحدث بشأن أمر من أمور الدين أمام الجمعية العمومية، ومتنبأ لهم بما سيحدث، أن يسخروا منى كأننى مخبول. ورغم هذا، فليس هناك من شيء مما قلته من تبنؤات لم يصدق. إنما هم يغيرون من كل الرجال الذين على شاكلتنا[١٠]، ولكنا لا يجب أن نهتم بهم ولنسر قدما فى طريقنا.

سقراط: ربما لم يكن المهم، يا عزيزى أوطيفرون، أن يكون المرء موضع السخرية. فالأثينيون فى الحقيقة، على ما أعتقد أنا، لا يبالون كثيراً بأن يعتبر

(٧) انظر ص ١٧ فوق.

(٨) daimôn، "الجنى" أو "الروح". وكان هذا النوع من الكائنات الإلهية يحتل فى الديانة اليونانية فى عصر سقراط مكانا وسطا بين الآلهة والبشر وكان واسطة الأولين إلى هؤلاء. وساعد أفلاطون، الذى يقول مثلا إن "إروس" (الحب) "دايمون"، على تأكيد هذا المفهوم عن تلك الفصيلة من الكائنات الإلهية.

(٩) نلاحظ أن أوطيفرون هنا يترك الحديث عن سقراط ليتحدث عن نفسه. ويعرض لنا الجزء التالى مجمل خصائص شخصيته وهى "فى العمل".

(١٠) أى على شاكلة العلماء أو الحكماء. وعلى هذا ملاحظتان: أ) أنه يضم نفسه إلى هذه الزمرة، ب) وعلى الأخص أنه يعتبر سقراط حكيما، وهو يعكس هكذا الصورة التى لدى الأثينيين عن سقراط، وهى التى سينكرها سقراط فى "الدفاع".

المرء نفسه ماهراً حكيماً[11]، وذلك ما دام لا يقوم بتعليم حكمته. ولكن ما أن يعتقدوا أن أحداً يريد جعل [د] الآخر على مثاله، هنا هم يثورون، سواء أكان ذلك بسبب الغيرة كما تقول أنت أو لسبب آخر [12].

أوطيفرون: فيما يخص هذا، فإنه لا تنتابنى أية رغبة فى معرفة شعورهم نحوى.

سقراط: ربما بدوت لهم أنت رجلا لا يجعل نفسه سهل المنال ولا يرغب فى تعليم الحكمة التى لديه. أما أنا فأخشى أننى أبدو لهم، بسبب محبتى للبشر، موزعا ما لدى بغير حساب عندما أتكلم مع كل الناس، وذلك ليس فقط بغير أجر، بل وكذلك دافعا من جيبى فى سرور لمن يرغب فى الاستماع إلىّ. وهكذا، كما كنت أقول، فإذا كانوا يريدون السخرية منى، كما [هـ] تقول أنت إنهم يسخرون منك، فلن يكون هناك سوء فى الهزر معهم وإضحاكهم فى المحكمة. أما إذا كانوا سيأخذون الأمر بجد، فإلى أين هم واصلون؟ هذا هو غير الواضح إلا لكم أنتم أيها المتنبئون.

أوطيفرون: ولكن ربما يكون الأمر هيناً يا سقراط، وتسير قضيتك حسب هواك، كما اعتقد أنا من جانبى فيما يخص قضيتى[13].

سقراط: حقا، ما هى قضيتك أنت؟ هل أنت مدافع أم متهم؟

أوطيفرون: أنا أتهم.

سقراط: تتهم من؟

[٤أ] أوطيفرون: إن اتهامى موجه إلى شخص يجعلنى أبدو مرة أخرى وكأننى مخبول.

سقراط: كيف هذا؟ هل تتهم أحداً له أجنحة يطير بها؟

---

(١١) deinos. والإشارة هنا هى من طرف خفى إلى أوطيفرون نفسه (انظر ٣د).

(١٢) حول هذه الأسباب الأخرى، انظر "الدفاع".

(١٣) أوطيفرون لا يفكر طوال الوقت إلا فى نفسه. ومع هذه العبارة ينتقل الحوار إلى موضوع آخر يمهد للحوار الفلسفى ذاته، ٥ جـ وما بعدها.

أوطيفرون: بل هو أبعد ما يكون عن ذلك، فهو شخص متقدم فى السن كثيراً.

سقراط: من هو هذا الشخص؟

أوطيفرون: هو أبى.

سقراط: أبوك أنت، يا أفضل الناس؟

أوطيفرون: نعم، هو تماماً.

سقراط: بأية تهمة؟ وما موضوع القضية؟

أوطيفرون: القتل يا سقراط.

سقراط: يا هرقل[١٤]! لا شك، يا أوطيفرون، أن الجمهور جاهل بموضوع السلوك الصائب وما يجب أن يكون عليه[١٥]، فلا أعتقد أنه بمستطاع أى شخص [ب] أن يسلك سلوكاً صائباً اللهم إلا إذا كان متقدما على طريق الحكمة تقدماً كبيراً[١٦].

أوطيفرون: بل يجب، وحق زيوس، أن يكون متقدما تقدماً كبيراً.

سقراط: ولكن الذى قتله أبوك، هل هو أحد أقربائك؟ فسؤالى له ما يبرره، أليس كذلك؟ فلا يعقل أن تهاجم أباك بتهمة قتل أحد من الغير[١٧].

أوطيفرون: إنه لمن المضحك يا سقراط أنك تعتقد أنه يجب التمييز بين حالة أن يكون المقتول من الغير أو أن يكون قريباً، على حين أن هناك شيئاً واحداً فقط يجب الالتفات إليه: وهو إن كان القاتل قد قتل عدلا أم لا، فإن كان عدلا فلندعه، وإلا فلنهاجمه بالاتهام، حتى وإن كان القاتل [جـ] يشاركك نار منزلك[١٨] ويأكل

(١٤) أو "يا للهول" كما قد يقول البعض. وهرقل أحد الأبطال الأسطوريين المشاهير عند اليونان.

(١٥) حتى أنه لا يعتقد أنه من الواجب معاملة الأب هذه المعاملة.

(١٦) هذا أساس سقراطى كبير، وسيتكرر ذكره والاعتماد عليه خلال الحوار. ولكن الأغلب أن الحكمة (sophia) التى يقصدها سقراط (أى المعرفة العقلية) لا تعنى فى ذهن أوطيفرون نفس الشىء، ولعله يأخذ هذه الكلمة بمعنى المهارة والحذق وسعة الحيلة وكلها معان تقبلها فى اليونانية.

(١٧) أو: "من الغرباء".

(١٨) لا شك أن هذا يعود إلى تأثيرات دينية ضاربة فى القدم، حيث كان للنار فى المنزل مكانة دينية عظيمة.

على نفس المائدة مثلك. لأن الدنس[١٩] سيكون واحداً فى حالة أن تعيش معه عارفا بأمر مثل هذا الرجل وكذلك فى حالة ألا تتطهر أنت وهو معا بتقديمه للمحاكمة. والواقع أن الميت كان أحد العاملين عندى، ولما كنا نقوم بزراعة الأرض فى ناكسوس[٢٠]، فإنه كان يعمل أجيراً عندنا هناك. وفى أحد الأيام شرب حتى ثمل، وهاج فى أحد خدمنا حتى قطع له رقبته. فجعل والدى قدميه ويديه توثقان، وألقى به فى حفرة، وأرسل إلى هنا[٢١] رجلا يسأل المفسر[٢٢] عما ينبغى [د] عمله. وأثناء ذلك الوقت لم يهتم بالرجل المقيد الذى أهمله باعتباره قاتلا، ولم يكن يعنيه فى شىء أن يموت، وهو ما حدث بالفعل. فقد قضى نحبه بسبب الجوع والبرد والقيود قبل أن يصل الرسول من قبل المفسر. وهذا على الدقة هو الذى يجعل أبى وأقربائى الآخرين يثورون، حيث أننى من أجل هذا الرجل القاتل أتهم أبى بالقتل، هذا على حين أنه، من جهة، كما يقولون، لم يقتله، ومن جهة أخرى فحتى إذا كان قد قتله، فلما كان الميت قاتلا، فإنه لا يجب الانشغال بمثل هذا الرجل: [هـ] فمن علامات الضلال[٢٣] وعدم التقوى عند الابن أن يتهم أباه بالقتل. إنهم لا يعرفون جيدا يا سقراط ما هى الحقيقة بخصوص التقوى وعدم التقوى فى نظر الدين والآلهة.

سقراط: ولكن هل تعتقد يا أوطيفرون أنك تعرف أنت نفسك معرفة دقيقة كل الدقة ما هو الحق بخصوص الأمور الدينية وبخصوص التقوى وعدم التقوى[٢٤]، بحيث أنك لا تخشى، ما دام الأمر على ما تقول، أن يحدث أن تكون مرتكبا بدورك، بتقديم أبيك للمحاكمة، عملاً غير تقى؟

٥ أوطيفرون: إننى لن أكون نافعا لعمل شىء يا سقراط، ولن يكون [٥أ] هناك فرق بين أوطيفرون وعامة الناس، إذا لم أكن أعرف كل هذه الأشياء معرفة دقيقة.

(١٩) أى عدم الطهر. وأوطيفرون يتكلم هنا باعتباره كاهنا من رجال الدين.

(٢٠) جزيرة كبيرة فى بحر إيجه، وكانت مشهورة بخصبها ونبيذها. كان الفرس يحكمونها، ولكنها خضعت بعدهم لإمبراطورية أثينا.

(٢١) أى إلى أثينا.

(٢٢) الذى يقوم بالفتوى فى الأمور الدينية. ويبدو أنه كان فى أثينا ستة مفسرين، ثلاثة يعينهم الشعب وثلاثة يختارهم وحى الإله أبوللون فى دلفى بناء على ترشيح من الشعب الأثينى.

(٢٣) سنقصد دائما "بالضلال" ضد التقوى.

(٢٤) سقراط يعمم ثم يخصص.

سقراط: إذن، يا أوطيفرون المدهش، فإن أفضل شيء أفعله هو أن أصير تلميذا لك، وأن أدعو مليتوس[٢٥] قبل عرض دعواه للنظر في هذه المسائل ذاتها، قائلا إننى فيما سبق من زمن قد اهتممت أعظم الاهتمام بمعرفة الأمور الدينية، أما الآن، وقد قال إننى أسير على ضلال بخصوص هذه المسائل واخترع اختراعات باطلة، فقد صرت تلميذك. وسأقول له: "إذا كنت موافقا، يا مليتوس، على أن أوطيفرون [ب] عالم عليم بهذه المسائل، فاقبل إذن كذلك أن اعتقاداتى صحيحة، وكف عن مقاضاتى. إما إن لم تكن موافقا على ذلك، فقدمه هو، وهو المعلم، إلى المحاكمة قبلى، وذلك بتهمة إفساد الشيوخ، أى أنا وأبيه هو نفسه، أنا باعتبارى تلميذه، وأبيه للومه له وللعقاب الذى يريد معاقبته به". فإن لم يأخذ بكلامى، وإن لم يقم دعواه عليك أنت بدلا منى ، فإننى سأقول أمام المحكمة نفس هذه الأشياء التى أكون دعوته لأقولها له.

أوطيفرون: نعم وحق زيوس، فهو إن جرؤ على [جـ] رفع ادعاء ضدى، فلسوف أجد، أنا لا أشك فى هذا، نقطة الضعف عنده، وسيكون لدينا الكثير الذى سنقوله فى حقه أمام المحكمة وأكثر مما لديه ضدى.

سقراط: ولأننى أعرف هذا، يا صاحبى العزيز، فإننى أتوق إلى أن أصير تلميذك، واعيا أن أحدا، ولا حتى ذلك المليتوس نفسه، لا يبدو عليه مجرد إدراك وجودك[٢٦]، أما أنا فقد أدركنى وتقبنى على الفور بنظره، حتى أنه يرفع ضدى إدعاءً بالضلال[٢٧]. والآن، بحق زيوس، قل لى ما أكدت منذ لحظات أنك تعلمه علم اليقين. فأى شيء هى فى رأيك التقوى؟ وما هو الضلال [د] سواء كان ذلك فى حالة القتل أو فى أية حالة أخرى؟ أو ليست التقوى هى هى ذاتها فى كل الأفعال؟ وأليس الضلال كذلك هو ضد كل تقوى، ولكنه فى ذاته مشابه لذاته

---

(٢٥) كان يمكن للأطراف المتخاصمة أن "تتفاهم" قبل المحاكمة، مما قد يؤدى إلى إنهاء الخلاف. ولعل أقريطون كان يشير إلى هذه الإمكانية حين يقول فى المحاورة المعروفة باسمه (٤٥هـ) إنه كان من الممكن تلافى المحاكمة.

(٢٦) هذه إشارة واضحة إلى أنه كان شخصية مغمورة فى أثينا رغم كل إدعاءاته.

(٢٧) أو "بالكفر". وقد شهدت أثينا عددا كبيرا نسبيا من هذه القضايا، وكان بعضها موجها ضد فلاسفة.

ويحتفظ بطبيعة[٢٨] معينة واحدة، وذلك إذا نظرنا إلى الأمر من حيث خاصية الضلال ذاتها ومهما يكن الشكل الذى ستكون عليه فى كل الحالات واقعة الضلال؟

أوطيفرون: من غير أدنى شك يا سقراط.

سقراط: فقل لى إذن: ما هى التقوى فى رأيك وما هو الضلال؟

أوطيفرون: فى رأيى بالطبع أن التقوى هى بالضبط ما أفعله الآن، أى مقاضاة المذنب سواء أكان قاتلا أم لصا سارقا للمقدسات أو مرتكباً لأى ذنب آخر من هذا القبيل، وسواء إن حدث [هـ] وكان أباك أم أمك أم أى شخص آخر، أما عدم تقديمه للمحاكمة فإنه سيكون عملاً غير تقى. فانظر يا سقراط إلى الدليل[٢٩] القاطع الذى سأعرضه عليك على أن القانون[٣٠] هو كما أقول، وقد عرضت هذا الدليل بالفعل من قبل على آخر مبيناً أن السلوك الصائب سيكون هذا: ألاّ نغض العين عن صاحب فعل فيه ضلال أيا من كان هو. ذلك[٣١] أنه يأتى على الناس[٣٢] أن ٦ يعتقدوا أن زيوس هو خير الآلهة وأعدلهم، [٦أ] ولكنهم يتفقون مع ذلك أنه قيد أباه نفسه، لأنه كان يلتهم أبناءه بغير عدل[٣٣]، وأن هذا الأب نفسه كان قد شوه بدوره أباه لأسباب أخرى مشابهة، ومع هذا فإنهم يثورون ضدى لأننى اتهم أبي بأنه مذنب، وهم هكذا يتناقضون مع أنفسهم ويتخذون من الآلهة موقفا مغايرا لموقفهم منى.

---

(٢٨) باليونانية: idea.

(٢٩) أى "العلامة"، ومن هنا البرهان. ولاحظ أن دليله ليس حجة عقلية بل هو حكاية تقال، بل وتختلف المصادر فى روايتها.

(٣٠) القانون المقصود هو القانون الدينى، أو بتعبير أدق القاعدة الدينية.

(٣١) هنا يأتى سرد "الدليل".

(٣٢) أو "يحدث أن"، والمعنى هنا أنه واقعة فعلية أن ...

(٣٣) كرونوس (الزمن) هو أصغر أبناء أورانوس (السماء)، وقد شوه أباه بناء على نصيحة أمه (جايا ، الأرض)، فلم يعد بعد ذلك قادراً على مقاربتها. ثم أصبح كرونوس سلطان العالم بمساعدة أقربائه "التيتان" (العمالقة)، وأنجب آلهة كثيرة، منهم زيوس. وكانت جايا قد تنبأت له بأن أحد أبنائه سيعزله عن العرش ويهزمه، فابتلع كرونوس كل أبنائه حتى لا يتعرض لهذا. ولكن القدر منفذ لارادته رغم الآلهة نفسها، فلما ولد زيوس أرسلته أمه بعيداً إلى جزيرة كريت، ووضعت بدله حجراً فى القماط. فابتلعه كرونوس ظانا أنه ولده، ولما كبر زيوس استطاع بمعونة بعض الآلهة إجباره على تقىء كل ابنائه الذين ابتلعهم، وبمساعدة هؤلاء هزمه وقيده وسجنه هو والتيتان.

سقراط: ولكن ألن يكون هذا هو الدافع القائم وراء الادعاء الذى أحاول دفعه عنى؟ فإنه يصعب علىّ، حينما يقول أحد مثل هذه الأشياء عن الآلهة، أن أقبلها[٣٤]. لهذا السبب، فيما يبدو، يقول البعض إنى على خطأ. أما إن كنت أنت نفسك، [ب] وأنت العالم بهذه المسائل، تتفق معهم على هذا، فإنه سيكون ضرورياً، فيما يظهر، أن نسلم نحن كذلك به[٣٥]. فماذا نحن قائلون، ونحن أنفسنا نتفق على أننا لسنا على علم بتلك الأشياء؟ ولكن قل لى، بحق إله الصداقة، هل تعتقد أنت أن هذه الأشياء حدثت حقيقة على ذلك النحو؟

أوطيفرون: بل وحدث ما هو أعجب منها مما تجهل العامة.

سقراط: وهل تعتقد أنت أنه حدثت بالفعل حروب بين الآلهة بعضها والبعض وعداوات مستحكمة ومعارك وأشياء أخرى كثيرة مشابهة يتحدث عنها الشعراء ويزين بها [جـ] الرسامون المهرة معابدنا، هذا بالطبع إلى جانب ذلك الرداء الزاخر بتلك الرسومات والذى يساق إلى الأكروبوليس فى أعياد الباناثينيون الكبرى[٣٦]؟ هل تقول يا أوطيفرون أن كل ذلك حقيقى؟

أوطيفرون: ليس هذا فقط يا سقراط، بل، كما كنت أقول منذ لحظة، وأشياء أخرى عديدة سأحكيها لك عن الآلهة إن أنت أردت، وستذهل عند سماعها[٣٧].

سقراط: لن يدهشنى ذلك. ولكنك ستحكى لى هذه الأشياء مرة أخرى على

(٣٤) يعبر هذا النص عن موقف رئيسى من مواقف سقراط الدينية، وهو نتيجة طبيعية لتطور الفكر الدينى اليونانى. وهذه الأساطير غير اللائقة ستجعل أفلاطون يقف فى "الجمهورية" موقفا متشددا من الشعراء الذين ينشرونها، وعلى رأسهم هوميروس، وسيطالب بطردهم من المدينة الفاضلة.

(٣٥) الخضوع ظاهرى، والسخرية واضحة، انظر كذلك السطور التالية مباشرة.

(٣٦) كان يحتفل بالباناثينيون، وهو أقدم الاحتفالات الأثينية وأهمها، مرة كل عام، وتأخذ الاحتفالات أهمية خاصة فى العام الرابع (ومن هنا "الكبرى")، وكان يعقد فى وقت يقع بين يوليه وأغسطس فى يوم كان يعتقد أنه يوم ميلاد الإلهة أثينا ربة المدينة. ومن بين مظاهر الاحتفال سوق ثوب مطرز إلى تمثال الإلهة فى الأكروبولس، وكان يحمل على صارى سفينة مدفوعة فوق عجلات، وعليه رسومات تمثل صراع الآلهة والعمالقة. والأكروبوليس هو قمة المدينة ومن هنا قلعتها، وكانت عليه معابد متعددة.

(٣٧) لم يكن للديانة اليونانية نص مكتوب، بل كان الشعراء هم مصدر الأساطير، وهكذا كانت إمكانية التغيير الذى يلعب فيه الخيال والمقاصد الخاصة دورا كبيرا.

راحتك. أمـا الآن فلنحاول أن تجيب عن سؤالى الذى طرحته عليك منذ لحظات، [د] وذلك على نحو أوضح مما فعلت. ذلك أنك، أيها الصاحب، لم تعلمنى بما قلت تعليما كافيا حول سؤال: التقوى، ما هى؟ إنما الذى قلته هو أن هذا الذى تفعله الآن، أى مقاضاة أبيك على أنه قاتل، يحدث أن يكون شيئاً تقيا.

أوطيفرون: وكان ما قلته لك حقاً يا سقراط.

سقراط: ربما كان كذلك. ولكن هناك، يا أوطيفرون، أشياء أخرى كثيرة تعتبر أنت أنها تقية.

أوطيفرون: بالطبع.

سقراط: فتذكر إذن أن هذا ليس هو ما طلبت منك أن تعلمنيه، أى شيئاً أو شيئين من بين عشرات الأشياء التقية، بل تلك الصورة[٣٨] ذاتها التى بها يصير كل شىء تقيا، حيث أنك قلت فعلا إن هناك "شكلا"[٣٩] وحيداً [هـ] تكون به الأشياء غير التقية غير تقية والتقية تقية. أم أنك لا تتذكر ذلك؟

أوطيفرون: بل أتذكره.

سقراط: فعلمنى الآن إذن: هذا "الشكل" نفسه ماذا يمكن أن يكون، وذلك حتى أضعه أمام ناظرى مستخدما إياه كنموذج، حتى إذا ما ماثله أحد أفعالك أو أفعال غيرك قلت إنه تقى، وإن لم يماثله لا أعتبره كذلك.

أوطيفرون: إن كانت هذه هى رغبتك يا سقراط، فسأجيبك بما تريد.

سقراط: ولكن هذا هو ما أريد.

٧ أوطيفرون: إذن فالتقى هو ما كان محبوباً ومقبولا[٤٠] من الآلهة، [٧أ] أما ما لم يكن محبوبا منها فهو غير تقى.

---

(٣٨) باليونانية: eidos.

(٣٩) idea، وهذا اللفظ، واللفظ السابق، ومعانيهما متقاربة، سيطلقان من بعد على "المثل" الأفلاطونية، فكأن محاورتنا هذه "معمل" يجرى فيه أفلاطون تجاربه، وإن كان هذا لا يعنى أنه يفكر من الآن فى نظرية المثل. السطور التالية فى النص توضح ما يقصده أفلاطون هنا "بالصورة" أو "بالشكل".

(٤٠) بهاتين الكلمتين معا نترجم اليونانى prosphilês.

سقراط: عظيم جدا يا أوطيفرون. لقد أجبتنى الآن على الطريقة التى كنت أسعى من أجل أن تجيب عليها. ولكن هل هذه هى الإجابة الصحيحة؟ هذا ما لا أعلمه بعد. ولكن من المفهوم أنك ستبين بالتفصيل كيف أن ما تقول صحيح وحق.

أوطيفرون: من غير أدنى شك.

سقراط: والآن هيا إلى فحص ما تقول(٤١). الشيء المحبوب من الآلهة والشخص المحبوب من الآلهة كلاهما تقيان، والشيء والشخص المكروهان من الآلهة ليسا بالتقيين، ومن جهة أخرى فإن التقوى والضلال ليسا نفس الشيء، بل هما متضادان إلى أبعد الحدود.

أوطيفرون: الأمر كذلك بالطبع.

سقراط: ويبدو لك كذلك أن قولنا صحيح(٤٢).

[ب] أوطيفرون: أعتقد ذلك يا سقراط، فهذا هو ما يقال.

سقراط: ولكن(٤٣) ألا يقال كذلك، يا أوطيفرون، أن الآلهة فى شقاق، وأنها على نزاع مع بعضها البعض، وأن هناك عداوات متبادلة بينها؟

أوطيفرون: يقال هذا بالفعل.

سقراط: ولكن العداوة والغضب أليس مصدرها، يا أفضل الرجال، هو النزاع حول مسائل معينة؟ فلنفحص الأمر على النحو التالى. إذا نحن تنازعنا، أنا وأنت، بخصوص الأعداد حول أى عدد من عددين أكبر، هل سيجعلنا نزاعنا حول هذه المسائل نعادى كلا منا الآخر ونغضب، أم أننا سنبدأ فى الحساب [جـ] لننهى الأمر سريعا؟

---

(٤١) هنا تبدأ مرحلة الفحص بعد تعريف أوطيفرون المطابق لشروط سقراط.

(٤٢) تم أولا إصدار قضية، ويتم الآن الإتفاق على صحتها. وسنلاحظ أن إجابة أوطيفرون التالية تدل على المصدر الذى يعتمد عليه بصدد الصواب والخطأ، ألا وهو "ما يقال"، أى التراث ورأى الجمهور.

(٤٣) هنا يعارض سقراط ما قاله محادثه بقول من نفس المصدر الذى تعتمد عليه إجابته السابقة، أى "ما يقال".

أوطيفرون: تماما.

سقراط: وإذا نحن اختلفنا حول الأكبر والأصغر فى الحجم، ألن نذهب إلى المقياس لنضع حدا سريعا للخلاف؟

أوطيفرون: هو كذلك.

سقراط: وإذا كان الأمر يخص الأثقل والأخف، فإننا سنلجأ، فيما أظن، إلى الوزن ليفصل بيننا؟

أوطيفرون: وكيف لن نفعل ذلك؟

سقراط: والآن: ما هى الموضوعات التى نختلف حولها وليس من الممكن الوصول إلى قرار بشأنها فنعادى بعضنا بعضا ونغضب؟ ربما ليس الأمر واضحا أمامك، ولكن انظر، بينما أنا أتكلم، [د] إن لم تكن تلك الموضوعات هى العدل والظلم والجمال والقبح والخير والشر. أليست هذه هى الأشياء التى نختلف حولها ولا نستطيع الوصول بشأنها إلى حكم مرض، فننتهى، عندما يحدث ذلك، إلى أن نصير أعداء لبعضنا البعض، أنا وأنت وكل البشر الآخرين؟

أوطيفرون: هذا هو النزاع بالفعل يا سقراط، وهذه هى الموضوعات التى يكون بشأنها.

سقراط: والآن ماذا عن الآلهة يا أوطيفرون؟ إذا كانوا يتنازعون، أفلن يكون نزاعهم حول هذه الأشياء نفسها؟

أوطيفرون: هذا ضرورى ضرورة مطلقة.

[هـ] سقراط: وهكذا يا أوطيفرون النبيل، فإن الآلهة، بحسب ما تقول أنت، يذهب بعضها وجهة والبعض الآخر وجهة أخرى حول ما هو عدل وما هو جميل أو قبيح، خير أو شر. ذلك أنه ما كان ليكون هناك شقاق بين الآلهة بعضها مع بعض لو لم تكن فى نزاع حول هذه المسائل. أم ماذا؟

أوطيفرون: صواب ما تقول.

سقراط: وهكذا فإن كلا منهم يحب الأشياء التى يعتبرها خيرا وعدلا، أما الأشياء المضادة لهذا فإنه يكرهها.

أوطيفرون: تماما.

٨ سقراط: وبحسب ما تقول فإنها نفس الأشياء التى يعتبرها البعض عدلا [٨أ] والبعض الآخر ظلما، والتى ينقسمون بشأنها فيصحبون فى شقاق ويتحاربون مع بعضهم بعضا. أو ليس الأمر كذلك؟

أوطيفرون: هو كذلك.

سقراط: على ما يظهر إذن، فإن نفس الأشياء يكرهها بعض الآلهة ويحبها البعض الآخر، فالمكروه من الآلهة والمحبوب من الآلهة هو واحد ونفس الشىء(٤٤).

أوطيفرون: يظهر هذا.

سقراط: وهكذا إذن يا أوطيفرون، بحسب هذه البرهنة، فإن الأشياء التقية والأشياء غير التقية هى واحد ونفس الشىء.

أوطيفرون: قد يكون هذا(٤٥).

سقراط: إذن فأنت، أيها الصديق المدهش، لم تجب عن سؤالى، لأننى لم أكن أسألك عن هذا: ما هو تقى وغير تقى فى نفس الوقت. فعلى ما يبدو فإن ما تحبه الآلهة هو أيضا ما تكرهه الالهة. [ب] وهكذا فليس من العجب يا أوطيفرون أنك بما تفعله الان معاقبا لأبيك، ليس من العجب أنك بسلوكك هذا تفعل شيئا محبوبا من زيوس، ولكنه مكروه من كرونوس ومن أورانوس، ومحبوبا من هفايستوس ولكنه مكروه من هيرا(٤٦)، وهكذا نفس الشىء مع الآلهة الآخرين إن كان أحدهم

---

(٤٤) ولكن هذه الهوية أو الذاتية (٧هـ - ٨أ) غير مقبولة لأنها متناقضة. والسبب البعيد لهذا التناقض هو إقامة الأخلاق على أساس الديانة التقليدية، وعلى الأخص على أساس طبيعة الالهة وعلاقاتهم فى نظر هذه الديانة.

(٤٥) أوطيفرون يبدأ فى التراجع بهذه الإجابة غير الحاسمة.

(٤٦) هيرا إلهة أسطورية، ابنة كرونوس الكبرى، وصاحبة زيوس. ولدت منه هفايستوس إله النار (وعند هزيود فإنه ابنها هى وحدها)، وكان قبيحا إلى درجة أنها خجلت أن يكون لها ابن بهذا القبح، فرمت به من جبل الأولمبوس، مقام الآلهة، إلى المحيط، حيث بقى هناك سنوات تسعا أتقن خلالها الفنون وصنع عرشا ذهبيا له قيود لا تراها العين، وأرسله إليها انتقاما منها، فما أن جلست عليه حتى قيدت إلى المقعد إلى درجة أن أحدا لم يستطع أن-

على خلاف حول هذا مع إله غيره.

أوطيفرون: ولكنى لا أرى يا سقراط أن أحداً من الآلهة يخالف آخر حول هذه المسألة: أنه يجب معاقبة ذلك الذى قتل شخصا ظلما.

سقراط: كيف؟ وبين البشر، يا أوطيفرون، هل سمعت أبدا أحدا [جـ] ينازع فى أن من قتل ظلما أو فعل فعلاً ظالماً آخر يجب أن يعاقب؟

أوطيفرون: بالعكس، إنهم لا يتوقفون عن منازعة هذا فى كل مكان وخاصة فى المحاكم. فهم يرتكبون الظلم فوق الظلم، ومع ذلك يفعلون ويقولون كل ما فى مستطاعهم من أجل الإفلات من العقاب.

سقراط: وهل يسلمون يا أوطيفرون بأنهم مذنبون؟ وإذا سلموا بهذا هل يعترفون مع ذلك أنه يجب عليهم أن ينالوا عقابهم؟

أوطيفرون: هذا؟ أبداً.

سقراط: إذن فهم لا يفعلون ولا يقولون ما يجب عليهم. فهم لا يجسرون، فيما يبدو، على قول أن [د] من أذنب لا يجب أن يعاقب. هم لا ينازعون فى هذا، ولكنهم لا يقولون، فيما أعتقد، إنهم أذنبوا. أليس كذلك؟

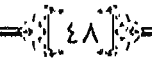
أوطيفرون: هذا صحيح.

سقراط: فهم إذن لا ينازعون فى هذا: أن المذنب يجب أن يلقى عقابه، إنما كل الذى ينازعون فيه هو: من هو المذنب وماذا فعل ومتى.

أوطيفرون: هذا صحيح.

سقراط: ولكن أليس هذا هو نفسه ما يحدث مع الآلهة ما داموا فى شقاق حول موضوع العدل والظلم كما قلت أنت نفسك، وبعضهم يقول إن الأخرين أساءوا فى حقهم، والبعض الآخر ينكر ذلك؟ لأنه ليس هناك، يا صديقى المدهش، من أحد بين الآلهة أو [هـ] البشر يجسر على قول إن المذنب يجب ألا يعاقب.

=يخلصها منه، وبهذه الحيلة تمكن هفايستوس من العودة إلى جبل الأولمبوس. وهكذا، فإن سلوك أوطيفرون سيكون محببا إلى هفايستوس ومكروها من هيرا.



أوطيفرون: نعم، أنت على حق فى قول هذا يا سقراط، على الأقل فى الخطوط الرئيسية.

سقراط: ولكن يبدو لى، يا أوطيفرون، أن المتنازعين، من البشر أو الآلهة، إن كانت الآلهة تتنازع، يتنازعون على أفعال بعينها. فموضوع النزاع يكون سلوكاً ما، البعض يدعى أنه قام بهذا السلوك عن عدل، والبعض الآخر أن ذلك تم عن ظلم. أو ليس الأمر كذلك؟

أوطيفرون: تماماً.

٩ [٩أ] سقراط: فهيا إذن، يا عزيزى أوطيفرون، علمنى حتى أصير أكثر علماً: ما هو الدليل الذى لديك على أن كل الآلهة تعتبر أن ذلك الشخص مات ظلماً، وهو الأجير الذى صار قاتلا، وقيده سيد المتوفى، ولكنه مات بسبب القيد قبل أن يستعلم ذلك الذى قيده من المفسرين عما يجب عمله، وعلى أنه، فوق ذلك، من الصواب للابن أن يقدم فى مثل هذه الحالة أباه نفسه للمحاكم ويتهمه بالقتل؟ هيا وحاول [ب] أن تجعلنى أرى بوضوح أن كل الآلهة جميعاً يعتبرون هذا السلوك صواباً. وإذا أنت برهنت لى على ذلك برهاناً كافياً، فلن أتوقف يوما عن مديح علمك.

أوطيفرون: ربما لم يكن هذا عملا هينا يا سقراط، ولكنى سأستطيع أن أبرهن لك على ذلك برهانا كامل الوضوح.

سقراط: أنا فاهم: فأنت تعتقد أننى أصعب فى الإقناع من القضاء، حيث إنه يبدو كالشمس أنك ستبرهن لهم أن تلك الفعلة ظالمة وأن كل الآلهة يكرهون أمثالها(٤٧).

أوطيفرون: بكل وضوح يا سقراط، على شريطة أن ينصتوا إلى ما أقول.

[جـ] سقراط: بل إنهم سيستمعون إليك، على شرط أن يبدو لهم أنك تحسن

---

(٤٧) لا شك أن كثيرا من الأثينيين عرفوا عن كثب كيف أن إقناع مئات المستمعين، باستخدام وسائل الخطابة السائدة، كان أسهل من التغلب على سقراط بمفرده. انظر مثلا محاورة "بروتاجوراس"، حيث نرى السفسطائى الكبير ينتزع التصفيق من العديد من الحاضرين، ولكنه يقف مكتوف الأيدى أمام أسئلة سقراط الصغيرة التى تتتابع لتنتج فى النهاية حيرة وارتباكا لم ينتبه المتحاور إلى أنه يغوص فيهما شيئا فشيئا. انظر السطور التى ستلى فى النص، وراجع ٥أ – ب.

الكلام. ولكن ها هى فكرة خطرت لى بينما كنت تتكلم، وتدبرتها بينى وبين نفسى: "إذا حدث وعلمنى أوطيفرون على أفضل نحو ممكن كيف أن كل الآلهة تعتبر هذه الميتة شيئاً ظالماً، فهل سيكون أوطيفرون قد علمنى مع هذا ما هى طبيعة التقوى وما هى طبيعة الضلال؟ فهذا الفعل سيكون بالطبع، فيما يبدو، موضع كراهية الآلهة. ولكنه قد ظهر لنا، منذ لحظات[٤٨]، أنه ليس هكذا تعرّف التقوى وما ليس بتقوى، حيث أنه ظهر أن ما تكرهه الآلهة هو أيضاً ما تحبه الآلهة". لهذا، فإنى أعفيك من هذا الموقف يا أوطيفرون، وإن شئت فإن كل الآلهة [د] تعتبر هذا بالفعل ظلما وأنها جميعا تكرهه. ولكن إذا نحن أدخلنا على تعريفنا تصحيحا: أن ما تكرهه الآلهة جميعاً فهو ضلال، وما تحبه جميعا فهو تقوى، أما ما يحبه البعض ويكرهه البعض الآخر فإنه لا بهذا ولا بذاك، فهل ترغب الآن أن يكون هذا هو تعريفنا للتقوى والضلال؟

أوطيفرون: وما العائق يا سقراط؟

سقراط: لا عائق عندى يا أوطيفرون، ولكن انظر فيما يخصك أنت: هل ستستطيع، إذا بدأنا من هذا الفرض، أن تعلمنى فى سهولة ما وعدتنى به؟[٤٩].

[هـ] أوطيفرون: فيما يخصنى فإننى أرى أن التقوى هى ما أحبته كل الآلهة وأن العكس، أى ما كرهته كل الآلهة، ضلال.

سقراط: إذن، ألن نفحص من جديد، يا أوطيفرون، إن كان قولنا هذا صحيحاً[٥٠]؟ أم سندع الأمر هكذا قابلين له سواء فيما يخصنا أو فيما يخص الآخرين؟ وإذا قال أحدهم إن الأمر على هذا النحو، فهل سنوافق نحن على أنه على ذلك النحو؟ أم يجب علينا أن نفحص ما يقوله القائل؟

أوطيفرون: يجب علينا الفحص. ورغم هذا، فإنه يبدو لى أن هذا الذى قلناه منذ لحظة صحيح.

---

(٤٨) انظر ٨ أ - ب.

(٤٩) وهو تحديد طبيعة التقوى.

(٥٠) كما لاحظنا فإن سقراط يدع متحدثه يقدم أو يوافق على ما شاء من تعريفات، وهو لا يحكم على التعريف مسبقا، بل يعلن أنه لا يدرى إن كان صحيحا أم لا، تاركا القرار لنتيجة الفحص. انظر كذلك ٧ أ.

١٠ سقراط: سنرى هذا، يا صديقى الطيب، على نحو أفضل فوراً. تدبر ما [١٠أ] يلى: هل الفعل التقى تقى لأنه محبوب من الآلهة، أم محبوب منها لأنه تقى؟

أوطيفرون: أنا لا أفهم ما تقول يا سقراط.

سقراط: سأحاول التعبير بشكل أوضح. نحن نقول عن شىء إنه محمول وإنه حامل وإنه مقود وإنه قائد، إنه مرئى وإنه راء، وغير ذلك من العديد مما شابه: هل تفهم ما يجعل كل شىء من هذه الأشياء مختلفاً عن غيره؟

أوطيفرون: نعم يبدو لى أننى أفهم.

سقراط: وكذلك: ألا يوجد شىء محبوب وشىء آخر مغاير له هو المحب؟

أوطيفرون: وكيف لا؟

[ب] سقراط: والآن قل لى: الشىء المحمول هل هو محمول لأن شيئا يحمله أم لسبب آخر؟

أوطيفرون: كلا، بل للسبب الأول.

سقراط: والشىء المقاد بسبب أن هناك من يقوده، والمرئى بسبب أن هناك من يراه؟

أوطيفرون: تماما.

سقراط: وهكذا فليس بسبب أن شيئا ما مرئى أنه يكون هناك من يراه، بل بالعكس: بسبب أن هناك من يراه فهو مرئى، ولا بسبب أن شيئا ما مقاد فيكون مقاداً، بل بسبب أن هناك من يقوده فإنه يكون مقاداً، ولا بسبب أن شيئا ما محمول فيكون هناك من يحمله، بل بسبب أن هناك من يحمله فإنه يكون محمولا. هل يتضح لك الآن يا أوطيفرون [جـ] ما أقصد أن أقول؟ الذى أقصده هو أنه إذا كان هناك شىء يتكون أو ينفعل بفعل ما، فإنه لا يتكون بسبب أنه متكون، بل هو متكون بسبب أنه يتكون. وكذلك فإنه لا ينفعل بسبب أنه منفعل، بل هو منفعل بسبب أنه ينفعل[٥١]. أم أنك لست موافقا على هذا؟

---

(٥١) وهذا يعنى تقديم الفعل من حيث الاهمية على الحالة الناتجة عنه.

أوطيفرون: بل أوافق.

سقراط: والآن أليس المحبوب شيئاً متكونا، أو هو إنفعال[٥٢] تحمله موضوع ما؟

أوطيفرون: تماما.

سقراط: إذن فالحال معه هو على مثال الأمثلة السابقة: فليس بسبب أنه محبوب أن الذين يحبونه يحبونه، بل بسبب أنهم يحبونه فهو محبوب[٥٣].

أوطيفرون: بالضرورة.

[د] سقراط: فماذا تقول الآن إذن عن موضوع التقوى يا أوطيفرون؟ هل هو، بحسب ما تقول أنت، شيء آخر غير أن يكون ما تحبه الآلهة جميعا؟

أوطيفرون: هو كذلك.

سقراط: وهل هذا بسبب أنها تقوى، أم لسبب آخر؟

أوطيفرون: كلا، بل بسبب هذا.

سقراط: إذن فبسبب أنها تقوى فإن هناك من يحبها، وليس بسبب أن هناك من يحبها أنها تقوى؟

أوطيفرون: يبدو هذا.

سقراط: ولكنه من الواضح أنه بسبب أن الآلهة تحبها فإنها محبوبة من الآلهة وعزيزة عندها[٥٤].

أوطيفرون: وكيف لا؟

سقراط: إذن فليس العزيز عند الآلهة والتقى بشيء واحد يا أوطيفرون، ولا أن التقى هو العزيز عند الآلهة، كما تقول أنت، بل كل منهما مختلف عن الآخر.

---

(٥٢) الانفعال هنا بالمعنى الحرفي، أى تقبل فعل ما، فحالة الفاعل هى الفعل وحالة المفعول، أو المفعول فيه، هى الانفعال.

(٥٣) ففعل الحب هنا سابق منطقيا على الحالة الناتجة عنه، وهى أن يكون هناك محبوب.

(٥٤) theophiles ، ويستخدم هذا اللفظ هنا بنفس معنى "المحبوب" كما يظهر من السياق.

[هـ] أوطيفرون: وكيف ذلك يا سقراط؟

سقراط: لأننا اتفقنا على أن التقوى محبوبة لأنها تقوى، وليس أنها تقوى لأنها محبوبة. ألم يحدث ذلك؟

أوطيفرون: بلى.

سقراط: ومن جهة أخرى، فإن العزيز عند الآلهة لأن الآلهة تحبه عزيز عندها بسبب هذه المحبة نفسها، وليس بسبب أنه عزيز عند الآلهة، ليس بسبب هذا أنه محبوب.

أوطيفرون: أنت تقول الحق.

سقراط: ولكن فلنفترض، يا عزيزى أوطيفرون، أن العزيز عند الآلهة والتقى شيء واحد. فى هذه الحالة، إذا كانت التقوى محبوبة لأنها [١١أ] تقوى، فإن العزيز عند الالهة سيكون أيضا محبوبا لأنه عزيز عند الآلهة. ولكن إذا كان العزيز عند الآلهة سيكون عزيزاً عندها بسبب أن الآلهة تحبه، فإن التقوى بالتالى ستكون تقوى بسبب فعل المحبة. ولكنك ترى الآن أن الأمر هو على عكس هذا، وأنهما شيئان بعيدان كل البعد كلٌ منهما عن الآخر، لأن أحدهما يصبح محبوباً بسبب أنه يُحب، أما الآخر فإنه فى طبيعته أن يكون محبوبا وبسبب هذا فإنه يُحب. وهكذا فالذى يحدث يا أوطيفرون هو أننى سألتك عن التقوى ما هى، إلا أنك لا تريد أن تكشف لى عن جوهرها، بل تذكر لى فقط بعض أعراضها، ألا وهو أنه يعرض للتقوى أن تكون محبوبة من كل [ب] الآلهة، أما ما هى فعلا، فأنت لم تقله بعد. فإن شئت، إذن، فكف عن الكتمان[٥٥]، ولنعد إلى نقطة البدء لتقول لى ما هى التقوى فى طبيعتها، سواء فى ذلك أكانت محبوبة من الآلهة أو يأتى عليها أى عرض آخر، فلن يكون نزاعنا حول هذا. فأسرع إذن بإخبارى ما هى التقوى وما هو ليس بتقوى.

أوطيفرون: الحق يا سقراط أننى لا أدرى كيف أنقل إليك ما يدور بفكرى. فكأن كل ما اجتهدنا فى عرضه يلف ويدور حولنا ولا يرغب فى أن يستقر فى المكان الذى نريد أن نضعه فيه[٥٦].

---

(٥٥) انظر ٣ د ، ١٥ هـ.

(٥٦) هنا يدخل أوطيفرون مرحلة الارتباك. قارن محاورة "مينون"، ٩٧ د.

سقراط: إن ما تتقدم به من مقترحات يا أوطيفرون يشبه تماما سلفنا [جـ] دايدالوس(٥٧). ولو كنت أنا الذى قلتها ووضعتها فلربما كُنت سخرت منى، بالضبط بسبب قرابتى معه(٥٨)، من حيث إن أعمالى المصنوعة من كلمات تهرب ولا ترغب فى البقاء فى المكان الذى وضعت فيه. ولكن لما كانت هذه الفروض منك أنت، إذن فيجب البحث عن موضوع آخر للفكاهة. فالواقع أن مقترحاتك ترفض البقاء معك، كما بدا ذلك لك أنت نفسك.

أوطيفرون: الذى يبدو لى أنا يا سقراط هو أن تلك الفكاهة تكاد تنطبق على أقوالنا. فاتجاهها نحو اللف والدوران ونحو عدم البقاء فى مكانها ليس أنا الذى وضعته فيها، [د] إنما أنت الذى يبدو لى أنه دايدالوس، ولو كان الأمر يتوقف علىّ لبقيت فى مكانها حيث كانت.

سقراط: قد يحدث إذن، أيها الصديق، أن أكون قد وصلت إلى درجة من المهارة فى فن هذا الفنان أعظم مما وصل إليه هو: فعلى حين أنه كان قادرا على جعل أعماله وحدها لا تبقى فى مكانها، فإننى، فيما يبدو، أفعل ذلك مع أعمالى ومع أعمال غيرى. ولكن أعجب ما فى فنى هو أننى عالم فيه وقادر بغير إرادتى. إن الذى أريده هو أن تستقر أقوالى وأن تثبت فى مكانها لا تتحرك، وإنى راغب فى هذا أكثر من رغبتى فى أن [هـ] تصير لى كنوز طانطال(٥٩) مضافة إلى مهارة دايدالوس. ولكن يكفى هذا عن ذلك الموضوع. وحيث إنه يبدو لى أنك تفقد همتك(٦٠)، فإننى سأضم جهدى إلى جهدك حتى يتضح كيف يمكن أن تعلمنى

---

(٥٧) شخصية أسطورية تمثل الأعمال اليدوية والفنون، وهو شهير بصنعه أجنحة من الشمع طار بها وابنه فى الهواء لعبور البحر. وينسب إليه صنع تماثيل بأعين مفتوحة تمشى وتحرك أذرعتها.

(٥٨) يبدو أن سقراط يشير هنا إلى صناعة والده وإلى صناعته هو نفسه، وهو فى مقتبل العمر على الأقل، ألا وهى النحت.

(٥٩) ملك أسطورى كان ثريا أعظم الثراء، ولكنه مشهور كذلك بعذابه الأليم فى العالم التحتى (هاديس) حيث يقاسى بسبب الجوع والعطش، هذا بينما الفاكهة والماء أمام عينيه، وكان عظيم الجرائم.

(٦٠) مرحلة جديدة، هى مرحلة التشجيع. وفيها يساعد سقراط محدثه ايجابيا على السير فى الطريق الصحيح.

بخصوص موضوع التقوى. فلا يغلبنك اليأس، إذن، سريعاً. انظر: ألا يبدو لك ضرورياً أن كل ما هو تقى فهو عدل؟

أوطيفرون: نعم.

١٢ سقراط: ولكن هل كل ما هو عدل يكون تقوى هو الآخر؟ أم أن التقوى [١٢أ] عدل دائما، بينما ليس كل ما هو عدل تقوى، بل جزء منه فقط تقوى وجزء آخر غير ذلك؟

أوطيفرون: أنا لا أفهم(٦١) ما تقول يا سقراط.

سقراط: ولكنك أكبر منى علماً بقدر ما أنت أصغر منى سناً. ولكن غزارة علمك تجعلك، كما كنت أقول، تفقد همتك. فهيا أيها الرجل السعيد وجمّع قواك، فليس من الصعب مطلقاً فهم ما أقول. لأن الذى أقول هو الضد تماماً من شعر هذا الشاعر الذى قال:

زيوس خالقه ومنبت كل هذه الأشياء

هو لا يريد معه عراكاً

[ب] لأنه حيث تكون الخشية يكون الخجل والاحترام.

أما رأيى أنا فمختلف عن رأى الشاعر. هل أقول لك كيف؟

أوطيفرون: بالطبع.

سقراط. أنا لا أعتقد أنه "حيث تكون الخشية يكون الخجل والاحترام"، لأن كثيرين ممن يخشون الأمراض والفقر وغير ذلك يبدون لى ممتلئين خشية منها، ولكنهم مع ذلك لا يحترمون على أى نحو تلك الأشياء التى يخشونها. أم ما هو رأيك؟

أوطيفرون: هو هذا.

سقراط: ولكن على العكس من ذلك، فحيث يكون هناك الاحترام تكون هناك الخشية أيضاً. فهل هناك من إنسان يحس بالحرمة وبالخجل أمام عمل ما يستقبحه،

(٦١) حرفيا: " لا أساير" ، "لا أتابع".

ثم لا يخاف [جـ] أو يخشى فى نفس الوقت أن تلحق به شهرة أنه شرير؟

أوطيفرون: بل هو يخشى ذلك بالفعل.

سقراط: إذن، فليس من الصحيح القول بأنه "حيث تكون الخشية يكون الخجل والاحترام"، بل حيث يكون الاحترام تكون هناك الخشية أيضاً، على حين أنه حيث تكون الخشية لا يوجد الاحترام دائماً، لأن نطاق الخشية أوسع فى رأيى من نطاق الاحترام فالاحترام جزء من الخشية، كما أن العدد الفردى جزء من العدد، بحيث أنه لا يوجد دائماً عدد فردى حيث هناك عدد، وإنما حيث يكون هناك عدد فردى فإن هناك عدداً. لا شك أنك تسايرنى الآن، أليس كذلك؟

أوطيفرون: نعم.

سقراط: وما كنت أحاول قوله منذ لحظات[٦٢] هو شيء مماثل لهذا، وذلك حينما سألتك: هل حيث يكون [د] العدل تكون التقوى أيضاً؟ أم أنه حيث تكون التقوى يكون هناك العدل أيضا، ولكن التقوى لا تكون هناك فى كل الحالات التى يكون فيها العدل، لأن التقوى ما هى إلا جزء من العدل؟ هل تقول بهذا أم أن لك رأيا آخر؟

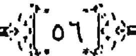
أوطيفرون: كلا ، بل نقول بهذا، لأنه يبدو لى أن كلامك صحيح.

سقراط: والآن انتبه إلى ما سيلى. إذا كانت التقوى جزءا من العدل، فإنه يجب علينا إذن، فيما يبدو، أن نكتشف أى جزء من العدل هو التقوى. لو كنت سألتنى حول بعض الأشياء المذكورة منذ قليل، مثلا أى جزء من العدد هو العدد الزوجى وما هى طبيعة ذلك العدد، لكنت أجبتك بأنه ذلك الذى لا ينقسم إلى عددين غير متساويين بل إلى عددين متساويين. أم ما رأيك أنت؟

أوطيفرون: أنا معك.

[هـ] سقراط: فحاول أنت الآن أن تعلمنى، على نفس ذلك النحو، أى جزء من العدل هو التقوى، وذلك حتى نطلب من مليتوس ألا يستمر فى الإساءة إلينا وفى رفع ادعاء ضدنا بالكفر، حيث إننا سنكون قد تعلمنا على يديك بما فيه الكفاية ما هى الأفعال المبجلة للآلهة والتقية وما ليس كذلك.

(٦٢) انظر ١١ هـ.



أوطيفرون: ها هو ما أعتقد إذن يا سقراط. الجزء من العدالة المبجل للآلهة والتقى هو ذلك الجزء منها الذى يخص العناية بالآلهة، أما ذلك الجزء الذى يخص العناية بالبشر فإنه يكون الجزء الباقى من العدالة.

١٣ سقراط: وأحسنت الإجابة(٦٣)، فيما يبدو لى، يا أوطيفرون. ولكن هناك [١٣أ] شيأ بسيطاً لا يزال ناقصاً. لأننى لا أفهم، بعد، أى شىء تعنى بما تسميه "العناية". أنت لا تقصد من غير شك أن ألوان العناية التى تخص كل الموجودات الأخرى هى من نفس نوع العناية التى تخص الآلهة. ذلك أننا نتحدث فى مواضع أخرى ونقول، مثلاً، إن أى فرد ليس عالماً خبيراً بالعناية بالخيول، وإنما هو مدرب الخيول. أليس هذا صحيحاً؟

أوطيفرون: تماماً.

سقراط: لأن فن تدريب الخيل موضوعه العناية بالخيل.

أوطيفرون: نعم.

سقراط: وليس كل فرد على علم بالعناية بالكلاب، بل هو الصائد بالكلاب.

أوطيفرون: هو كذلك.

سقراط: لأن فن الصيد بالكلاب موضوعه العناية بالكلاب.

[ب] أوطيفرون: نعم.

سقراط: وفن راعى البقر موضوعه البقر.

أوطيفرون: بالطبع.

سقراط: والآن، يا أوطيفرون، فإن التقوى وتبجيل الآلهة موضوعهما الآلهة، أليس هذا هو ما تقول؟

أوطيفرون: نعم.

سقراط: ولكن ألا تهدف كل أنواع العناية إلى تحقيق نفس الشىء؟ ما أقصده هو هذا: كل بذل لعناية يهدف إلى تحقيق خير معين وفائدة معينة لموضوع العناية،

---

(٦٣) حسن الإجابة حسن "صورى"، لأنها تعبر عن تعريف جديد بالمناقشة، أما صحتها فهو أمر اخر.

فأنت ترى مثلا أن الخيول تستفيد من العناية التى يبذلها فن تدريب الخيول وتصير بها أفضل. أم أنك لا تعتقد هذا؟

أوطيفرون: أعتقد هذا.

سقراط: وكذلك فإن الكلاب تستفيد من فن الصيد، [جـ] والبقر من فن تربية البقر، وهكذا بخصوص كل ما شابه. أم أنك تظن أن العناية تهدف إلى إلحاق الضرر بموضوعها؟

أوطيفرون: لا وحق زيوس، لا أظن هذا.

سقراط: بل هى تهدف إلى فائدته.

أوطيفرون: هذا واضح.

سقراط: والآن، ماذا عن التقوى، وما هى العناية التى موضوعها الآلهة؟ هل هى بذات فائدة للآلهة، وهل تجعلهم يصيرون أفضل؟ وأنت، هل ستوافق على أنك حينما تفعل شيئاً تقياً فإنك بهذا تجعل الآلهة أفضل؟

أوطيفرون: كلا، وحق زيوس.

سقراط: ولا أنا أيضاً، يا أوطيفرون، أنا لا اعتقد أنك تقول بهذا، فما أبعد ذلك. ولكن هذا هو السبب الذى من أجله سألتك [د] عن أية عناية بالآلهة كنت تتكلم أنت، حيث إننى لم أكن أعتقد أنك تقصد مثل تلك العناية.

أوطيفرون: وقد أصبت يا سقراط، فليس هذا هو ما أقصد.

سقراط: فليكن. ولكن ما هى تلك العناية بالآلهة التى تكوّن التقوى؟

أوطيفرون: إنها على وجه الدقة يا سقراط تلك العناية التى يقدمها العبيد إلى أسيادهم.

سقراط: فهمت. هى، فيما يبدو، نوع من الخدمة التى تقدم إلى الآلهة.

أوطيفرون: هى كذلك تماماً.

سقراط: وهل تستطيع الآن أن تقول لى الهدف الذى تسعى إلى تحقيقه الخدمة التى يتلقاها الأطباء[٦٤] باعتبارها خدمة لهم؟ ألا تعتقد أن الهدف هو الصحة؟

(٦٤) أى ما يتلقاه الأطباء من مساعديهم، ويرى البعض أن المقصود فن صنع الدواء.

أوطيفرون: أعتقد هذا.

[هـ] سقراط: وماذا عن الخدمة التى يتلقاها بناؤو السفن؟ نحو تحقيق أى هدف تسعى هذه الخدمة؟

أوطيفرون: من الواضح يا سقراط أن الهدف هو بناء السفن.

سقراط: وهدف الخدمة المتعلقة بالمهندسين؟ أليس بناء المنازل؟

أوطيفرون: نعم.

سقراط: والآن قل لى يا أفضل الرجال: فيما يخص خدمة الآلهة، إلى هدف تحقيق أى عمل تسعى تلك الخدمة المتعلقة بهم؟ إنه من المفروغ منه أنك تعرف هذا، وأنت العالم، كما تقول، أكثر من أى شخص آخر بين الناس بأمور الدين.

أوطيفرون: ولقد كنت أقول الحق يا سقراط.

سقراط: فقل لى إذن، بحق زيوس، ما هو ذلك العمل رائع الجمال الذى تحققه الآلهة من اشتغالنا بخدمتهم؟

أوطيفرون: هى أعمال عديدة وجميلة يا سقراط.

١٤ [١٤أ] سقراط: وكذلك أعمال القادة الحربيين، أيها الصديق. ولكنك تستطيع أن تلخص هذه فى سهولة، رغم هذا، بأن تقول إنهم يحققون النصر فى المعركة. أليس كذلك؟

أوطيفرون: بالطبع.

سقراط: والزراع كذلك يحققون، فيما أعتقد، نتائج عديدة وجميلة، ورغم، هذا فإن خلاصة هذه النتائج هى تحصيلهم الغذاء من الأرض.

أوطيفرون: تماماً.

سقراط: وماذا الآن عن الأعمال العديدة الجميلة التى تحققها الآلهة؟ ما هى خلاصة تلك الأعمال؟

أوطيفرون: لقد سبق أن قلت لك منذ قليل يا سقراط [ب] إن تعلم حقيقة كل هذا

على نحو دقيق مهمة مليئة بالصعوبات. ولكنى أستطيع أن أقول لك بصفة عامة إنه إذا عرف المرء كيف يقول ويفعل ما يعجب الآلهة بالدعاء والتضحية، فإن كل هذا سيعد تقوى. وفى هذه الأشياء نجاة العائلات ونجاة المجموعة السياسية(٦٥). أما الأشياء المعارضة لما يعجب الآلهة فإنها ضلال، وهى ما يفسد كل شيء ويؤدى بكل شيء إلى الفناء.

سقراط: فى الحق، يا أوطيفرون، لقد كنت تستطيع، لو أنت أردت، أن ترد على ما سألتك عنه فى خلاصة أقصر من ذلك. ولكنى أرى أنك لا [جـ] تتحمس لتعليمى، هذا أمر واضح للعيان. فقد كنت على وشك ذلك منذ لحظة، ولكنك تراجعت، ولو كنت أجبتنى، إذن لكنت خرجت من الحديث وقد تعلمت منك تعلماً كافياً حول موضوع التقوى. ولكنه من الضرورى فى الواقع أن يتبع المحب محبوبه أينما اتجه به. فما هو إذن، مرة أخرى، تعريفك للفعل التقى وللتقوى؟ أليس أنها علم معين بكيفية التضحية والدعاء؟

أوطيفرون: هو كذلك.

سقراط: والتضحية أليست تقديم شيء كهبة إلى الآلهة، والدعاء طلب شيء منهم؟

أوطيفرون: تماما ، تماما.

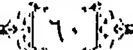
[د] سقراط: وهكذا فإن التقوى، بحسب هذا التعريف، ستكون علم الطلب من الآلهة والعطاء المقدم إليهم؟

أوطيفرون: لقد أبدعت يا سقراط فى فهم ما قلت.

سقراط: ذلك أننى متعطش إلى علمك يا صديقى، وأنتبه إليه بكل عقلى، وهكذا لا أترك شيئاً مما تقول يضيع. والآن قل لى: أى شيء هى تلك الخدمة التى تقدم إلى الآلهة. إنها، كما تقول، تنحصر فى الطلب منهم وفى إعطائهم؟

أوطيفرون: نعم.

(٦٥) المقصود الدولة.



سقراط: ولكن اليس أصوب ما نطلبه هو ما نحن بحاجة إليه منهم، فنطلبه منهم؟

أوطيفرون: وهل هناك غير ذلك لنطلبه منهم؟

[هـ] سقراط: ومن جهة أخرى، فإن أصوب ما نعطيه أليس ما يحدث أن يكونوا بحاجة إليه منا، فنهديه إليهم جزاء ما أعطوا؟ ذلك أنه لن يكون دليلا على المهارة والمعرفة أن يقدم المرء هدية لا يكون الأخر بحاجة إليها.

أوطيفرون: أنت تقول حقاً.

سقراط: وهكذا، يا أوطيفرون، فإن التقوى ستكون نوعاً من فن التبادل التجارى بين الآلهة والبشر.

أوطيفرون: سمّه تبادلاً تجارياً، إن كانت تحلو لك هذه التسمية.

سقراط: أما أنا فلا يحلو لى إلا ما يظهر أنه الحقيقة. ولكن قل الآن: ما هى الفائدة التى تعود على الآلهة من الهدايا التى يتلقونها منا؟ ذلك أن ما يعطونه هم [١٥أ] ظاهر أمام الجميع، أما ما يتلقونه منا، ففيم يفيدهم؟ هل سنتفوق عليهم فى فن التجارة حتى لنتلقى منهم كل الخيرات، ولا يتلقون هم منا شيئاً؟ **١٥**

أوطيفرون: هل تعتقد يا سقراط أن الآلهة تستفيد شيئاً مما تتلقى منا؟

سقراط: وإلا فماذا سيكون شأن العطايا التى يتلقونها منا يا أوطيفرون؟

أوطيفرون: وماذا تظن أنها يمكن أن تكون إلا تشريفاً وتكريماً، أو ، كما كنت أقول منذ قليل، تقربا إليهم بما يعجبهم؟

[ب] سقراط: فى هذه الحالة ستكون التقوى إذن، يا أوطيفرون، ما يعجب الآلهة وليس ما هو مفيد لهم ولا ما هو محبوب منهم؟

أوطيفرون: ولكنى أرى من جانبى أن هذا هو ما يحبونه أكثر من أى شيء آخر.

سقراط: فها نحن إذن من جديد، فيما يبدو ، أمام أن التقوى هى ما تحبه الآلهة.

أوطيفرون: هو كذلك تماما.

سقراط: وتعجب، وأنت تتكلم على هذا النحو، من أن آراءك تبدو وكأنها لا تبقى فى مكانها، بل تتغير من حال إلى حال، ثم أكون أنا الذى تشبهه بدايدالوس الذى يجعلها تتحرك، على حين أنك أنت نفسك أمهر من دايدالوس وتجعلها تدور وتلف على نفسها فى دائرة؟(٦٦) أم أنك لا تدرك أن المناقشة بعد أن قامت بدورة تعود من جديد إلى نفس النقطة؟ [جـ] وأنت تتذكر لا شك أنه قد بدا لنا فيما سبق أن ما هو تقى وما هو محبوب من الآلهة ليسا نفس الشىء، بل هما مختلفان كل منهما عن الآخر. أم أنت لا تتذكر ذلك؟

أوطيفرون: بلى.

سقراط: أولا تنتبه إلى أنك تقول الآن إن المحبوب من الآلهة هو التقى؟ وهل هذا شىء آخر إلا ما تحبه الآلهة؟ أم لا؟

أوطيفرون: تماماً.

سقراط: وهكذا فإما أننا لم نكن على صواب فيما اتفقنا عليه، أو أننا، إن كان اتفاقنا صائباً، لسنا على صواب فيما نتقدم به الآن.

أوطيفرون: يبدو هذا.

سقراط: إذن فيجب أن نعود من جديد إلى نقطة البدء للبحث فى طبيعة التقوى. لأننى فيما يخصنى لن أتراجع خائفاً بإرادتى، قبل أن أصل إلى معرفة ذلك. [د] فلا تقلل من شأنى إذن وجمّع قواك العقلية بكل الطرق لتقول لى الآن الحقيقة على أكمل وجه. ذلك أنك تعرفها كما لا يعرفها أحد بين البشر، ولا ينبغى أن أتركك تذهب قبل أن تتكلم، كأنك بروتيوس(٦٧). فلو لم تكن لديك معرفة أكيدة واضحة بما هى التقوى وما ليس بتقوى، إذن لما كنت شرعت أبداً، بسبب عامل أجير، فى اتهام أبيك الشيخ بتهمة القتل، بل كان سيعوقك عن القيام بهذا السلوك غير المستقيم

(٦٦) لأنه يعود إلى تعريفه السابق.

(٦٧) كان الملك مينيلاوس، أثناء رجوعه من حرب طروادة، قد عاكسته الريح فى البحر وألقت به إلى جزيرة فاروس قرب الساحل المصرى، وكان يقيم عليها هذه الشخصية الأسطورية، فقيده مينيلاوس، ولم يتركه وشأنه إلا بعد أن دله على طريق الرجوع إلى بلده. وهو وثيق الصلة بمصر ("جنى" مصرى عند هوميروس، وملك مصرى فاضل عند يوريبيديس).

تبجيلك للآلهة وكذلك خجلك أمام البشر. ولكن الواقع أننى أعلم تمام العلم أنك [هـ] تعتقد معرفة ما هو تقوى وما ليس بتقوى أوضح المعرفة. فتكلم إذن، يا أوطيفرون العظيم، ولا تخف عنى أمر ذلك.

أوطيفرون: فلنؤجل هذا إلى مرة أخرى يا سقراط، لأننى مشغول الآن، ويجب أن أذهب على التو.

سقراط: ماذا تفعل يا صاحبى؟ إنك ترحل بعد أن ألقيت بأملى الكبير أرضا، أملى أن أتعلم على يديك ما هى الأشياء التقية وتلك التى ليست بتقية فأخلص نفسى من إدعاء مليتوس ضدى بأن [١٦أ] أريه أننى أصبحت الآن عالما فى أمور الدين بفضل أوطيفرون، وأننى لا أفعل شيئاً عبثا بسبب جهلى، ولا أبتدع جديداً فى هذه الأمور، وأننى سأعيش هكذا ما تبقى من حياتى على نحو أفضل[٦٨].

١٦

انتهت محاورة " أوطيفرون "

(٦٨) استنتج البعض (R. Hackforth, The Composition of Plato's Apology, p. 52) من هذا النص أن المحاورة كلها قد ألفت قبل محاكمة سقراط، وهو رأى غير مقبول لأسباب عديدة، منها أن هذه النهاية إنما هى تأكيد لأهمية العلم قبل أى سلوك وأى حكم، ويمكن مقارنتها بنهاية محاورة "هبياس الكبرى"، كذلك فإن قصد السخرية فى هذا النص واضح.

محاورة " الدفاع "

مقدمة "الدفـــاع"

يضعنا أفلاطون هنا فى هذه المحاورة[1] مع سقراط مباشرة. وعلى حين أن "الدفاع" الذى ألفه إكسينوفون[2] لنفس الغرض، أى لغرض رد الاتهامات التى وجهت إلى سقراط، يبدأ بمقدمة من مؤلفه، فإننا نجد أنفسنا هنا أمام سقراط نفسه منذ أول كلمة حتى آخر السطور، وبدون أن نقحم فى قراءتنا اسم أفلاطون، وكأن هذه هى نفسها العبارات التى خاطب بها سقراط قضاته أثناء محاكمته فى أثينا عام ٣٩٩ ق.م. والأغلب أن يكون ذلك مقصوداً من أفلاطون، فهو أدعى إلى التأثير، ويجعلنا، على الأقل فى قراءتنا الأولى، نأخذ جانب سقراط وننحاز إليه وننظر إلى الأمور من خلال نظرته (أو من خلال نظرة أفلاطون، وكلا التعبيرين ينتهى إلى نفس النتيجة، لأن هذا "الدفاع" كتبه أفلاطون، وسقراط فيه هو سقراط أفلاطون، أى كما رآه وفسره أفلاطون)، مما يسبغ على تلك النظرة طابعاً يجعلها تبدو طبيعية.

وهناك انطباع عام عن سقراط يخرج به قارئ "أوطيفرون" و"أقريطون" وقارئ "الدفاع" على الأخص، وهو انطباع عن "تجرده". فكثيراً ما نحس كما لو أن اهتمام سقراط لا يذهب أول ما يذهب إلى شخصه هو، بل إننا نراه فى "أقريطون" لا يكاد يضع اعتباراً لشخصه على الإطلاق، وإنما هو ينظر إلى الأمر كله وكأنه ينظر إليه من الخارج نظر الفيلسوف الذى لا يريد إلا التماس الحقيقة حيثما كانت، والذى لا تهمه إلا الحقيقة من أجل السلوك سلوكاً عادلاً.

ويظهر تجرد سقراط فى "الدفاع" منذ الكلمات الأولى. فهو يصرح أنه كاد ينسى من هو وهو يستمع إلى خطب متهميه "المقنعة". ما معنى هذا؟ معناه أن سقراط إنغمس بكله فى الاستماع إلى تلك الخطب متفتح العقل أمام ما ستقول بلا رفض مسبق لها. فكل القضايا جديرة بالاستماع وجديرة بالفحص عند سقراط،

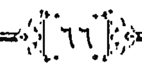
(١) هكذا تسمى تقليدياً رغم أنها فى الواقع خطبة طويلة، وإن كان يتخللها حوار قصير (٢٤جـ – ٢٨أ).

(٢) ما كتبه، وخاصة كتابه "المذكرات"، من أهم مصادرنا عن سقراط التاريخى. ونحن لا نشير إليه إلا لماما كما أشرنا من قبل، لأننا نعرض هنا لسقراط كما يراه أفلاطون. أما عن سقراط التاريخى فإنه سيكون موضوع كتاب كامل نقدمه قريباً.

وسيتبين لنا وجه جديد من أوجه تجرد سقراط حينما نتحدث بعد قليل عن سعيه وراء الحقيقة. ووجه آخر لهذا التجرد هو أن سقراط أثناء دفاعه يهتم بالأثينيين أكثر من اهتمامه بنفسه، وهو ينبههم إلى أن ما فعلوه بإدانته سيجلب العار على المدينة، لأن رجال المدن اليونانية الأخرى سيقولون: "لقد أعدم الأثينيون سقراط الحكيم" (٣٨جـ). كذلك فإن حياة سقراط كلها كانت، كما يقول هو ، مكرسة لخدمة مواطنيه، والدليل القاطع على ذلك هو فقره. ولعل أوضح مظهر للتجرد السقراطى منظوراً إليه من هذه الزاوية هو قوله إنه حتى لو عرض عليه الأثينيون أن يطلقوا سراحه على شرط أن يصمت فإنه سيرفض، وسيستمر فى التفلسف كما فعل حتى الآن وفى فحص الجميع، غرباء ومواطنين، "وعلى الأخص معكم أنتم أيها المواطنون الأثينيون، لأنكم أقرب إلىّ بالدم" (٣٠أ)، حتى ولو كان ثمن ذلك أن يموت مرة ومرات.

وسقراط فى دفاعه لا يهدف إلى النجاة بأى ثمن، وإنما هدفه هو قول الحقيقة. ورغم أن سقراط يستخدم أحيانا لفظ "الإقناع" للدلالة على سلوكه هو، فإنه ربما كان من الأفضل قصر هذا اللفظ ومشتقاته على سلوك الآخرين ومعارضته بمفهوم "إظهار الحقيقة"، بل إن هذه المعارضة تظهر منذ السطور الأولى "للدفاع" التى نجده فيها يصف خطب متهميه بأنها "مقنعة"، على حين أنه هو سوف يقول "الحقيقة". فرغم المظهر المقنع لتلك الخطب إلا أنها لا تحوى إلا زيفا. وسيكشف سقراط عن هذا الزيف بمحض كشفه عن الحقيقة، وسيكون فى هذا الكشف التكذيب القاطع لهم. ونلمح هنا تلك الثقة الساذجة فى قدرة الحقيقة، والتى سنراها تؤثر تأثيراً فعلياً كفرض أساسى يؤسس كل سلوك سقراط قولاً وعملاً.

وسقراط سيقول الحقيقة كل الحقيقة ولن يخفى شيئاً (٢٤أ). فمن عادة الفيلسوف ألا يخيفه شىء، وهو يظل يجرى وراء الغامض حتى يستوضحه، بل لن يخشى أن يعلن جهله إن كان هذا هو الحقيقة. وما أعظم الفرق بين موقف سقراط هذا وموقف مواطنيه الذين إن هم سئلوا: كيف يتلف سقراط الشباب؟ ماذا يقول وماذا يفعل حتى يفسدهم؟ حاروا جوابا، ولكنهم، حتى يخفوا حيرتهم وجهلهم، يجيبون بتلك الإجابات التى تقال ضد كل مشتغل بالفلسفة والتى لا يعرفون لها فى الحق معنى دقيقا، ولا يهتمون بسؤال أنفسهم إن كانت تنطبق بالفعل على سقراط أم لا.



وسنعود مرة أخرى بالتفصيل إلى موضوع البحث عن الحقيقة عند الحديث عن "البعثة" السقراطية.

قلنا إن سقراط لا يهدف إلى النجاة بأى ثمن، وعلى الأخص ليس بثمن العبارات المنمقة ولا الاستعطاف المهين. فهو يحذر القضاة الخمسمائة الذين يمثل أمامهم أنه سيتحدث على نفس النحو الذى كان يتحدث عليه فى السوق أو بجوار الدكاكين أو أثناء المآدب، ولهذا، لأنه لا يهتم إلا بقول الحقيقة كل الحقيقة والحقيقة فقط، فإنه لا يحتاج إلى خطب منمقة ولا إلى كلمات مختارة مغلفة فى عبارات متأنقة، كما هو حال "شبابنا هذه الأيام" (١٧ ب - جـ). وسقراط يدرى أنه يطلب منهم مطلباً صعباً. فهؤلاء قوم قد اعتادوا على ذلك النوع من الخطب الذى يعرف كيف يبهر فيستميل القلوب والعقول، وكأن للقضاة أن يتأثروا بشىء غير الحقيقة! ومن هنا كان رفض سقراط لوسيلة ثانية من وسائل التأثير فى القضاة اعتاد عليها القضاة والمتقاضون معاً، ألا وهى وسيلة الاستعطاف والاسترحام بالبكاء والإتيان بالأسرة والأطفال وعرضهم أمام المحكمة أملا فى التأثير عليها. ما هى على الدقة دوافع رفض سقراط للجوء إلى هذه الطريقة؟ هو يقول إنه ليس من غرضه تحدى القضاة بألا يفعل ما يتوقعون منه أن يفعل، وليس السبب أنه يجابه الموت فى غير خوف أو فى خوف، إنما هو يضع فى اعتباره سمعتهم وسمعته وشرفهم وشرفه، ولهذا فإنه لن يلجأ إلى هذه الطرائق الوضيعة (٣٤هـ). فماذا سيقال عن سقراط الحكيم، أو الذى يقال عنه إنه حكيم وإنه بالتالى من بين فضلاء أهل أثينا؟ هل يقبلون هم على أنفسهم هذا: أن يحكموا بقدر غزارة الدموع وصياح الأطفال؟ كلا، سقراط لن يفعل مثلما يفعل أولئك الذين يظنون أنهم قد وهبوا الحياة خلداً، والذين لا يملكون من الشجاعة إلا ما تملك النسوة (هكذا يقول سقراط) (٣٥ب). هذه إذن مجموعة من الاعتبارات التى يمكن أن نسميها بالاعتبارات الأخلاقية. وهناك اعتبار يمكن أن نسميه بالدينى، ولو أن طابعه "الخطابى" واضح شاء سقراط ذلك أم لم يشأ، وهو أن القضاة قد حلفوا اليمين أمام الآلهة بأن يحكموا بالعدل، فلو جاء سقراط وحاول التأثير عليهم بتضرعاته ليجبرهم على الحكم بغير العدل، إذن لكان فى سلوكه ذلك ما يفيد أنه يعلمهم ألاّ وجود للآلهة، ولكان يؤكد هكذا الاتهام الموجه إليه فى هذا الشأن. ولكن هناك اعتباراً أخيراً، وهو فى الحق أقواها، ونجده فى هذه الفقرة نفسها التى يأتى فيها الكلام السابق (٣٤ هـ وما بعدها)، كما نجده

فى الفقرة الخاصة بطريقة سقراط فى الكلام (١٧ ب – ١٨أ)، وهو اعتبار أقرب ما يكون إلى الاعتبارات الفلسفية، وتلخصه هذه العبارة: فضيلة الخطيب أن يقول الحقيقة، أما فضيلة القاضى فهى البحث عن الحق. وهكذا فإن مهمة سقراط ليست أن ينمق عباراته بل أن يقرر الحقيقة عارية، ومهمة القاضى ألا يهتم بطريقة الكلام بل بمضمونه وبالكشف عما إذا كان ما يقال حقا وعدلا أم لا (١٨أ). ويؤكد سقراط هذا المعنى حين يقول: "وبصرف النظر عن الشرف، أيها المواطنون، فما أجد حقا التوسل إلى القاضى ولا النجاة بفضل هذا التوسل، وإنما الواجب هو إعلامه وإقناعه. فما يجلس القاضى فى مقعده من أجل هذا: أن يوزع العدل كما يحلو له، بل من أجل أن يفصل بالعدل" (٣٥ ب – جـ).

هكذا كان موقف سقراط: لا يقول إلا الحقيقة ولا يفعل إلا ما يسمح به الشرف وترضى به الكرامة، وهكذا تلتقى الفلسفة بالأخلاق. ويجب أن نولى هذا الموقف السقراطى ما هو جدير به من الأهمية، لأنه كان من العوامل التى شاركت فى إدانة سقراط، وكان لا شك العامل الأكبر الذى جعل هذه الإدانة تكون على صورة الحكم بالإعدام. وسقراط على وعى بكل هذا حين يقول لمن حكموا بإعدامه: "ما أدنت افتقاراً إلى خطب فى الواقع، بل افتقاراً إلى الجسارة والوقاحة ولأننى لم أرد أن أتحدث أمامكم على النحو الذى لعله كان سيمتعكم سماعه أعظم إمتاع، ألا وهو سقراط يئن وينوح، فاعلا وقائلا أشياء كثيرة لا اعتبرها جديرة بى، بحسب ما أقول أنا، أشياء تعودتم أنتم على سماعها من الآخرين" (٣٨ د – هـ).

كان هذا هو الموقف الأول لسقراط أمام قضاته: سقراط المعلم أو المربى. وهو نفس موقفه من مقدم الإدعاء عليه، مليتوس. فحديثه معه (٢٤ جـ – ٢٧أ) إنما هو حوار صغير يتبع فيه سقراط طرائقه المعتادة فى التحاور، ويصل إلى تفنيد محاوره وبيان أنه لا يدرى شيئا عما يتحدث، مهتما على الخصوص ببيان تناقضات مليتوس. ولنأخذ على ذلك مثلا إظهار عدم اتساق مليتوس فى ادعائه على سقراط أنه لا يؤمن بالآلهة: أولا لأنه يخلط بينه وبين أنكساجوراس، وثانيا لأنه يعترف أن سقراط يقول بوجود "جنى" يظهر له على شكل صوت، وكان من فصيلة إلهية. فالقارئ لهذا الحوار يجد أن سقراط يظهر فيه على طريقته العادية فى المناقشات الفلسفية، وإن كان يلاحظ شدته فى التهكم على مليتوس وفى تأنيبه له لجهله بما يدعى معرفته والاهتمام به.

بعد موقفه كمعلم وكمرب، يقف سقراط أمام قضاته وأمام متهميه موقف رجل الأخلاق. وقد ألمحنا إلى هذا الموقف أثناء حديثنا عن "الحقيقة" فى كلام سقراط، ولكنه يظهر بوضوح أكثر من المكان الذى يحتله مفهوم "العدل" فى "الدفاع". بعد أن رد سقراط على متهميه القدماء والمحدثين، يقول إن أحداً قد يسأله لم اختار هذا النوع من الحياة الذى اتخذه لنفسه والذى قد يقوده اليوم إلى الموت، وسيكون رده: إن رجل الفضيلة لا يجب أن يحسب حساب الحياة أو الموت، إنما المعيار الوحيد لسلوكه يجب أن يكون العدل وتجنب الظلم (٢٨ب)، حتى لو كان ذلك يضعه أمام خطر الموت. وليس هذا من سقراط مجرد عرض لفرض من الفروض، إنما حدث له فعلا، فيما يقول، من المواقف ما عرّضه للموت أو للخطر الشديد بسبب تمسكه بالعدل. ويأتى على ذلك بحادثتين: الأولى وقعت له أثناء النظام الديمقراطى، والثانية أثناء حكم الطغاة الثلاثين (الذى جاء بعد انهزام أثينا ونظامها الديمقراطى أمام إسبرطة، واستمر بضع شهور عام ٤٠٤ – ٤٠٣ ق.م.، وكان منهم كريتياس أحد مصاحبيه). فأثناء المرة الوحيدة التى تقلد فيها وظيفة سياسية حينما جاء دور قبيلته لتولى السلطة السياسية، فأصبح هو بذلك عضواً فى البروتانيا (انظر ٣٢ ب وتعليقنا)، أراد الشعب أن يحاكم معاً عشرة قواد من قادة الجيش بتهمة عدم انتشال جثث الموتى الأثينيين الذين سقطوا فى معركة أرجينوساى البرية (عام ٤٠٦ ق.م)، ولكن سقراط كان الوحيد الذى عارض هذا القرار، لأنه اعتبره مخالفاً للقانون، وأدلى بصوته المعارض ضد كل الشعب، وكان الخطباء على وشك أن يقدموه من أجل هذا إلى المحاكمة، وكان الجمهور يدفعهم إلى هذا بصياحه. ورغم هذا الخطر الكبير، فقد اعتبر سقراط أن من واجبه ألاّ يضع للخطر حساباً وأن يبقى حتى النهاية مع القانون ومع العدل (٣٢ ب – جـ)، لأنه بين صف العدل وصف كل الشعب مجتمعاً يفضل جانب العدل، حتى ولو بقى فيه وحيداً بلا نصير. فعل سقراط هذا فى عهد الحكم الديمقراطى، وفعل مثله أيضاً فى عهد الحكم الأوليجاركى (أى حكم الأقلية)، حينما أراد "الثلاثون" حاكماً أن يرسلوا سقراط خامس خمسة ليأتوا إليهم بأحد المواطنين لإعدامه، وذلك بغرض إشراكهم فى جرائمهم، ولكنه رفض الذهاب مع الأربعة الآخرين، وكاد يدفع ثمن هذا بحياته لولا أن انقلب حكم الثلاثين بعد قليل (ولنلاحظ أنه كان من بينهم بعض أصدقاء سقراط، وخاصة كريتياس الذى كان من كبار زعمائهم). يقول سقراط: "إن كل ما

اهتم به هو عدم القيام بأى عمل كان ظلماً أو بعيدا عن التقوى، وهكذا فإن هذا النظام لم يرهبنى، مهما كانت سطوته، حتى أقوم بفعل ظالم" (٣٢ د). ونفس هذا الاعتبار، مراعاة العدل دوما، هو الذى أدى بسقراط إلى عدم الاشتغال بالسياسة، لأنه يعرف أن هذا الطريق مؤد به لا محالة إلى ارتكاب الظلم (٣٢هـ). هكذا كان سقراط مراعيا العدالة، وليس فقط فيما يخص الشئون العامة، بل وكذلك فى حياته الخاصة. فما حدث يوما، فيما يقول، أن تنازل لأحد عن شيء مخالف للعدالة، حتى ولو كان هذا الشخص من صلاته الشخصية (٣٣أ، وعن العدل انظر أيضاً ٣٥ جـ، وكذلك ٤١أ - ب عن العدل فى الآخرة).

ويجب أن ننتبه هنا إلى عمق "الثورة" التى يحدثها سقراط فى أسلوب السلوك، ومدى الفرق بين مبادئ سلوكه ومبادئ السلوك التقليدى الذى يقوم، فى كلمة واحدة، على مبدأ "الجسد"، هذا على حين أن سلوك سقراط أساسه العدل، وبصفة عامة "القيمة" الأخلاقية. ويتضح هذا الفرق وتلك الثورة حين نفحص عن كثب مفهوم سقراط عن "الشر"، ويتضح لنا ما يخشاه وما لا يخشاه.

نعرف أن سقراط كان يعتبر نفسه "مبعوث" العناية الإلهية إلى الأثينيين، وسنتحدث عن هذا بالتفصيل فى القسم التالى، وقد أوجبت عليه هذه "البعثة" أن يفحص مواطنيه كاشفا عن ادعاءات مدعى المعرفة. وقد كوّن له هذا السلوك كل يوم أعداء جدداً، وكان يعرف هذا (٢١هـ)، ورغم ذلك استمر فى طريقه لأنه كان هناك شيء يخشاه أكثر من خشيته لعداوة البشر، ألا وهو عصيان الإله. وهو يقول حرفيا: "أنا أعزكم أيها الأثينيون وأحبكم، ولكنى أطيع الإله أكثر مما أطيعكم" (٢٩ د).

ويجب أن نقدر هذا التصريح حق قدره على ضوء إدراكنا لقوة "الشعب" فى النظام الديمقراطى السائد وقت المحاكمة، وإذا تذكرنا أن هذا "الشعب" ما هو إلا قضاته أنفسهم. من جهة أخرى، فإن "الإله" الذى يطيعه سقراط إنما هو إله الحق، أو هو الحقيقة نفسها، وإذا علمنا أن الحقيقة هى مصدر المعرفة والأخلاق معاً، اتضح لنا أن ما يعطيه سقراط إنما هو فى النهاية "القيمة" الأخلاقية ذاتها (انظر ٢٨ ب، د، ٣٢ د).

وهكذا نجد أنفسنا أمام إحدى "محيرات" سقراط: فهو يخشى ارتكاب الظلم أكثر

مما يخشى الموت. ولكننا إذا تأملنا فى الأمر لما وجدنا فى ذلك مدعاة إلى الحيرة حقيقة. ذلك أنه يوجد عند سقراط ما يمكن أن يسمى "بسلّم" للشرور (٣٠د)، فهناك شر أعظم من شر، والأول أحق بالخشية. وعنده أن الظلم أكثر شراً من الموت، وذلك لهذا السبب البسيط: فهو لا يدرى إن كان الموت شراً أم لا، هذا بينما أن سقراط لا يخشى من الشرور إلا ما يعرف بالفعل أنه شر: "إننى أعرف أن الظلم وعصيان الأفضل، سواء أكان إلها أم بشراً، شيء قبيح ومخجل. أما بعد الأشياء السيئة التى أعرف أنها سيئة فإننى لن أخشى ولن أتهرب أبداً من الأشياء التى لا أعرف إن كان قد يحدث أن تكون أشياء حسنة" (٢٩ب). وهكذا، بسبب اختلاف سلّم القيم عند سقراط وعند "الشعب"، لم يعد التهديد بالموت كافيا لثنى سقراط عن طريق يعتقد أنه طريق العدل (٣٢أ)، وهو القيمة الأخلاقية التى يضعها فوق كل شيء (٣٢هـ).

وما دام الأمر كذلك، فإنه من الطبيعي ألا يخشى سقراط لا أنيتوس، وهو المحرض الأول على اتهامه، ولا مليتوس، مقدم الإدعاء، لأنهما غير قادرين على إيذائه ولو أبسط إيذاء. وكيف ذلك؟ لأنهما قد ينجحان فى إصدار حكم عليه بمصادرة ما يملك أو بالنفى أو بالموت، ولكن كل هذا ليس شيئا فى نظر سقراط إلى جانب ارتكاب الظلم (٣٠ د). وفى هذا المقام نجد نصاً لسقراط خطيراً غاية الخطر، على الرغم من أنه فى كلمات قلائل، ويمكن أن يجعل من سقراط سلفا للمذهب الرواقى: "عندى أنه ليس بإمكان مليتوس ولا أنيتوس إلحاق الضرر بى، فهما غير قادرين على ذلك، حيث إننى لا أعتقد أنه من المسموح به أن يضير الأسوأ الأفضل" (٣٠جـ - د).

وجدنا حتى الآن أن سقراط يخشى عصيان الإله، ووجدناه كذلك يخشى ارتكاب الظلم أكثر من خشيته أى شيء أخر، فمرجعه هنا إذن هو الدين، أى تصوره الخاص للدين، والقيم الأخلاقية. وهناك شيء ثالث يخشاه سقراط، ألا وهو عدم الاتساق الذاتى، والمرجع هنا هو الفكر الذى لا يتناقض مع نفسه أو الحقيقة أو الفلسفة بصفة عامة. فهل سيتراجع سقراط الآن، أمام تهديدات المدعين عليه، عن متابعة مهمته الفلسفية والأخلاقية، وهو الذى قضى عمره منفذا لها ومطيعا لأمر الإله؟ وهل يجدر به وهو فى سنه ذاك، وقد تجاوز السبعين، وفى شهرته هذه، أن

ينقض كل مبادئه السابقة؟ كلا، وإلا أصبح كل ما كان يقوله، كما سنقرأ فى محاورة "أقريطون"، عبثا وكلام أطفال. ولنفس هذا السبب فإنه لا يندم على شىء، ولو أعدموه مائة مرة لعاد فى كل مرة ليفعل نفس الشىء.

هذا هو موقف سقراط، رجل الأخلاق، من قضاته ومن متهميه.

هذه المواقف السقراطية، موقف التجرد وموقف المعلم والمربى وموقف رجل الأخلاق، لن تفهم حق فهمها إلا إذا أرجعت إلى أساسها، وأساسها هو موقف سقراط باعتباره "رجل البعثة الإلهية".

ونقطة البدء فى هذا الموضوع هو قول إله معبد دلفى، الإله "أبوللون"، على لسان كاهنة المعبد، إنه ليس هناك (بين اليونان) من هو أحكم من سقراط. ولنحدد ظروف هذه الإجابة أو "النبوءة"[٣]. فقد جاءت رداً على سؤال لأحد أصحاب سقراط المخلصين، وهو خيرفون. ونستنتج من هذا على الفور أن "حكمة" سقراط كانت شيئاً معروفاً قبل هذا الوقت، أو كانت على الأقل موضع خلاف، فهذا وحده هو الذى يفسره صيغة سؤال خيرفون الذى وجهه إلى الكاهنة: هل هناك من هو أحكم من سقراط؟ ولا ندرى يقينا تاريخ هذا السؤال، ولكن هناك تاريخاً محدداً نعرف أن مسألة "حكمة" سقراط كانت موضوعة فيه على الأقل (وربما قبله)، ألا وهو عام ٤٢٤، عام ظهور مسرحية "السحب" للشاعر أرستوفانيز، وفيها يظهر سقراط كرئيس لمدرسة أعضاؤها من "النفوس الحكيمة" أو العلماء. والآن: هل نضع سؤال خيرفون وإجابة الكاهنة قبل هذا التاريخ أم بعده؟ ليس ثمة ما يمنع من وضعه بعده، بل وبعده بكثير، أى خلال العقد التاسع من القرن الخامس ق.م (ما بين ٤١٩ و ٤١٠). ولكننا نميل إلى وضعه قبل عام ٤٢٤، لأن نص "الدفاع" نفسه يدعونا إلى ذلك، حيث إن سقراط يتحدث عن مسرحية أرستوفانيز باعتبارها أحد المصادر القديمة "للافتراء" الذى تعرض له سقراط (١٩ب - جـ)، ولكن سقراط لا يعرض لمسألة جواب الكاهنة عن سؤال صديقه إلا فى معرض حديثه عن الأسباب التى أدت إلى ظهور هذا الافتراء (٢٠جـ)، وهكذا يكون ذهاب خيرفون إلى معبد دلفى، بل وحيرة سقراط أمام معنى "نبوءة" الكاهنة، وقسما من سلوكه للتأكد من معناها، واقعا قبل عام ٤٢٤ ق . م.

---

(٣) انظر هامش ٥٧ على النص.



ذلك أن سقراط احتار بالفعل أمام ما يقصده الإله: فهو يدرك أنه ليس "عالماً" فى أى ميدان من ميادين المعرفة وأنه ليس بالتالى "حكيماً"، ولكن الإله لا يمكن أن يكذب، "فهذا لا يجوز عليه" (٢١ب). فكان على سقراط إذن أن يبحث عن معنى النبوءة التى كانت كعادة نبوءات كاهنة معبد "أبوللون" غامضة. فأخذ يمسك بمدعى المعرفة، أو بمدعى الحكمة، وهى نفس الشيء، واكتشف أنهم ليسوا حكماء على الحقيقة، وإنما يدعون العلم فقط. ووجد لنفسه عليهم هذا التميز: أنه مثلهم لا يعرف شيئاً معرفة العلم، ولكنه لا يدعى مثلهم المعرفة، ولهذا فهو أحكم منهم.

ويهمنا أن نقول إن موقف سقراط بإزاء قول الإله كان نفس الموقف الذى كان يتخذه من أقوال البشر، ألا وهو موقف الفحص. ولننتبه جيداً إلى أن سقراط ظل فترة طويلة يتدبر معنى نبوءة الإله. وأخيراً، وبعد لأى ومشقة كبيرين (٢١ب)، قرر سؤال الآخرين منتقلا هكذا من فحص القول الإلهى إلى فحص ادعاءات الآخرين الحكمة. وينبغى أن نسأل أنفسنا: ولم اختار هذا الطريق فى محاولته معرفة معنى النبوءة؟ يجيبنا سقراط على ذلك بأنه يبدأ فى كل حالة بفرض أن الشخص الذى أمامه أعلم منه، وإذا تحقق من صحة هذا، فإن الإله لن يكون محقا فى القول بأن سقراط أحكم اليونان، ولكن لكى تكون هذه النتيجة صحيحة فإنه يجب أولاً أن يكون الفرض صحيحا، ومن هنا كان فحصه لعلم الآخرين.

ويخطئ من يظن أن الفحص فى هذه المرحلة هو ما يكوّن مضمون "البعثة" السقراطية، فهذه البعثة لم تبدأ بعد حتى الآن.

وإنما هى تبدأ بعد أن اكتشف سقراط معنى النبوءة، وبعد أن ظهر له قصد الإله. فالإله يقصد أن يقول إن أحكم البشر هو من تحقق، مثل سقراط، إن حكمته لا تساوى شيئاً بالقياس إلى الحقيقة (٢٣ب)، فسقراط هنا ليس إلا مثلا يبرزه الإله لتشخيص قصده. هذا الاكتشاف هو مركز البعثة السقراطية الحقيقى، وهو الذى يغير من وجهة حياة سقراط بأسرها، ويغير كذلك على الخصوص من مغزى فحصه للآخرين.

فنشاط سقراط بعد هذا الاكتشاف يصبح نشاطا موجها نحو هدف فلسفى وأخلاقى معا. ولم يعد هذا النشاط قاصراً على مجرد فحص الآخرين، بل أصبحت تتبعه مرحلة تالية، هى الأهم فى الواقع، وهى مرحلة "الدعوة". ولنتأمل كل ذلك عن كثب.

ما هو مضمون هذه البعثة الإلهية؟ بعد أن يحدد سقراط قصد الإله، أى تفسيره هو للنبوءة الذى أشرنا إليه منذ قليل، يقول مباشرة: "لهذا السبب مازلت أروح هنا وهناك باحثاً وفاحصاً، بحسب كلمة الإله، المواطنين أهل هذه المدينة والغرباء، حينما أعتقد أن أحداً منهم حكيم. أما حينما لا يبدو لى أنه كذلك، فإنى أظهر له، مدافعا عن كلمة الإله، أنه ليس حكيما" (٢٣ب). هذا هو أول نص نجده فى "الدفاع" عن مضمون البعثة السقراطية، وفيه قسمان رئيسيان: الأول قسم الفحص، والثانى قسم "التطهير"، إذا شئنا إعطاء هذا الاسم لنشاط سقراط الرامى إلى البرهنة على أن المتحدثين معه ليسوا علماء وإنما هم مدعون للمعرفة وحسب، وإلى إقناعهم بذلك، فإن هم امتنعوا تخلصوا من وهم أساسى ومن الجهل الذى كان منعهم من إدراك الحكمة الحقيقية. ولكن الجدير بالإشارة هو أن سقراط أخذ على نفسه مسئولية فضح جهل المتحدثين معه باعتباره "مدافعا عن الإله" أو "مساعداً له". وهذه نقطة من الأهمية بمكان، لأنها تشير إلى الأساس الإلهى (ولعل هذا التعبير أن يكون أدق من قولنا "الأساس الدينى") للبعثة السقراطية. من أين أتى سقراط بهذا الأساس؟ واضح أنه ليس له من أصل فى الديانة التقليدية التى يقف منها سقراط موقف شك واضح كما رأينا فى "أوطيفرون". ومن جهة أخرى فإن الإله لم يكلف سقراط بأى تكليف، كذلك فإنه ليس فى صيغة النبوءة (ليس هناك بين اليونان من هو أحكم من سقراط)، ولا فى تفسير سقراط نفسه لها (الحكيم هو من تحقق مثل سقراط أن حكمته لا تساوى شيئا بالقياس إلى الحقيقة)، أى إلزام كان، لا باستخراج نتائج ذلك فيما يخص الآخرين، ولا بالسعى والسلوك الفعليين لإقناع الأخرين بمضمون ذلك التفسير. كذلك فإن سقراط نفسه يدرك أن اسمه لم يأت على لسان الكاهنة إلا كمثال، كحالة خاصة. لكل هذه الاعتبارات، فليس هناك فى كلام الإله ولا حتى فى تفسير سقراط له أى إلزام أو أى تكليف، فماذا حدث إذن؟ الذى حدث هو أن سقراط أخذ لنفسه أخذاً تكليفاً بنقل مضمون النبوءة إلى الأخرين، وفحصهم على أساسه وبيان جهلهم. وهذه نقلة عظيمة، أو هى قفزة من قصد الإله إلى النتائج التى استخرجها سقراط فيما يخص الآخرين.

فسقراط يعتبر نفسه من الآن "فى خدمة الإله". وهذا يغير من أشياء كثيرة، وأول ما يتغير هو طبيعة تفلسفه الفاحص. فهو لم يعد، كما كان الحال قبل فهم سقراط لمغزى النبوءة (٢١ ب – ٢٢هـ)، الفحص من أجل الفحص، أى من أجل

تقرير إن كان الشخص موضع الفحص يعلم أم هو جاهل، ولم يعد ذلك لمجرد رغبة من سقراط، بل أصبح، بعد إدراك طبيعة النبوءة، أو تفسيرها، تنفيذاً لأمر إلهى ومن أجل هدف آخر يعلو فى قيمته على الفحص. وتتغير كذلك فكرة سقراط عن نفسه. فهو لم يعد ذلك السائل الخالد، ثرثاراً كبقية الثرثارين، وكانوا كثرة فى بلاد اليونان، بل أصبح مبعوث الإله، أو على حد تعبير "الدفاع" "هديته" أو "هبته" إلى الأثينيين (٣٠هـ). وأية هبة هو! إنه كالمهماز الذى يلسع جواداً عظيماً نبيلاً، هو أثينا، والذى يجعله عظمه نفسه يبطئ على طريق الفضيلة. ومن الدلائل، فى نظر سقراط، على أنه رجل العناية الإلهية أرسلته إلى الأثينيين، هو أنه بادر، ما أن أدرك مقصد الإله، ووضع نفسه فى خدمته وكرس كل وقته لهذه الخدمة (٣١أ – ب). ودليل آخر يتبع السابق هو أنه أهمل كل شئونه الخاصة من أجل هذا (انظر ٣١ جـ). وما دام الإله هو صاحب الأمر، فإن سقراط سيظل مؤدياً واجبه حتى النهاية ومهما تكن الأخطار: "أيها الأثينيون، إنى أعزكم وأحبكم، ولكنى سأطيع الإله أكثر من أن أطيعكـم" (٢٩د). بل إن سقراط سيتابع مهمته فى الآخرة نفسها (٤١ب – جـ). والأصل فى هذا كله كما قلنا هو طاعة الإله (٢٧هـ).

قلنا إن مضمون البعثة السقراطية فيه قسمان: قسم الفحص وقسم "الدعوة". الدعوة إلى ماذا؟ الصفحات التى تخبرنا عن ذلك على الخصوص هى الصفحات ٢٨ د – ٣٠جـ، ولا عجب أن تكون هى الصفحات الرئيسية فى كل المحاورة أهمية ومركزا مادياً (فهى تقع فى وسط المحاورة التى تمتد من ١٧ أ إلى ٤٢أ). يقول سقراط بعد النص الذى أوردناه للفور مباشرة: "وطالما بقى فىّ نفس، فلن أتوقف عن التفلسف وعن موعظتكم" (٢٩د). وبعد سطور من ذلك يحدد على الدقة مضمون هذا الوعظ، فهو سيقول لكل من سيقابله من الأثينيين: "ألا تخجل من أنك تعنى بكيف تحوز أكبر ثروة ممكنة، وبالشهرة وبألوان التكريم، بينما لا تعنى بالفكر ولا بالحقيقة ولا بالنفس وكيف تصير أفضل؟" (٢٩د – هـ). فهناك نوعان من القيم: قيم متعلقة بالجسد وأخرى متعلقة بالنفس وبالعقل وبالحقيقة، ودعوة سقراط هى دعوة إلى العناية بهذه القيم وتقديمها على القيم الأخرى. وهذا التعارض بين النفس والجسد هو الذى نراه مرة أخرى فى ٣٠أ – ب: "ما أفعله ليس إلا محاولة إقناعكم شبابا وشيوخا بألا تعنوا بأجسامكم وثرواتكم فوق عنايتكم وبنفس الحماس بالنفس من أجل أن تصير أحسن". فالنفس هى مركز الفضيلة (aretê) أو

القيمة الأخلاقية بصفة عامة، أما الجسد فهو مركز القيمة "الخارجية" التى مظهرها الأكبر هو "المال". وعند سقراط فإن للفضيلة الأسبقية المطلقة: "الفضيلة لا تأتى من الثروة، وإنما بالفضيلة تصير الثروة وكل شيء آخر خيرات للبشر، سواء فى حياتهم الخاصة أو العامة" (٣٠أ - ب). وهو يعود إلى الحديث عن الفضيلة فى ٣٨ أ، وعلى الأخص فى ٣٦جـ حيث يحدد ما يقصده بالعناية بالنفس: فهو قد أخذ فى إقناع كل شخص "بألا يقدم العناية بأى شى من شئونه على العناية بنفسه من أجل أن يصير أفضل أخلاقيا وعقليا"(٤).

هذا هو مضمون البعثة السقراطية، وهذا هو "الموضع" أو "المركز" الذى وضعه فيه الإله (٢٨هـ)، والذى ارتضاه هو لنفسه لأنه "الأفضل" (٢٨د).

ونكون قد أجملنا الإشارة إلى النقاط الرئيسية لهذا الموضوع إذا أضفنا أن نشاط البعثة، وجانب الدعوة منها على وجه أخص، نشاط فردى وليس جماعيا، عام وليس خاصا. ذلك أن سقراط لم يحاول قط أن يقوم برسالته على منابر جمعيات الأثينيين السياسية، بل كان يلتقى بهم ويتحاور معهم فرداً فرداً، "كأب أو كأخ أكبر" (٣١ب). ومن جهة أخرى، فإنه كان يقوم بها مع الجميع دون تمييز بين غنى وفقير، شاب أو شيخ (٣٣ب)، أو حتى بين مواطن أثينى وغريب من غير أثينا. أخيراً، وهذا أمر يؤكد عليه سقراط كثيراً، فإنه لم يطلب قط أجراً عن محادثاته (٣١ب - جـ، ٣٣ب).

☆☆☆☆☆

هذا هو سقراط، على الأقل فى نظر نفسه (وفى نظر أفلاطون مؤلف "الدفاع"). ولكن من هو فى نظر من أمامه؟ ومن هم على الدقة هؤلاء الذين يقف أمامهم؟ هناك بالطبع متهموه وقضاته. ومتهموه ثلاثة: أنيتوس ومليتوس ولوكون، وأقلهم فى الأهمية لوكون الذى لا يذكره إلا مرة واحدة (٢٣ هـ)، ونحن لا نعرف عنه شيئاً إلا أنه كان خطيباً. ولعل مهمته الحقيقية كانت تأييد مليتوس أثناء تقديم الاتهام باستخدام الأساليب والحيل الخطابية التى كانت سائدة حينذاك، ولعل خطبته هى التى يشير إليها سقراط فى أول "الدفاع" حين يقول إن خطب متهميه أنسته من هو.

(4) beltistos kai phronimôtatos.

فالأغلب أن هذا ينطبق على خطبة لوكون وعلى خطبة أنيتوس كذلك، ولكن ليس على خطبة مليتوس الذى لا يبدو ذا خطر شديد، وذلك إذا اعتقدنا سقراط نفسه على الأقل. ومليتوس هو مقدم الإدعاء الرسمى كما يظهر (١٩ب). ومن المحتمل أنه قدم ادعاءه على أساس أنه كان مدفوعاً إلى رفعه بدافع من غيرته على المدينة ومن "حبه لها"، كما يبدو أنه قال نصاً، ويستطيع القارئ أن يكوّن فكرة عنه بقراءة وصف سقراط له فى محاورة "أوطيفرون" (٢ب وما بعدها).

ولكن أهم الثلاثة كان بلا شك أنيتوس، وليس مصادفة أن يكون اسمه هو أول أسماء الثلاثة ظهوراً فى "الدفاع" (١٨ب)، ومن المحتمل أن يكون هو الذى دفع مليتوس إلى رفع الإدعاء، فسقراط يقول للأثينيين: "انصتوا إلى أنيتوس أو لا تنصتوا إليه ..." (٢٩جـ)، وهو يقول: "أنيتوس ومن معه" (١٨ب). ولعل سقراط يشير إلى ضآلة دور مليتوس وخطورة أنيتوس معاً حين يقول إنه لولا معونة أنيتوس ولوكون اللذين صعدا إلى المنصة لاتهام سقراط لما نال إدعاء مليتوس خُمس أصوات المحكمة، ولكان اضطر إلى دفع ألف دراخمة كغرامة (٣٦أ - ب). ونحن نعرف أنيتوس من مصادر أخرى غير "الدفاع" (ويستطيع القارئ أن يرجع فى هذا الصدد إلى محاورة "مينون" لأفلاطون، ٩٠ب وما بعدها)، وكان من زعماء الحزب الديمقراطى وقت المحاكمة. ويبدو أنه أراد أن يؤكد صبغة الادعاء العامة، فأشرك معه مليتوس ممثلا لحقد الشعراء على سقراط ولوكون ممثلا لسخط الخطباء، وكان هو نفسه متحدثاً باسم الصناع ورجال السياسة (٢٣هـ - ٢٤أ)، وهكذا تكون معظم فئات الشعب ممثلة فى الادعاء على سقراط.

بعد متهميه هؤلاء، كان هناك أمام سقراط قضاته، ولم يكونوا أفراداً قلائل، بل كانوا خمسمائة (أو خمسمائة وواحداً). ففى كل عام كان يختار بالقرعة ستة آلاف مواطن لكى يقوموا بإصدار الأحكام القضائية، وكانوا يوزعون على عشر محاكم كل منها تتألف من ستمائة قاض ولكل منها اختصاصات معينة، وأمام إحدى هذه المحاكم العشر حوكم سقراط (ويبدو أن حوالى مائة من أعضائها لم يحضروا الجلسة). ولنا أن نتصور أن هؤلاء الخمسمائة ينتمون إلى كل الطبقات، بل هم "الشعب" فعلا، ليس فقط لأن تجمهراً عظيم العدد كهذا يستحق اسم "الشعب"، بل وكذلك لأن السلطة التى فى أيديهم هى السلطة الشعبية بالفعل. هذه المحكمة

الشعبية، وتأليفها هو على ما هو عليه، تضطر صاحب الإدعاء والمدعى عليه معاً فى العادة إلى استخدام أساليب خاصة للتأثير عليها، ومن هنا كان تطور فن الخطابة فى ذلك العصر، فى قسمة القضائى على الأقل. ويبدو أن خطب الادعاء كانت، فى مجموعها، ناجحة، وعلى الخصوص خطبتى أنيتوس ولوكون. أما سقراط فإنه لم يكن معتاداً على الأسلوب القضائى فى الحديث، فهو، فيما يقول، لم يدخل محكمة إلا هذه المرة (١٧ د)، ومن جهة أخرى فإن طريقة سقراط فى التفلسف كانت تخالف كل المخالفة أية طريقة "جماعية" فى "التفاهم" (omologia)، ومن هنا فإن موقف سقراط كان صعبا.

وفى الحق فإن المحاكمة "جماعية" و "شعبية" بمعنى آخر كذلك، لأن سقراط لم يكن ماثلا أمام متهميه وقضاته وحسب، بل كان هناك كذلك على التأكيد جمهور كبير من المشاهدين، حتى أنه يمكن أن نقول إن سقراط، وهو بمفرده وحيداً أو يكاد، كان يجابه الشعب بأجمعه. ونستطيع أن نتصور أن عدد هؤلاء المشاهدين كان كبيراً، لأنه بالإضافة إلى أن الأثينيين كانوا يتمتعون بصفة عامة بأوقات فراغ طويلة كانوا يقضونها فى التسكع وفى الثرثرة أو الذهاب إلى المسرح أو الاشتراك فى الاجتماعات العامة، ومن هذا القبيل مشاهدة المحاكمات، فإن محاكمة سقراط كانت من غير شك حدثاً هاماً فى أثينا لعلها جذبت مئات المشاهدين، على الأقل بسبب شخصية المتهم. ومن ذا الذى لا يستطيع أن يتصور أن مثل هذا الجمهور، وهو فى الحق "الشعب" نفسه، لن يؤثر على مجرى المحاكمة، وهو من غير شك قد أثر عليها على الأقل بصياحه، خاصة وأن سقراط يوسع من دائرة أصحاب الافتراءات عليه حتى تشمل الشعب كله فعلا (انظر مثلا ١٨د، وكذلك ٢٩جـ وغير ذلك). وهكذا فإننا أمام موقف غريب: ذلك أن من يقف ضد سقراط ليس فقط قضاته ومتهموه الجدد، ولكن كذلك متهموه القدامى وأصحاب الافتراءات عليه (فيما يقول هو)، وهم الشعب الأثينى فى مجموعة الذى قبل هذه الافتراءات واعتبرها حقيقة وتناقلها بين صفوفه على مر سنين طويلة. وقد أشرنا من قبل إلى أن قضاة سقراط الخمسمائة ما هم إلا جزء ممثل للشعب كله. وهكذا، باختصار، فإن كل من أمام سقراط متهم له. ونفهم على هذا الضوء أن سقراط يحتاج ليس فقط إلى تفنيد اتهامات مليتوس، بل وكذلك إلى نزع الفكرة التى كونها الشعب (قضاة ومشاهدين) عنه. لهذا فإنه ليس عجبا أن نرى سقراط (١٨هـ – ١٩أ)

يتوجه أولا إلى الشعب مدافعاً عن نفسه ضد اتهاماته (التى يسميها بالافتراءات)، وذلك قبل أن يلتفت إلى متهمه الرسمى ليناقش بالتفصيل اتهاماته (٢٤جـ وما بعدها). فالإفتراءات الأولى أصل والإدعاءات الأخيرة فرع، فلولا الأولى لما كانت الثانية (١٩أ – ب).

☆☆☆☆☆

والآن، من هو سقراط فى نظر متهميه القدامى والمحدثين؟ لنبدأ أولاً بصورة سقراط عند الشعب. هذه الصورة يمكن تلخيصها فى كلمة واحدة: أنه "حكيم" (sophos)، بمعنى العالم المشتغل بأمور المعرفة (انظر ١٨ب ، ٢٠ د، ٢٧هـ، ٣٤هـ). وينتج عن هذه الصفة، أو هذه "السمعة"، أنه مهما ادعى سقراط الجهل، ومهما ادعى أنه يقتصر على سؤال من يتحدث معهم ليفحصهم، فإن الجمهور مقتنع أنه يعلم، وأنه يعرف طبيعة المسائل التى يتناقش حولها (٢٣ أ)، وهو ما ينكره سقراط. وهو يحدد مضمون العلم الذى ينسبه إليه الشعب أو ميدانه على الأقل: التأمل فى الأشياء العلوية والبحث فيما هو فى باطن الأرض، وإلى جانب ذلك مهارة خاصة (أو كما يقال اليوم "التخصص") فى قلب الحجج الضعيفة إلى حجج قوية (١٨ ب). وندرك هنا على الفور أن الجمهور ينسب إليه كل ما يعرفه عن علماء العصر، سواء أكانوا من الباحثين فى الطبيعة الفوقية أو التحتية، أى الفلاسفة الطبيعيين، أم كانوا من معلمى المحاجاة أو البرهنة بصفة عامة، وهم من سيسمون بالسفسطائيين. وقد نتج عن نسبة ميدان البحث الأول، الطبيعة، إلى سقراط، أن لصقت به على الفور سمعة عدم احترام الآلهة، بل إنكار وجودهم (١٨ جـ ، ٢٦جـ). ولا شك أن خلط مليتوس بين أنكساجوراس وسقراط، فيما يخص اعتبار أن الشمس والقمر ليسا إلهين، كان موجودا كذلك لدى الكثيرين من الأثينيين الذين ليس لهم من مصادر ممكنة للمعرفة إلا ما "يقال إن "... ومن السهل فى هذا المجال نقل آراء علم كبير من أعلام "الحكمة" كأنكساجوراس ونسبتها إلى غيره.

وسقراط لا يبحث ويفكر وحسب، إنما هو، فى نظر العامة، يسعى أيضا إلى جعل الآخرين على شاكلته، بعبارة أخرى هو يعلم الشباب آراءه "الفاسدة". وياليت سقراط توقف عند هذا، إنما الشعب الأثينى يعتقد أن سقراط بتصيده المواطنين وسؤالهم وإحراجهم وجعلهم أضحوكة الشباب الذى يجرى وراءه حيثما ذهب، إنما

"يتهكم" عليهم جميعاً (٣٨أ). وبعض إشارات سقراط غير المباشرة تؤكد هذا (مثلا ٢٠د: "ربما يبدو لبعضكم أننى أمزح، ولكن ها هى الحقيقة كاملة"). ولعله مما يؤكد أن مسألة "الحكمة" ومسألة "التهكم" تقعان فى قلب الصورة الشعبية عن سقراط أن الجمهور يصيح عند تعرض سقراط لمسألة إنكاره أنه حكيم (٢٠هـ)، وعندما أخذ يتناقش مع مليتوس "على طريقته المعهودة"، أى على طريقة الأسئلة والأجوبة، والتى كان يستطيع بها إحراج المتحدثين معه (٢٧ب).

ما هو مدى مسئولية الشاعر الكوميدى الكبير عن أرستوفانيز عن هذه الصورة؟ ذلك أن سقراط يشير إليه مرتين، إحداهما بالاسم (١٨د ، ١٩ب). بل هو يأخذ "صيغة" الاتهام القديمة (أى الافتراءات المنتشرة ضده منذ مدة طويلة) من مسرحية أرستوفانيز المسماة "بالسحب": "سقراط يعنى عناية كبرى بالبحث فيما تحت الأرض وما فى السماء، ويقلب القضية الضعيفة قضية قوية، ويعلم هذا كله للغير" (١٩ب - جـ). والحق أننا إذا رجعنا إلى نص تلك المسرحية لوجدنا أن ما يقوله أفلاطون تلخيص إلى حد كبير لما يقال ويفعل فيها. ولعل من حسن الحظ بقاء هذه المسرحية بين أيدينا، لأنها إحدى الوثائق النادرة عن شهادة هذا الشاعر الساخر. لهذا فإنه مما يفيد قارئ "الدفاع" أن نشير إلى بعض ما نجده فى تلك المسرحية عن سقراط.

بطل المسرحية مواطن أثينى ريفى تزوج من إحدى "بنات العائلات" فى المدينة، حب الترف يجرى فى دمها، وقد أنجبت له ولداً ربته على طريقتها، فكانت النتيجة بعد سنوات استنزافُ أموال الأب حتى كثر دائنوه. وفى ليلة، استيقظ فيها على خوف الصباح، لأن الصباح لا يأتى إلا بالدائنين المطالبين بديونهم وفوائدهم فى نهاية كل شهر، اهتدى إلى طريقة ينقذ بها نفسه، ألا وهى إرسال ابنه ليتعلم فى مدرسة قريبة منهم، "حيث قوم حين يتكلمون عن السماء يقنعونك أنها مخنقة، وأنها تحيط بنا وأننا فحم: هؤلاء القوم سيعلمونك، لقاء النقود، كيف تنصر كل قضية [كل قول] عدلا كانت أم ظلما" (الأبيات ٩٤ - ٩٩، لأن المسرحية بالشعر). هذه "النفوس الحكيمة" تكاد تهمل أجسادها كل الإهمال، فوجوههم صفر وأقدامهم حافية، ومنهم سقراط وخيرفون. ويقول الأب لابنه إن عندهم نوعين من الحجج: القوية والضعيفة. وهذه الحجج الضعيفة تعرف كيف تنصر القضايا غير العادلة، وعليه أن يتعلم طريقة المحاجاة الظالمة حتى يستطيع أن يخلص أبيه من



ديونه. ولكن الابن يرفض بادئ الأمر، فيضطر الأب إلى الذهاب بنفسه إلى "المفْكر" (على وزن مَفْعل، وهى ترجمة دقيقة للكلمة اليونانية التى ابتدعها الشاعر الساخر) ليتعلم هو ذلك. وهناك يجد أحد تابعى سقراط الذى يخبره أن أستاذه وجد طريقة لقياس قفزة البرغوث، ويعلم بعد ذلك كيف أنهم يبحثون فى أمور السماء وما تحت الأرض حتى "طارطاروس" (وهو نهر تحتى)، ثم يعثر أخيراً على سقراط رئيس هذه المدرسة معلقاً فى سلة فى الهواء، من أجل أن يعلق عقله ويجعل فكره يختلط بالهواء المماثل لطبيعته (٢٢٧ - ٢٣٠). وسقراط هذا لا يعترف بالآلهة التى يريد رجلنا أن يقسم بها، إنما آلهته هى السحب (٢٤٧ - ٢٥٣). وهو لا يعرف من هو زيوس، فضلا عن أن يقول إن كان إلهاً أم لا (٣٦٦). فسقراط فى هذه المسرحية هو باختصار "الذى يجرؤ على كل شيء" (٣٧٥).

ويثار الآن هذا السؤال: هل كان أرستوفانيز هو الذى خلق وأشاع هذه الصورة عن سقراط؟ أم أنه وجدها عند الآخرين ثم بلورها وأعاد صياغتها بفن رجل المسرح؟ نحن أميل إلى الإجابة الثانية. فمن المحتمل أن سقراط كان شخصية معروفة، ومعروفة بما ينسب إليها من الآراء المشار إليها، وذلك قبل ظهور مسرحية أرستوفانيز، فلما جاء هذا الأخير أضاف إلى سماتها المعروفة عند الجمهور، عدلا كان ذلك أم ظلماً، بعض التفاصيل التى تناسب أغراضه الفنية. ومع ذلك فإنه يمكن اعتبار مسرحية "السحب" أحد مصادر الصورة الشعبية عن سقراط، وليس فقط مجرد انعكاس لها. ذلك أنها أعادت صياغتها ونشرتها بين جمهور عريض جداً، فكأنها خلقتها من جديد. (ونشير إلى أن هذه المسرحية مثلت مرتين لنيل جائزة، لأنها لم تنل فى العام الأول الذى مثلت فيه إلا المكان الثالث، فقدمها الشاعر مرة ثانية فى عام آخر).

ولو أتينا الآن إلى صورته عند مقدمى الادعاء، لوجدناها تنطبق فى كثير من نقاطها مع الصورة السابقة، مع التعديل والتنظيم. من ذلك مثلاً أن تهمة "قلب القضية الضعيفة إلى قضية قوية" تختفى، أو على الأقل هى لا تحتل مكانا بارزا فى الصورة التى يقدمها مليتوس فى ادعائه ضد سقراط، وإن كانت هناك إشارة إليها حين يحذر الخطباء الثلاثة القضاة من "مهارة" سقراط فى الكلام وأنه قادر على خداعهم. من جهة أخرى، فإننا نجد فى الصورة الجديدة عن سقراط تأكيدا

على مسألة إفساد الشباب، ويضيف مليتوس أن سقراط يقصد إلى ذلك قصدا (٢٥د ، وانظر ٣٧أ). وفى نفس الوقت يُربط هذا الاتهام بالاتهام الآخر، وهو عدم الاعتراف بآلهة المدينة، فهو يفسد الشباب بتعليمهم إنكار هذه الآلهة. ولكن هناك جديداً آخر فى هذه الصورة عن سقراط. ذلك أننا لا نجد إشارة عند أرستوفانيز إلى "الدايمون" السقراطى أو الجنى الذى يتمثل له على شكل هاتف باطنى، والذى يشير إليه الإدعاء حينما يضيف اتهاما ثالثا، وهو "إحلال آلهة جديدة" محل آلهة أثينا. والحق أن المتتبع لإشارات مليتوس يخيل إليه أن سقراط فى نظره، وفى نظر أصدقائه ونظر الكثيرين من المعاصرين، وباء خطير ينبغى التخلص منه بأى ثمن. وهذا يؤكد قول سقراط: "عندما قلت لكم من قبل إن كثيرين يكنون لى أحقاداً عميقة، فاعلموا أنى قلت لكم الحقيقة" (٢٨أ).

هذا هو سقراط وهؤلاء هم من يقفون أمامه. والآن، كيف دارت المحاكمة؟ بعبارة أخرى: ما هى طبيعة التفاعل الذى نتج عن التقاء عناصر الموقف التى وصفناها، وماذا كانت على الأخص، وهذا هو موضوع "الدفاع"، ردود الفعل عند سقراط بإزاء اتهام خصومه؟ وماذا كان الدور الذى قام به سقراط، وكيف قام به؟ وكيف انتهت المواجهة إلى نهايتها "التراجيدية"؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه فيما يلى.

لا شك أنه سبق دفاع سقراط إعلان الادعاء من جهة وخطبة متهمه الرسمى مليتوس ثم خطبتان أخريان من أنيتوس، المحرك الحقيقى للأمر كله، ومن لوكون، ثم دعت المحكمة سقراط إلى الدفاع عن نفسه. وسقراط، كما يقول هو، لم يحضّر دفاعه مكتوباً، ويقال إنه رفض عرضاً لكاتب خطب شهير (لوسياس) ليكتب له دفاعاً على الطريقة المعتادة، ورد بأنه قضى حياته كلها، وهى عنده حياة بحسب الفضيلة، فى تحضيره. وأياً ما كان الأمر فلابد أن سقراط قد فكر فى دفاعه طويلاً قبل بدء المحاكمة، واستقر على الطريقة وعلى النقاط الأساسية التى سيبرزها.

وتركيب "الدفاع" كما يقدمه أفلاطون تركيب بسيط، ففيه ثلاثة أقسام: رد سقراط على الاتهامات (١٧أ – ٣٥ د)، رأيه فى العقوبة التى يستحقها (٣٥هـ – ٣٨ب)، وهذان القسمان هما دفاعه على وجه التحديد، ولكن هناك قسما ثالثا لكلمات سقراط بعد إعلان الحكم عليه بالإعدام (٣٨جـ – ٤٢أ)، ويشكك البعض فى أن يكون سقراط قد تكلم بالفعل مرة ثالثة بعد إدانته بالإعدام.

والقسم الأول هو أهمها بالطبع، وأطولها بالتالى. وفيه أجزاء: مقدمة عامة عن طريقته فى الكلام (١٧أ – ١٨أ)، أن المتهمين له قدامى وجدد (١٨أ – هـ)، عرض للتهم القديمة (١٩أ – جـ)، رده عليها (١٩جـ – ٢٤ب)، عرض الاتهامات الجديدة (٢٤ب – جـ)، رده عليها أثناء حوار له مع مليتوس (٢٤جـ – ٢٨أ)، ثم تعقيب عام عن نوع الحياة الذى اختاره سقراط ودفاعه عنه (٢٨أ – ٣٤ب)، وأخيراً تبرير عدم استخدامه للأساليب المتبعة فى مثل هذه المواقف لاستعطاف القضاة (٣٤ ب – ٣٥د).

وقد أشرنا، وسنشير، إلى معظم نقاط هذا القسم، فلا داعى إذن لتكرار الحديث عنها هنا، وإنما نريد الآن أن نتحدث عن رد سقراط على الاتهامات التى احتواها إدعاء مليتوس عليه، وهى أولا إفساد الشباب، ثانياً عدم الاعتراف بآلهة أثينا الرسمية، وثالثاً إدخال آلهة جديدة.

ويبدو أن سقراط أخذ بمبدأ أن الهجوم هو أفضل طرق الدفاع، فنحن نجده يبدأ بأن يعلن: "مليتوس يزعم أننى أقترف ذنباً بإفساد الشباب، ولكنى أقول أنا، أيها الأثينيون، أنه هو الذى يقترف ذنباً حين يهزل فى شأن الأشياء الجادة"، وذلك بتقديمه سقراط إلى المحاكمة بصدد أمر لا يعرف هو عنه شيئاً (٢٤جـ). وهذا يعطينا اللحن الأساسى الذى سيلعب عليه سقراط: ألا وهو دفع اتهام مليتوس "بعدم اختصاصه" فى مسألة إفساد الشباب. ذلك أنه من الأفكار الرئيسية التى نجدها فى محاورات أفلاطون الأولى، ومن المؤكد أنها من أصل سقراطى، فكرة "رجل الاختصاص"، فالمختص وحده هو صاحب الحق فى إصدار الحكم والمشورة، والمختص هو "من يعلم"، ومن يعلم يعلم كل شىء عن موضوع تخصصه، بما فى ذلك الشىء وضده، فالماهر فى الصحة مثلاً ينبغى أن يكون بالضرورة ماهراً فى معرفة المرض. ومليتوس يدعى أن سقراط يفسد الشباب، مما يفترض بالضرورة أنه يعلم كيف يصير الشباب أفضل ومن يجعلهم أحسن. فمن هم هؤلاء؟ لا يجد مليتوس جواباً عن هذا السؤال، وحينما يحاصره سقراط يلجأ إلى الإجابة بأنها "القوانين"، ولكن سقراط إنما يسأله عن "البشر" الذين يجعلون الشباب أفضل، فيجيب مليتوس إجابة "ماهرة" بأن من يصلح الشباب هم هؤلاء القضاة الذين أمام سقراط ورجال السياسة بل وكل الأثينيين. "ما عداى أنا؟"، يسأله سقراط، "نعم، ما

عداك"، يجيبه خصمه. وما أسهل أن يبين سقراط بعد هذا "لا معقولية" مثل هذا الموقف: فكيف ينجح سقراط بمفرده فى إفساد الشباب الأثينى بينما كل المواطنين الآخرين يساهمون فى إصلاحهم؟ وما هذا إلا دليل على أن مليتوس لم يهتم ولم يعن بأمر الشباب وبمسألة إفساده وإصلاحه، فأنى له وحاله هذه أن يتهم سقراط بتهمة إفساد الشباب؟

بعد "اللامعقولية" يبرز سقراط "تناقض" مليتوس. فإذا هو وافق على أن أحداً لا يريد لنفسه أن يضره من يصاحبهم، وإذا استمر فى ادعائه أن سقراط يفسد الشباب المرافق له، بل ويفسده قصداً، أفلن تكون النتيجة أن سقراط نفسه سيُضر؟ ولكنا كنا اتفقنا أن أحداً لا يريد الضر لنفسه. إذن فمليتوس متناقض فى دعواه (٢٥جـ – هـ). ولكن هذه النتيجة نفسها تتضمن أنه على فرض أن سقراط يفسد الشباب، فإن ذلك لا يمكن أن يكون إلا رغم إرادته، وإذن لا تكون المحكمة هى مكان إصلاح سقراط ووضعه على الطريق المستقيم، بل كان يجب على مليتوس أن يأخذه لينبهه إلى أخطائه وأن يعلمه ما هو الصراط السوى، ولكنه تجنب دائما الدخول فى نقاش معه.

وكيف يفسد سقراط الشباب؟ بتعليمهم عدم الإيمان بالآلهة التى تعبدها المدينة وإحلال آلهة أخرى محلها، يجيب مليتوس. وينجح سقراط فى جعل مليتوس يغير من اتهامه ليحل محله اتهاما آخر ظن أنه سيكون أكثر خطرا على سقراط، وهو عدم الإيمان بأية آلهة كانت (٢٦جـ، هـ). ولكن تناقضه هنا واضح. فقد ذكر أن سقراط يؤمن بآلهة جديدة، إذن فهو يؤمن على الأقل ببعض الآلهة. من جهة أخرى، يوقع سقراط خصمه فى حبائله مرة جديدة حين يستدرجه، وهو المندفع الذى لا ينتبه إلى متضمنات ما يقول، ليدعى أن سقراط يعتقد أن الشمس حجر وأن القمر تراب، على حين أنه من المعروف أن هذه آراء أنكسجوراس الفيلسوف صديق بيريكليز حاكم أثينا الشهير، ولم يكن يمكن لسقراط أن ينسب هذه الآراء إلى نفسه لأنها معروفة المصدر، وخاصة "لغرابتها" وبعدها عن المألوف، وكان من الممكن شراء كتاب أنكساجوراس بثمن قليل.

هذا هو رد سقراط. والمهم الان هو التأكيد على بعض طرائقه المعهودة التى استخدمها فى رده هذا. فهو أولا يستخدم منهج الأسئلة والأجوبة، وهو يتتبع متضمنات كل قول، وهو يركز على التناقض الموجود إما بين قضية ونتائجها أو

بين قضيتين يقبلهما الخصم، وهو يستخدم مفهوم الاختصاص الذى أشرنا إليه. إذن هو يستخدم فى الدفاع عن نفسه نفس الأسلوب الذى جلب عليه كل هذا العداء. ولكننا إذا دققنا النظر فى الأمر لوجدنا أن سقراط هنا متسق مع نفسه كل الاتساق. وموقفه هذا يتضمن إيماناً بأن "الإقناع" أو الاتفاق ممكن عن طريق استخدام العقل. فمجمل ما يفعله سقراط فى الحق إنما هو إبراز تناقضات مليتوس، تاركاً للقضاة مهمة استخراج نتائج هذا. أخيراً، نشير إلى أن سقراط يستخدم لبعض الوقت أسلوبا "خطابياً" للرد على خصمه، فهو لا يبدأ فقط بالهجوم عليه، بل هو يحاول كذلك التقليل من شأنه والسخرية منه، بالقول، مثلاً، إن مليتوس أراد لا شك أن يمزح وأن يختبر قدرة سقراط على فك غوامض اتهامه الذى يصبح أشبه باللغز، والذى سيقول: "فلنر إن كان سقراط ذلك الحكيم سيدرك أننى أمزح وأننى أناقض نفسى، أم أننى سأوقع به وبكل المستمعين الآخرين"(٢٧أ). ويجب أن نلاحظ الإشارة فى هذا النص إلى التناقض.

ومن الممكن جداً أن يكون سقراط قد أحرز برده هذا انتصاراً "منطقياً" على خصمه، بل إنه لمن المحتمل أن يكون قد كسب بكلماته هذه معظم الأصوات التى ستكون معه لحظة الحكم، ولكن الموقف يتغير تغيرا شديداً فى القسم الذى يلى (٢٨أ - ٣٤ب) والمخصص لعرض حياة سقراط والدفاع عنها. ذلك أن سقراط لا يدافع عن حياته وحسب، وإنما هو بنفس الضربة يهاجم الأثينيين، وهنا يوضع هذا السؤال: إلى أى حد كان فى موقف سقراط تحدياً واستثارة للقضاة والجمهور؟ وهذا السؤال: إلى أى حد يعتبر سقراط إذن مسئولاً عن الحكم الذى صدر بإدانته؟ أو بعبارة أخرى: إلى أى حد يمكن القول أن سقراط "ابتغى" إدانته وسعى إليها سعياً؟ ولكنها، كما هو واضح، أسئلة ذات خطر.

لنضع أنفسنا موضع القضاة، فكيف سنرى سقراط؟ سنراه رجلاً يملك من الصلف ويبدى منه الشيء الكثير، وفيه أيضاً الكثير من العناد. هو رجل يرفض أن يدخل فى "القطيع" ليكون كباقى الناس، بل يريد ويصر أن يبقى كما هو، أن "يكون نفسه". وتظهر هذه الإرادة منذ المبدأ حين يعلن أنه سيتكلم على طريقته لا على طريقة المحاكم. وهذا يعنى، من وجهة نظر القضاة، أنه يرفض أن ينثنى أمامهم ويطلب منهم أن ينثنوا هم أمامه وأمام طرائقه الخاصة. وسقراط يدرك ما

فى هذا من مضايقة لهم، ولهذا فهو يطلب منهم ألا "يدهشوا" وألا "يصيحوا من أجل هذا" (١٧جـ - د). وكان محقا فى توقعه، فيما يبدو، لأنه يعود، فى وسط حواره مع مليتوس على الطريقة السقراطية، ليذكرهم بطلبه هذا وليطلب منهم من جديد ألا يصيحوا أو يثوروا إن هو قدم دفاعه وحججه "على طريقته المعهودة"، وهى هنا طريقة السؤال والجواب. ومن المحتمل أن يكون بعض القضاة قد صدموا من لهجة سقراط حين يقول: "فلأدافع عن نفسى محاولا، أيها الاثينيون، أن أنزع من صدوركم تلك الفرية التى حملتموها مدى أعوام طويلة" (١٨هـ)، وحين يضيف أنهم هم الذين سيجنون بعض الفائدة من ذلك! وإذا كان سقراط يقف هنا موقف الطبيب، فإن هذا نفسه يعنى كأن من أمامه مرضى. ورغم هذا فإن لهجة سقراط فى الصفحات الأولى من المحاورة معقولة، بل هو يحاول فيها أن يأخذ القضاة إلى صفه حين يهاجم هؤلاء المعلمين الغرباء الذين يأتون إلى أثينا ليقنعوا الشباب "بترك صحبة مواطنيهم" ومتابعتهم هم، فسقراط هنا يقف موقف المدافع عن المدينة، وبالتالى عن المواطنين، أمام الغزو "الثقافى" لهؤلاء الغرباء من المدن اليونانية الأخرى (٢٠أ).

ولكن ضيق القضاة والجمهور لابد أنه قد بدأ يظهر عند كلام سقراط (٢٠هـ وما بعدها) عن أسئلته الدائمة التى ما فتىء يوجهها إلى أهل المدينة من كل ضرب، والتى توقعهم فى الحيرة أو تجعلهم موضع سخرية المستمعين، وما من شك أن معظم القضاة قد خبروا بالفعل الوقع المؤلم الذى تركته فى نفوسهم أحاديث سقراط معهم. إذن هى الذكريات المريرة تبدأ فى الصعود (ويمكن أن نتصور قلوب القضاة كخزان ماء يبدأ شيئاً فشيئاً فى الامتلاء حتى يفيض فى النهاية ويغرق ما حوله)، وقد يزيد من مرارتها أن سقراط يقدم لكلامه عن هذا الموضوع بأنه قد يكون فيه بعض التفخيم له، ولكن ذلك سيكون عن غير قصد منه بالطبع.

وإذا كان القضاة قد يتحدثون عن "مضايقة" بصدد كل السابق، فلا شك أن الكلمة التى قد تتفق مع انطباعهم عن كلام سقراط، المنسوب إليه فى ٢٨ب وما بعدها، هى كلمة "التحدى". فهو يعرض لنوع الحياة الذى اختاره لنفسه، ويقول إنه باق عليه ما دام فيه نفس، أى أنه سيظل على طريقته فى التفلسف وفى فحص الناس. ثم يقول: وحتى إذا عرضتم علىّ البراءة على ألا أفعل ذلك، فإنى رافض

عرضكم، لأنى أفضل طاعة الإله على طاعتكم. وتصل قمة تحديه للمدينة بأسرها فى هذا النص الهام ٢٩د - ٣٠جـ الذى يعتبر فى رأينا أهم نصوص "الدفاع" على الإطلاق (وليلاحظ القارئ أنه مسبوق باثنتى عشرة صفحة وتتبعه ما يقاربها، ولعل هذا ليس مصادفة)، والذى يلخص فيه سقراط طريقته فى الفحص ويجمل مبادئها وينهيه بهذه القمة: "برؤنى أو لا، ولكنى لن أفعل على اليقين شيئاً آخر غير هذا [التفلسف والموعظة]، حتى إن وجب علىّ أن أموت مرات عديدة" (٣٠جـ). وهل نتعجب بعد هذا إذا صاح القضاة والجمهور هنا أشد الصياح (٣٠جـ)؟ وألا نتصور أن كثيراً من الأصوات ارتفعت لتطالب برأس سقراط حتى يصمت إلى الأبد هذا المكابر؟ وما يقوله سقراط بعد ذلك على الفور لا يساهم أية مساهمة فى تهدئة المستمعين، بل هو يزيدهم ثورة عليه حين يضيف: "إنه من مصلحتكم أن تنصتوا"، وهو يكرر هكذا نغمة سبق أن لاحظناها فى ١٩أ. ولا يكفيه هذا، بل يضيف: "إنى أريد أن أقول لكم أشياء ربما جعلتكم تصرخون". وهذا ينقلنا صراحة من ميدان التحدى إلى ميدان "الإثارة" الواعية. وهل يمكن أن يسمى قوله هذا إلا إثارة: "تيقنوا أنكم إن أنتم أعدمتمونى ... فإنكم لن تضرونى أنا بقدر ما تضرون أنفسكم"؟ فهو هنا يقلب الآية قلباً بحيث يصبح من مصلحة الشعب أن يستمر سقراط فى نشاطه المتفلسف الفاحص. وعلى ضوء هذا نستطيع أن نفهم على نحو أفضل إشارتىّ سقراط (١٩أ ، ٣٠جـ) إلى "إفادة" الشعب بدفاعه. وانقلاب الآية يظهر أكثر وأكثر حين يصيح سقراط بهذه الكلمات: "ليس دفاعى من أجل نفسى ... وإنما هو من أجلكم" (٣٠د). وتضاف العجرفة إلى الإثارة حين يقول: "لن تجدوا رجلا مثلى بسهولة" (٣١أ). بل نحن نتصور أن القضاة شعروا، بعد تخطى درجات المضايقة ثم التحدى ثم الإثارة الواعية، أن دور السب جاء حين يقذف فى وجه قضاته بهذا الحكم عليهم: "قد تحكمون بإعدامى فى عجلة ... وقد تقضون البقية من حياتكم فى النوم بلا انقطاع، اللهم إلا إن أرسل الإله إليكم رجلا آخر شفقة بكم" (٣١أ). وهو لا يهاجمهم كأشخاص فقط، وإنما هو يهاجم نظامهم السياسى نفسه بأكمله: "ليس هناك من بشر قادر على إنقاذ حياته إن هو عارضكم معارضة حقيقية أنتم أو أية جمعية شعبية أخرى، وحاول منع كثير من ألوان الظلم ومخالفات القانون من أن تحدث فى المدينة" (٣١هـ، وانظر ٣٢هـ).

وبعد السب يأتى دور الاحتقار، وهو آلم لنفوس هؤلاء القضاة الذين يمثلون

الشعب كله وبيدهم كل السلطة: أو لا يستطيعون الزج بمن يشاؤون فى السجن أو نفيه بل وكذلك إعدامه؟ فإذا جاء سقراط ليقول لهم إنه لا يخشى الموت (٣٢د)، فإنه بهذا يلقى بأخطر ضرباته وأشدها إيلاما لهؤلاء "الأقوياء"، فهو يقول لهم فى بساطة: حتى تهديدكم بالموت لا يخيفنى، فلا تظنوا أنكم أقوياء بهذا. ويعلم الخبراء بالنفوس كم هو مؤلم لصاحب السلطة أن يكتشف ألاّ سلطة له! وهذا لا شك هو ما حدث لقضاة سقراط: فليس لهم عليه من سلطان، إنما سلطانه العقل والقيمة الأخلاقية. وهذا يجعلنا نتلمس طريق حقيقة أساسية فى الخلاف بين سقراط ومواطنيه: ذلك أنه ينتمى إلى عالم وإلى نظام متباينين أشد التباين عن عالمهم وعن نظامهم، ومن هنا كانت حتمية الاصطدام وحتمية الاختيار الفاصل بين نظامه ونظامهم. وعلى هذا الضوء، فإما هو وإما هم.

وتأتى كلمات سقراط الأخيرة (٣٤ب – ٣٥د)، التى يبرر فيها عدم لجوئه إلى التباكى وغير ذلك لاسترحام القضاة، لتحز فى نفوس القضاة شخصاً شخصاً. فهو يقارن نفسه بهم، ومعظمهم وقف لاشك أمام المحكمة شاكيا أو مشكواً منه، وجلب الكثير منهم أطفالهم وبكوا ليستجلبوا عطف القضاة. وهكذا يذكر سقراط كلا منهم بما فعل أو بما سيفعل أو بما كان يمكن أن يفعل (٣٤ب – جـ)، ومعلنا احتقاره لهذه الوسائل، وسقراط يعرف جيد المعرفة أن رفضه لها سيجعل الآخرين يثورون ضده، لأنهم فعلوا أو سيفعلون ما يقول لهم سقراط إنه من العار. وإحقاق الحق يوجب الإشارة إلى أن سقراط يضع هذا كله كفرض، بل ويتظاهر أنه لا يعتقد أن ذلك سيكون حال بعضهم (٣٤ جـ – د)، ولكن هذا ليس إلا طريقة لجأ إليها سقراط أخيراً للتخفيف من وقع هجومه، لأنه يعرف أن ذلك كان حال معظمهم بالفعل.

ولا شك أن نتيجة التصويت الأول (إجابةً عن سؤال: هل سقراط مذنب أم لا؟) كانت مفاجأة للكثيرين ولسقراط نفسه، حيث إن الفرق بين المؤيدين للإدانة والمعارضين لها لم يزد على ثلاثين صوتا من بين خمسمائة صوت (أو خمسمائة وواحد). ونستطيع أن نتصور مشاعر من برأوا سقراط بعد ظهور النتيجة: فمن المحتمل أن يكونوا قد توقعوا أن ينتهى الأمر إلى فرض غرامة ما على سقراط، ولعلهم كانوا يرغبون فى أن "يساعدهم" سقراط لكى تنتهى المحاكمة بسلام. ولكن المؤكد أنهم أصيبوا بخيبة أمل كبيرة لأن سقراط، وقد دعى لإبداء رأيه فى العقوبة

التى يستحقها بعد قرار الإدانة، يعلن أنه لا يستحق عقوبة ما، وإنما حقه مكافأة تليق به، وهى أن يعيش بقية حياته على نفقة الدولة (٣٦د). وما كان للغالبية من بين القضاة إلا أن يحسوا أن سقراط يسخر منهم، وأنه مستمر فى غلوائه وفى عجرفته، ويتأكد انطباعهم هذا عندما يسمعونه يكرر أنه هو الذى يجعل المواطنين سعداء على الحقيقة (٣٦د)، وأنه لن يصمت (٣٧هـ)، ولن يقبع فى ركن هادئ، بل سيستمر على طريقته نفسها. ولا شك أن القضاة شعروا بغيظ شديد وهو يعرض عليهم أخيراً، وأخيراً جداً، أن يدفع غرامة "ميناً" واحداً، وهو مبلغ تافه، ثم يقبل بعد هذا تحت ضغط أصدقائه، وأفلاطون مؤلفنا فى مقدمتهم، أن يدفع ثلاثين ميناً.

والآن، وقد امتلأ الإناء، فإن الغيظ ينفجر ويُحكم على سقراط بالإعدام بأغلبية أكبر كثيراً من تلك التى أدانته أثناء التصويت الأول. وليس هناك من داع للإشارة إلى رجوعه إلى الهجوم على من أصدروا الحكم ضده (٣٨جـ) وإلى سبهم (٣٩ب)، وإلى تنبوئه لهم بشرور عظيمة تحل بهم. ليس هناك من داع لهذا، فقد قضى الأمر.

نخرج من هذا العرض بأننا إذا وضعنا موضع القضاة لاعتبرنا أن سقراط، لا جدال فى هذا، أثار قضاته إثارة وسعى إلى ذلك سعياً. والآن: ما هو مقدار مسئوليته عن الحكم بإدانته وإعدامه؟ هنا نعود إلى وجهة نظر سقراط لنجد أن لديه مبررين لسلوكه هذا: أنه يريد أن يظل دائماً متسقاً مع مبادئه، وأنه كان يقول الحقيقة دائماً مهما تكن موجعة. ولكن إذا كان لنا أن نطلق تقديراً للموقف كله، فإننا سنقول إنه حتى على فرض قبول هذين المبررين، فإنهما لا ينفيان مسئولية سقراط عن إدانته فى التصويت الأول وخاصة عن الحكم عليه بالإعدام، ومما يؤكد مسئوليته أنه كان على وعى بأنه يتحدى القضاة. فهو يقول مثلاً بصدد رفضه للإتيان بأطفاله أمام المحكمة: "وليس ذلك تحدياً منى، ولا احتقاراً لكم" (٣٤ د – هـ). وهذا النص الصريح يعنى على الأقل أنه كان يدرك أن مستمعيه سيفسرون سلوكه على هذا النحو، وهو يعود إلى نفس القول فى ٣٧أ. أما فيما يخص عرضه بأن يدفع غرامة مينا واحداً، فإنه كان يدرك أن قضاته سيأخذون هذا على مأخذ السخرية منهم (٣٨أ ، وقارن ٢٠د).

يضاف إلى هذا أمر هام. ذلك أن سقراط كان يعى خطورة موقفه. فهو الذى يقول إن الفرية التى تتابعه ترجع إلى سنين طويلة، ما يقرب من الخمسة والعشرين

عاما على الأقل (١٨ ب،جـ)، وأن موقفه سيكون صعباً لأن عليه أن يدافع عن نفسه ضد أشباح، حيث إن العدد الأعظم من متهميه القدماء مجهولون (١٨د). وفى نفس الوقت فإن الوقت المتاح له للدفاع عن نفسه ضيق، فعليه فى بضع ساعات أن ينزع من عقول الأثينيين أفكارا عنه تأصلت عندهم منذ سنين طويلة (١٩أ ، ٢٤أ ، ٣٧ب). ولكنه لن يصل إلى إقناعهم فى مثل هذا الوقت القصير، ويضيف بالنص: "إننى أعتقد أن هذا سيكون أمراً صعباً، وأدرك جيد الإدراك أنه كذلك" (١٩أ)، ثم يسلم أمره للإله. كذلك، فإنه كان يدرك خلال السنين الفائتة أنه كان يصنع له أعداء بين كل الفئات (٢١هـ، ٢٤أ، ٣٧أ)، بل وكان ينتظر أن تثير مواقفه القضاة (٣٤ جـ)، وأكثر من هذا: كان يتوقع إدانته (٣٦أ).

والآن: إذا نحن ضممنا أنه، من جهة، كان يعى خطر الموقف، إلى أنه، من جهة أخرى، قدّم دفاعه وتحدث على ذلك النحو الذى وصفناه والذى كان من شأنه إثارة القضاة، فإننا نجد أنه يقع على سقراط قدر غير بسيط من المسئولية فيما انتهت إليه نتيجة محاكمته، خاصة وأنه كان يعرف أنه كان يمكن أن يخرج منها سالما بعد تقارب عدد الأصوات التى برأته فى التصويت الأول مع تلك التى أدانته. وقد كانت هذه هى رغبة أصدقائه، ويدل على ذلك حثهم له، وفى مقدمتهم أفلاطون، على عرض مبلغ ثلاثين مينا كغرامة، ولا يمكن والحال هذه إلا أن نتساءل: هل تعمد سقراط إذن أن يدان وأن يعدم؟ سؤال لا تمكن الإجابة القاطعة عليه، فمن ذا الذى يجسر على إدعاء القدرة على الدخول إلى أعماق النفس وكشف خبايا النيات؟ لهذا نترك للقارئ أن يكوّن لنفسه عناصر إجابة ممكنة، وذلك بالرجوع إلى هذه النصوص: ٣٤هـ، ٣٧هـ، ٣٨جـ، ٣٩أ، ٤٠أ - ب، ٤١جـ - د، وغيرها مما يجد أنها تخص هذا الموضوع.

☆☆☆☆☆

ننتقل الآن إلى الحديث عن الفكر السقراطى كما يظهر فى هذه المحاورة. وسنتحدث أولا عن موقفه من الدولة ثم عن موقفه من الدين ثم عن فلسفته.

لقد أدى سقراط واجباته المدنية ولم يتقاعس، فاشترك فى ثلاث حملات عسكرية (٢٨هـ)، وأبلى فيها بلاء حسنا كما نعلم من محاورتى "لاخيس"

و"المأدبة" لأفلاطون، وكان مرة عضوا فى المجلس التنفيذى، أو مجلس الحكومة (Boulê) المكون من خمسمائة عضو. وهو مطيع للقوانين (١٩أ ، وانظر على الأخص محاورة "أقريطون" التالية)، وتهمة سمعة أثينا (٣٤هـ، ٣٨جـ حيث يتحدث عن "مدينتنا").

ورغم هذا فقد عزف عن السياسة. ويمكن تلخيص موقفه فى عبارة قصيرة: إنه لم يشتغل بالسياسة إلا وفق العدل ومكرهاً على ذلك، وحدث هذا مرة واحدة كما أشرنا، وحينما وقعت عليه القرعة.

فما هى أسباب عزوفه عن الاشتغال بالسياسة؟ هناك بالطبع انشغاله بالتفلسف وبفحص البشر، وهو ما ألهاه ليس فقط عن الاهتمام بالسياسة بل وكذلك عن الاهتمام بأموره الشخصية (٢٣ب). ولكن هناك على الأخص خطر السياسة. فقد مرت به تجربتان (٣٢ أ -جـ، جـ - د) أقنعتاه بأنه من الصعب جداً، بل من المستحيل، على الرجل الفاضل الأمين أن يشتغل بالسياسة وأن يظل سائراً فى نفس الوقت على طريق العدل (٣٢هـ). ولهذا كان أمامه أحد طريقين: إما أن ينبذ العدل إن هو اشتغل بالسياسة، أو أن يحافظ عليه دافعاً الثمن بحياته ذاتها إن اقتضى الأمر (٣٦ ب- جـ، ٣١هـ - ٣٢أ). وهناك اعتبار ثالث، ولعله الأهم، وهو التحريم الإلهى على سقراط بالاشتغال بالسياسة. فالصوت الإلهى الذى يسكن سقراط، والذى يمنعه من إتيان بعض الأفعال التى يكون مقدماً عليها، يديره دائماً عن دخول حلبة السياسة. "واعلموا علم اليقين أننى لو كنت دخلت عالم السياسة لكنت انتهيت ... فلا مناص لمن يريد الجهاد فى سبيل العدل جهاداً فعلياً، إن هو أراد أن يبقى على حياته لفترة من الزمن ولو قصرت، لا مناص له من أن يعيش حياته الخاصة فقط وألا يكون له اشتراك فى الحياة العامة" (٣١د - ٣٢أ).

ولن تغيب عن فطنة القارئ المنتبه أهمية السطور الأخيرة من هذا النص، لأنها تحوى فى بساطتها الظاهرية هجوما على النظام السياسى الأثينى بأكمله. فالسياسة تصبح، بحسب هذا التصريح، ميدان الفساد وميدان الظلم بطبيعتها، والخارج منها قد نجى والداخل إليها مفقود. كذلك فإنه يصبح من المستحيل عمليا التوفيق بين الأخلاق والسياسة. وهناك هجوم آخر من جانب سقراط يمس أهل السياسة أنفسهم. فسقراط باختصار يدفع بعدم اختصاصهم، ولن يفوت علينا أن

نلمح أن أول من طبق سقراط عليه فحصه بعد صدور نبوءة الإله بأنه ليس هناك من هو أحكم منه، كان أحد رجال السياسة: "وفحصته فحصا شاملا ... وقد جعلنى فحصه أحس بالتالى: فأثناء الحوار معه بدا لى أنه يظهر فى نظر الكثيرين من الآخرين، وفى نظره هو نفسه على الخصوص، أنه حكيم، أما فى الحقيقة فإنه ليس بحكيم" (٢١جـ). وقد كان رجال السياسة، وهم كثرة كثيرة فى النظام الديمقراطى، يظنون أنهم عالمون بكل شيء وعلى الأخص بأمور العدل والحرب، ويمكننا أن نجد فى محاورتى أفلاطون "ألقبيادس الكبرى" و "لاخيس" صورتين للقاء سقراط مع بعضهم وكشفه عن جهلهم حتى بالأمور التى تخص السياسة ذاتها (ويدخل فيها فن الحرب). فكيف لهم أن يجسروا على قيادة أمور الشعب وهم لا يعرفون طبيعة العدل مثلا؟ وأنّى لمليتوس أن يدعى اهتمامه بأمور الشباب، وهى فى النهاية مسألة سياسية حيث إنها تخص المدينة بأكملها، وهو لم يعن بتعميق مفاهيمه حول هذا الموضوع (٢٥جـ)؟

والقارئ لمحاورة "ألقبيادس الكبرى" يعرف أن سقراط، بعد أن يكشف لألقبيادس عن جهله وقصوره وعدم استطاعته أن يكون "خبيراً" فى السياسة طالما لم يؤهل نفسه لذلك حق التأهيل، يدعوه أولا إلى العناية بنفسه. وهذا هو نفس الحل الذى يقدمه سقراط هنا فى "الدفاع": فهو لا شاغل له إلا أن يقنع كل من يتحدث معه "بألا يقدم العناية بشيء على العناية بنفسه وألا يعنى بأمور المدينة قدر العناية بالمدينة ذاتها" (٣٦جـ). ولكن هذا الكلام البريء يعنى فى الحقيقة قلب النظام السياسى الأثينى كله رأساً على عقب. فهو لا يكتفى فقط بوضع السياسة فى المكان الثانى بعد الأخلاق، بل هو يضع الفرد بالتالى قبل الدولة، فهو أهم منها، أو هكذا يجب أن يكون فى نظر نفسه على الأقل، وفى هذا نقض لمبدأ أولوية المدينة فى كل شيء وأولوية الكثرة أو الجمهور أو الشعب، وهو المبدأ الذى يقوم عليه الكيان السياسى للمدن اليونانية. وكل هذا يضع سقراط على اتصال وثيق مع اتجاهات السفسطائيين الذين شجعوا النزعات الفردية، وكان من نتائج تعليمهم تقويض هيبة التقاليد المتوارثة، ووريثتها لم تكن إلا المدينة نفسها كنظام سياسى، أى الدولة.

بعبارة أخرى، فإن مفهوم سقراط عن السياسة يختلف كثيرا عن تصور مواطنيه لها. ولهذا فعندما يتحدث هو عن المدينة فإنه يقصد شيئا مختلفا عما يعنيه

الآخرون "بالمدينة"، أى، فى نظرهم، تلك المجموعة من التقاليد المتوارثة ومن السلطات التى يتمتع بها، فى النظام الديمقراطى، مجموع المواطنين. إن سقراط، فيما يبدو لنا، لا يقصد بالمدينة معظم الوقت إلا مواطنيها كأفراد. ونستطيع أن نفهم على هذا الضوء كيف أن سقراط لم يحاول الاشتراك فى سياسة المدينة عن طريق الجمعيات العمومية، وأنه يستطيع أن يقول رغم هذا إنه فى "خدمة المدينة". فهو يعلن أن الإله أرسله هدية إلى المدينة (٣٠هـ، ٣١أ)، وأنه وضع نفسه فى خدمة الجميع فقراء وأغنياء (٣٣أ - ب)، وأنه يجد نفسه جديراً بأن يعيش على نفقة الدولة لأنه يقدم إلى كل مواطن أعظم خدمة بتنبيهه له على الاهتمام بنفسه أولاً، بعبارة أخرى لأنه هو الذى يجعل المواطنين سعداء على الحقيقة (٣٦ب - هـ). ويضع سقراط هذا كله وضعا حاداً فى نص ٣٠أ الذى يقول: "إنى لأعتقد أنه لم يظهر ما هو أعظم خيراً لكم فى هذه المدينة من وضعى نفسى هكذا فى خدمة الإله". ودفاع سقراط ليس من أجل إنقاذ حياته، بل هو من أجل الأثينيين (٣٠د). فأين سيجدون من بعده رجلاً يتتبعهم بالنصح والتوجيه مثلما يفعل هو مهملا كل أموره الخاصة (٣١أ)؟ وهكذا فإن موته إنما سيكون خسارة للمدينة ذاتها، وهم إن أعدموه فإنما يجنون على أنفسهم (٣٠جـ)، وعليهم أن يحذروا من الشرور التى ستصيبهم من بعده (٣٩أ - ب)، بل هو يتنبأ لهم بعقاب أليم (٣٩جـ).

على ضوء هذا كله نفهم كيف أن الادعاء ضد سقراط لم يكن اتهاماً عادياً، بل كان قضية "سياسية" بأعمق معانى هذه الكلمة وبأدقها كذلك (الكلمة الدالة على السياسة فى اللغة اليونانية مشتقة من كلمة polis التى تعنى "المدينة")، ليس فقط فى جزئه الخاص بإفساد الشباب، بل وكذلك فى قسمه الدينى. فقد كان الدين من شأن المدينة التى كانت لها آلهتها وعبادتها الخاصة بها، وكان بعض القائمين على الحكم مختصين بالمسائل الدينية (ومنهم "الحاكم - الملك" الذى نقرأ عنه فى مفتتح محاورة "أوطيفرون").

وإذا أردنا الآن الحديث عن فكر سقراط الدينى أو عن موقفه من الدين بصفة أعم، فإننا يجب أن نبدأ بالإشارة إلى أن آراء سقراط فى هذا الميدان غير واضحة تماماً، وكثيرا ما سنضطر بصددها إلى الاستنتاج بديلا عن الاعتماد على الإشارات الواضحة. وربما كان هذا الوضع فى محاورة "الدفاع" على الخصوص

ناتجاً عن طبيعة موضوعها الذى هو الدفاع عن سقراط ضد اتهامات أعدائه ومنها عدم الإيمان بالآلهة. والإطار العام الذى يمكن أن يوضع فيه هذا كله هو إطار الصراع بين الدين والفلسفة، أو على الأدق الصراع بين الديانة التقليدية اليونانية والفلسفة عند سقراط وفى عصره. ذلك أن تهمة إنكار الآلهة قد وجهت إلى أنكساجوراس وإلى بعض السفسطائيين من قبل سقراط، بل إن قسما كبيرا من الصورة الشعبية عن سقراط أتى، كما أشرنا، من الصورة العامة عن "الفيلسوف" الذى يتحرى عما فى السماء وعما تحت الأرض. وكما تقول محاورة "الدفاع" نفسها، فإن الجمهور يتصور أن كل من له هذه الاهتمامات لا يؤمن بالآلهة، فهو، فى نظر الجمهور، لا يرى فى الشمس إلا حجراً ولا فى القمر إلا تراباً. وقد رأينا فى مسرحية "السحب" كيف أن "سقراط" فيها لا يدرى من هو زيوس (وهو كبير الآلهة)، ولا يعتقد فى الآلهة التقليدية ولا يعترف إلا بالسحب آلهة.

وإذا أردنا الإجابة عن سؤال: هل كان سقراط يؤمن بالآلهة؟ كان الجواب الدقيق هو أنه كان يؤمن على الأقل "بآلهة". سقراط يذكر فى "الدفاع" إله معبد دلفى، أبوللون، ولكن بدون الإشارة الصريحة إلى اسمه (قارن"فيدون"، ٦٠د، ٨٥ ب)، ويذكر مستمعيه ببعض الأساطير المرتبطة بالديانة التقليدية (٢٨ب – د)، ويشير إلى العالم الآخر (هاديس) وإلى بعض آلهته (٤١أ). كل هذا صحيح، ولكنه لا يكفى للقول بأنه كان يعتقد فى آلهة الديانة التقليدية. وقد لاحظنا من قبل كيف أن سقراط يدفع مليتوس إلى تعديل صيغة الاتهام الدقيقة ("سقراط لا يؤمن بآلهة المدينة")، ليحوله إلى اتهام بإنكار وجود الآلهة بصفة عامة، وهو اتهام كان من السهل على سقراط أن يفنده، وذلك بالقياس إلى صعوبة تفنيد الصيغة الأصلية. فسقراط لا يفعل شيئاً بعد هذا إلا مجرد الإشارة إلى القسم الآخر من الاتهام وهو الخاص بإحلال آلهة جديدة محل آلهة المدينة، وعن هذا الموضوع يفيض سقراط بعض الشيء ليبرهن على أنه يؤمن ببعض الآلهة على الأقل. وكان مليتوس وصحابه يشيرون فى اتهامهم هذا إلى ما يعرف عن سقراط من اعتقاده فى "جنى" خاص ينهيه عن بعض ما ينوى أن يفعل، ولكنه، بحسب أفلاطون، لا يأمره أبدا بفعل شيء. وكان هذا الكائن، الذى يسمى باليونانية daimôn، فى مرتبة أنصاف الآلهة (انظر ٢٧ جـ – هـ)، إذن فسقراط يؤمن ببعض الآلهة. يقول فى نهاية خطبته الأولى بصدد رفضه استخدام التباكى لاستعطاف القضاة: "واضح أننى إن

نجحت فى إقناعكم وأجبرتكم توسلاتى على الإخلال بقسمكم [أمام الآلهة أن تحكموا بالعدل]، لكنت بهذا أعلمكم عدم الاعتقاد فى وجود الآلهة ... وما أبعد هذا عنى! لأنى أعتقد فيهم أكثر من أى واحد من متهميّ، وأضع نفسى بين أيديكم وبين يدى الإله للفصل فيما يجب أن يكون أفضل لى ولكم" (٣٥د). ورغم التصريح الأول، إلا أن القارئ لا يملك إلا أن يقف أمام العبارة الأخيرة التى تستخدم كلمة "الإله" وليس "الآلهة". والحق أن معظم إشارات سقراط فى هذه المحاورة هى إلى "الإله" بالمفرد، فالذى يأمره بالفحص وبإيضاح أن حكمة البشر لا تساوى شيئا هو "الإله"، والذى يطيعه سقراط هو "الإله"، والذى لا يكذب هو "الإله". ويؤدى استخدام صيغة المفرد هذه إلى التساؤل إن كانت إشارات سقراط هى إلى إله بعينه، وفى هذه الحالة هل هو أبوللون أم هو إله آخر، أم هى إلى "الألوهية" بوجه عام، حتى أن بعض المترجمين يستخدم أحياناً اللفظ الأخير، وهو ترجمة مشروعة فى بعض المواضع. والذى يمكن أن يقال الآن على الأقل هو أن مفهوم سقراط عن الإله أو عن الألوهية كان لاشك مفهوماً جديداً، ويظهر هذا من ربط سقراط له بمفاهيمه عن الأخلاق وعن الحكمة وعن الفلسفة كما سنرى.

وقد كانت الفلسفة قبل عصر سقراط لا تعنى شيئاً آخر غير البحث فى الطبيعة. وربما كان آخر ممثلى هذه الفلسفة العظام، عند الجمهور، هو أنكساجوراس الذى يذكره سقراط فى "الدفاع". ولكن التطور الداخلى لهذا النوع من البحث، منذ المدرسة الأيونية مع طاليس أول فلاسفة اليونان حتى هيراقليطس وبارمنيدس ومن تلاهما كالمدرسة الذرية وأنبادوقليس، وكذلك الظروف الإنسانية بعامة خلال النصف الأول من القرن الخامس ق.م، أى حتى حوالى ٤٥٠ق.م)، جعلته، أى البحث فى الطبيعة أو الفلسفة الطبيعية، لا يصبح قادرا على إرضاء العقول، ولا نريد أن ندخل هنا فى تفصيل ذلك، فليس هنا مكانه. إنما يهمنا أن نعرف موقف سقراط منه. ولحسن الحظ فإن "الدفاع" تحتوى على فقرة عن العلم الطبيعى (١٩جـ – د)، وفيها يقرر سقراط أنه لا يفقه شيئا فى هذا الموضوع وأنه لا يشتغل به على أى نحو. ولكن أهم ما تحتويه هذه الفقرة هو الشك الذى يعلنه سقراط فى وجود شخص ما على الإطلاق يكون "عالما" (sophos) فى هذا العلم أو المبحث. ونستطيع أن نترجم هذا على ضوء ما نعرفه عن حالة مبحث الطبيعيات فى عصر سقراط، فقد وصل اختلاف الآراء فيه إلى غايته حتى حار

الناس أين تكون الحقيقة بصدده، وحتى كان رد الفعل المضاد، الذى نجده عند سقراط وعند السفسطائيين، والذى ينحصر فى إهمال هذا المبحث كلية.

ولكن ماذا يكـــون الآن مصير "البحث عن الحكمة" أو عن العلم، أى "الفلسفـــة" (philosophia)؟ على ضوء "الدفاع" لأفلاطون يبدو أن ميدان الفلسفة تحول ليكون الإنسان، وأصبح مضمونها عند سقراط شيئاً جديداً تماماً، وهو ذو جانبين: نظرى وهو الفحص، وعملى وهو الحث على الفضيلة.

ويستخدم سقراط لفظ "التفلسف" على الخصوص وليس الفلسفة (٢٨هـــ، ٢٩ جـــ)، ولهذا دلالته العظيمة. يقول إن الإله وضعه فى مركز "يوجب علىَّ الحياة متفلسفاً فاحصاً نفسي والآخرين". ويبدو من هذا النص أن التفلسف والفحص عند سقراط شيء واحد، وهكذا تصبح الفلسفة بحثاً عن المعرفة وليس مضموناً محدداً أو مذهباً يلقن، ومع هذا الاستخدام السقراطى تحتفظ "الفيلوسوفيا" بمعناها الحرفى، ألا وهو "محبة الحكمة"، أى السعى وراءها.

وسقراط يفحص الجميع بل ويفحص نفسه (٢٨هـــ مثلا). ومن الصعب تحديد مضمون دقيق لمعنى تعبير فحص سقراط لنفسه، ويمكن لمن يشاء أن يعود إلى الفقرة الخاصة بمحاولة تفسير النبوءة (٢١ب وما بعدها)، أو إلى خطبته الثانية المتعلقة بتحديد العقوبة، أو إلى محاورة "أقريطون" بأكملها، ليبحث فى هذا كله عن عناصر تساعد على فهم ذلك التعبير. والأمر أوضح بالطبع فيما يخص فحص الآخرين. وهناك فئة خاصة تجذب سقراط هى فئة مدعى المعرفة (٢١هـــ). ويقول سقراط نفسه إن فحص هؤلاء وكشف ادعاءاتهم وأنهم لا يملكون معرفة حقيقية كان يجلب بعض المتعة، وخاصة إلى نفوس الشباب الذى كان يرى قمم المدينة وقد أصبحوا أمام سقراط موضعا للاستهزاء والسخرية (٣٣جـــ). ومن أهم معايير تمييز صاحب المعرفة عن مدعيها القدرة على تقديم "التبرير" لما يقول المرء. فشرط "العلم" فى نظر سقراط هو هذا، وهو ما يجعل الشعراء والمنجمين لا يدخلون فى فئة العلماء (٢٢ب – جـــ). وعلامة أخرى على إدعاء العلم هى الوقوع فى التناقض، أو بعبارة أخرى: فإن شرط العلم هو الاتساق. وقد أظهرت بحوث سقراط نقصين خطيرين عند رجال العصر: فهناك من جهة إدعاء المعرفة، ولكن هناك كذلك تعدى حدود الميدان الخاص بصاحب المعرفة. ذلك أن سقراط لا

يدعى أن كل الأثينيين لا يفقهون شيئاً فى شيء، بل هو يعترف بوجود أناس يعلمون (انظر مثلا ٢٢أ)، وربما كان على رأسهم الفنيون المتخصصون فى الأعمال اليدوية، من أمثال الحدادين وصانعى السفن ومن شابههم. ولكن العيب الخطير الذى وجده سقراط لدى هؤلاء هو أنهم يظنون، ما داموا "يعلمون" فى ميدانهم الخاص، أنهم خبراء أيضاً فى أشياء أخرى، لعلها أهم الشئون البشرية (٢٢د)، ويقصد سقراط بها مسائل العدل والظلم والفضيلة والرذيلة. ونفس هذا العيب يوجد عند الشعراء "الذين يظنون أنفسهم أحكم البشر" (٢٢جـ). ويستطيع القارئ أن يرجع إلى محاورة "إيون" لأفلاطون، حيث يرى ادعاءات أحد المنشدين لأشعار هوميروس تصل إلى حد أنه خبير فى فن الحرب.

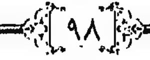
النتيجة الكبرى التى يخرج بها سقراط من فحوصه لحكمة الآخرين هى أنه أحكم منهم يقيناً، لأنه لا يدعى المعرفة بينما هم لا يعرفون ويدعون المعرفة رغم هذا، وهنا نلمس ذلك الموضوع المركزى فى فكر سقراط، بل وفى شخصيته، ألا وهو موضوع "الجهل" السقراطى.

نقول "شخصيته" لأن أحد المعالم الرئيسية فى الصورة الشعبية عن سقراط أنه "سوفس" أى حكيم أو عالم، بينما هو ينكر ذلك، ويقول للقضاة الذين أصدروا الحكم بإعدامه إن أهل المدن الأخرى سيشهّرون بهم قائلين: "لقد أعدمتم سقراط، ذلك الرجل الحكيم، لأنهم "سيقولون إنى حكيم بينما أنا لست حكيما" (٣٨جـ)، وذلك بقصد الإساءة إليهم. ويقول فى بدء دفاعه وعند الحديث عن نبوءة كاهنة معبد دلفى: "إننى على وعى أننى لست حكيماً لا قليلا ولا كثيراً" (٢١ب، وانظر كذلك ١٨ب)، ويؤكد نفس الشيء بنفس الألفاظ أو يكاد: "إننى على وعى أننى لا أعلم شيئا على التقريب" (٢٢جـ - د). من أين أتى هذا "الجهل" السقراطى؟ من الصعب أن نجد نصا فى "الدفاع" يشير إلى أصل لهذا الجهل، وإنما الذى نجده هو تقرير له وحسب، وإن كنا نستطيع أن نستطلع طبيعة هذا الجهل بالمقارنة بين بعض النصوص. ولعل من أفيدها فى هذا الصدد تلك الفقرة التى يتحدث فيها سقراط عن نتائج فحصه للصناع، فهى تساعدنا على الأقل على الإجابة عن سؤال: "سقراط جاهل بماذا؟". فهو يعترف فيها أنهم كانوا يعلمون أشياء كثيرة لم يكن يعلمها هو، وكانوا بهذا "أحكم" منه (٢٢د). من هذه الإشارة نخرج بنتيجتين: أولا

أن "الحكمة" على لسان سقراط معناها العلم أو المعرفة بوجه عام، وثانياً أن المقصود هو معرفة بعض الحقائق فى أى ميدان أياً ما كان، وهكذا فإن الرياضى عالم فى الحساب والطبيب عالم فى الطب والحداد فى الحدادة والسياسى فى العدالة، وهكذا ... وعلامة المعرفة كما أشرنا من قبل هى القدرة على التبرير، أى التفسير بالرجوع إلى أصل (٢٢ ب - جـ).

وسقراط يؤكد على جهله فى ميدانين على الخصوص، وليس من قبيل المصادفة أن يكونا هما ميدان العلم الطبيعى وميدان تعليم الفضيلة. عن العلم الطبيعى يقول إنه لا يفهم فيه شيئاً، ويشكك، كما أشرنا، فى إمكان وجود "عالم" فى هذا الميدان (١٩جـ). أما عن تعليم "الفضيلة"، أى تكوين المواطن عقلياً وتهيئته لأن يبلغ "الكمال"، فقد كان ميدان السفسطائيين. وهنا أيضاً يقف سقراط نفس الموقف: فهو من جهة لا يعتبر نفسه قادراً على القيام بذلك التعليم، وهو يشكك من جهة أخرى فى إمكان امتلاك ناصية ذلك "الفن" (٢٠جـ). ومن المهم أن نشير إلى أنه يهاجم فى هذه الفقرة الطويلة (١٩هـ - ٢٠جـ) السفسطائيين. فهؤلاء "الغرباء" يشدون إليهم الشباب مبعدين لهم على هذا النحو عن مواطنيهم (وبالتالى عن سقراط، ونلمح هنا شيئاً من الغيرة منهم، كما نرى محاولة سقراط إثارة الأثينيين عليهم، فتعليم الشباب كما أشرنا أكثر من مرة مسألة "سياسية")، كما يضاف إلى هذا كله أنهم يتناولون فى بعض الأحيان أجورا مرتفعة (٢٠ أ).

ولكن سقراط، رغم تصريحاته المتكررة عن جهله، يقول إن لديه "حكمة" معينة، وهو يصفها على الفور بأنها حكمة سلبية. وهذا هو مبدؤها: "إن الحكمة الإنسانية قليلة القيمة أو بغير ذات قيمة على الإطلاق"(٢٣أ)، والحكيم هو من يدرك أنه ليس شيئاً بالنظر إلى الحكمة الحقيقية، وهى حكمة الإله (٢٣ب). وهذه الحكمة التى تحدد قيمة المعرفة الإنسانية يسميها سقراط بالتالى "حكمة إنسانية" (٢٠د). ويعترف بأنه حائز عليها بالفعل (وهذا يجعلنا نفهم تعبير "تقريباً" المستخدم فى نص ٢٢د الذى أثبتناه فوق). وإذا كانت هذه نتيجة فحص سقراط ليس فقط للآخرين بل ولنفسه كذلك، فأين ستكون الحكمة؟ الحق أن سقراط لا يجيب فى وضوح عن هذا السؤال، ولكنه لا يقفل الباب أمام إمكان الوصول إليها، وإن كان يبدو أن ذلك صعب كل الصعوبة، لأن الحكمة ملك الإله (انظر ٢٣ أ حيث يقول إن الإله هو الحكيم حقيقة، وقارن ٤٢أ). وماذا عن حكمة الآخرين؟ يسخر سقراط



منها ويقول إنها لا شك "فوق إنسانية"، لأنها فى الواقع لا تزيد عن أن تكون ادعاء للحكمة. وعلى هذا تعطينا محاورة "الدفاع" مثالا هاما، وهو يخص مشكلة الخوف من الموت: "إن خشية الموت ليست شيئاً آخر غير أن يظن المرء أنه حكيم على حين أنه ليس حكيما، حيث إن هذا هو ظن معرفة ما لا يعرفه. إن أحداً لا يعرف ما هو الموت، ولا إن كان يمكن أن يكون للإنسان أعظم الخيرات كلها، ولكن الناس تخشاه كما لو كانت تعرف أنه أعظم الشرور" (٢٩أ – ب). وسيكون من المفيد أن يرجع القارئ إلى بقية هذا النص الهام الجامع لأنها توضح جانباً أساسياً من جوانب الفلسفة السقراطية. ذلك أن سقراط لا يخشى من الشرور إلا ما "يعرف" حق المعرفة أنه كذلك، أما ما هو غير ذلك فلن يهرب منه ولن يخشاه (٢٩ب، ٣٧ب). بعبارة أخرى، فإن هناك العلم وهناك العمل، والمعرفة يجب أن تكون موجها للسلوك. فالجانب الأساسى الذى تعبر عنه هذه الفقرة هو فلسفة سقراط العملية. ذلك أننا بحديثنا السابق عن مفهوم الفحص وعن المسائل المرتبطة به لم نتناول إلا جانباً واحداً من جوانب النشاط السقراطى. وقد بدأنا حديثنا ذاك بالإشارة إلى نص ٢٨هـ – ٢٩أ الذى يحدد مضمون البعثة السقراطية على أنه التفلسف والفحص. ولكن هناك نصاً آخر أكثر شمولا وهو الذى يقول "لن أتوقف عن التفلسف وعن حثكم" من أجل العناية "بالفكر وبالحقيقة وبالنفس وكيف تصير أفضل"(٢٩د – هـ). فالجانب المكمل إذن للتفلسف والفحص هو جانب الحث والدعوة. الدعوة إلى ماذا؟ فى كلمتين: إلى العناية بالنفس. وهذا هو أحد المفاهيم السقراطية الرئيسية، بل هو من غير شك المفهوم المركزى فى فلسفته العملية. ولن يكون ممكناً لقارئ "الدفاع" أن يحدد على الدقة ما يقصده سقراط "بالنفس"، اللهم إلا أنها ما يقابل الجسد وأنها تنتمى إلى نفس المجال الذى ينتمى إليه العقل والحقيقة، مما يسمح بالقول إنها الجانب العقلى من الإنسان.

وللعناية بالنفس مفهوم ملازم هو مفهوم الفضيلة التى هى هدف العناية بالنفس ونتيجته[٥]. ويبدو أن سقراط يقصد بها وصول النفس إلى المعرفة (إلى الحقيقة) وتنمية القدرات العقلية إلى حد الكمال (انظر ٢٩هـ بأكمله). وإذا كان هناك، من جهة، الحقيقة والعقل والنفس والعناية بها والفضيلة، فإن هناك، من الجهة الأخرى، الجسد والثروة والسعى وراء الشهرة ووراء مظاهر التشريف (٢٩د – هـ).

---

(٥) حول ما يمكن أن يسمى "بنجاة النفس"، انظر ٤١ د .

فهذان إذن نظامان للقيم (جوانى وبرانى لمن شاء استخدام هذين اللفظين)، وسقراط لا يضعهما على نفس المستوى بل هو يدعو صراحة إلى الاهتمام بالأول وإلى إهمال الثانى، أو على الأقل إلى وضعه فى مرتبة ثانوية، وليس فقط لأن النفس أهم من الجسد، بل وكذلك لأن النظام القيمى الأول "أنفع" من الثانى: "بالفضيلة تصير الثروة وكل شىء آخر خيرات للبشر، ســواء فى حياتهم الخاصة أو العامة" (٣٠ب). ويجب أن نؤكد على أهمية هذا النص الخطير، لأنه يبرهن على أن الأخلاق السقراطية هى، من بعض نواحيها، أخلاق "نفعية"، وهى تتبع فى هذا اتجاها عاما للأخلاق اليونانية، وللأخلاق الشعبية على الخصوص.

"الدفــــاع"

١٧ [١٧أ] كيف كان تأثير مُتهميّ عليكم، أيها الأثينيون[١]، هذا هو ما أجهله. أما فيما يخصنى أنا فإنهم جعلونى لا أكاد أتعرف على نفسى، بقدر ما كان كلامهم مقنعاً[٢]. ورغم هذا فإنهم، إن أمكن أن نقول هذا، لم يقولوا كلمة حق واحدة، ولكن هناك شيئاً أدهشنى إلى أبعد الحدود بين أكاذيبهم تلك الغفيرة، ذلك هو ما قالوه من أنه يجب عليكم أن تأخذوا حذركم خشية أن أخدعكم، [ب] وذلك بحجة أننى أجيد الكلام. أما أنهم لم يخجلوا من أننى سوف أفندهم بالوقائع[٣] على الفور، بحيث أننى لن أبدو على أى نحو ماهراً فى الكلام[٤]، فإن هذا بدا لى أقصى درجات عدم الاستحياء من جانبهم، اللهم إلا إذا كانوا يدعون قائل الحقيقة "ماهراً فى الكلام". فإذا كان هذا هو ما يقصدون، فإننى سأوافقهم من جانبى على أننى خطيب، ولكن ليس على طريقتهم! وأيا ما كان الأمر فإنهم، كما قلت لكم، لم يكادوا يقولون، بل لم يقولوا، شيئا حقيقيا، أما كل الحقيقة فإنكم ستستمعون إليها منى أنا. وبالطبع، أيها الأثينيون، فإنكم لن تستمعوا إلى خطبة منمقة، على شاكلة خطبهم، [جـ] ولا مزينة بالعبارات والألفاظ، بل إلى أقوال عادية مؤلفة من الألفاظ التى تأتى على الخاطر، فأنا أثق فى عدالة[٥] الأشياء التى أقولها، فلا ينتظرن أحد منكم، إذن، غير هذا. وما كان ليليق بى، من غير شك، أيها المواطنون، أن آتى إليكم، وسنى على ما هو عليه[٦]، ملفقا لكلمتين كما يفعل صغار شبابنا. وبالتالى، فإنى أرجوكم رجاء ملحاً أن تسمحوا لى بشىء: إذا استمعتم إلىّ مدافعاً عن نفسى بالكلمات ذاتها التى اعتدت نطقها فى السوق وبجانب موائد الصيارفة حيث كان يستمع إلىّ عدد كبير منكـم،

---

(١) يخاطب سقراط قضاته، وكانوا خمسمائة (أو خمسمائة وواحد)، وكان يشاهد المحاكمة كذلك جمهور لا شك غفير.

(٢) كان الإقناع هو شغل الخطباء الشاغل. سقراط، وأفلاطون من بعده، يعارض الإقناع بالحقيقة. انظر محاورة "فايدروس"، ٢٥٩هـ وما بعدها.

(٣) من أكثر المقابلات تواردا فى المؤلفات اليونانية، وخاصة فى ميدان الخطابة، التقابل بين الكلام والفعل، وبين الكلمات والوقائع. انظر هنا ٣٢أ.

(٤) وذلك بحسب معايير "المهارة" الخطابية السائدة وقتذاك.

(٥) أى أنها حق.

(٦) سقراط ولد حوالى ٤٧٠ ق.م.

أو فى غير هذه الأمكنة، فلا [د] تدهشوا و لا تتصايحوا من أجل هذا، فها هى حقيقة الأمر: هذه الآن هى المرة الأولى التى أقف فيها أمام إحدى المحاكم وقد بلغ عمرى السبعين، وعليه فإننى، ببساطة، غريب عن اللغة التى تستخدم هنا(٧). وكما أنكم، لو حدث وكنت غريبا(٨) بالفعل، كنتم ستغفرون لى بلا شك أن أتحدث **١٨** باللهجة وعلى الطريقة [١٨أ] التى كنت تربيت عليها، فإنه من العدل بالتالى، فيما أعتقد، أن أطلب الآن منكم أن تغفروا طريقة أسلوبى فى الكلام، وهى قد تكون أسوأ أو أحسن من غيرها، ولكن عليكم ألا تفحصوا وألا تنتبهوا إلا إلى شىء واحد: إن كنت أقول حقا أم لا. فهذه فى الحق هى فضيلة القاضى، أما فضيلة الخطيب فهى قول الحقيقة(٩).

وإنه لمن العدل(١٠)، أيها الأثينيون، أن أبدأ بالدفاع عن نفسى أمام الاتهامات القديمة التى وجهت إلىّ، وأمام متهمىّ الأوائل، ثم بعد ذلك أقوم بالدفاع أمام الاتهامات الحديثة وضد متهمى المحدثين. [ب] ذلك أن هناك متهمين لى كثيرين قاموا بينكم ومنذ سنين طويلة مضت، ولم يرددوا إلا كذبا. وأنا أرهب هؤلاء أكثر مما أرهب أصحاب أنيتوس(١١)، رغم خطر هؤلاء أيضا، ولكن أولئك السابقين، أيها المواطنون، أخطر من هؤلاء، لأنهم أمسكوا بالكثيرين منكم منذ عهد الطفولة وأقنعوهم، فى اتهامهم لى الذى لا يحوى هو الآخر(١٢) أى قدر من الحقيقة، بأن هناك سقراط معينا: هو رجل عالم، متأمل فى أشياء السماء، ومنقب عن كل ما تحت الأرض، وأنه جاعل من القضية الضعيفة قضية قوية(١٣)، [جـ] هؤلاء الذين نشروا عنى، أيها المواطنون الأثينيون، هذه السمعة(١٤)، هؤلاء هم متهمىّ الخطرون. ذلك أن من يسمعهم يعتقد أن الباحثين فى تلك الأمور لا يعتقدون كذلك

---

(٧) أى فى المحاكم.

(٨) أى مواطنا من مدينة يونانية أخرى.

(٩) الفضيلة هى كمال السلوك، ومن هنا: ما يجب أن يكون عليه السلوك.

(١٠) dikaios، وتعنى أيضاً "من الحق"، و "من المناسب". انظر فوق، هامش (٥).

(١١) حرفيا، "الذين حول أنيتوس"، وهذا يدل على أن أنيتوس هو المحرك الحقيقى للادعاء.

(١٢) إشارة إلى ١٧ ب (فى اخرها)، من حيث انعدام الحقيقة فى الاتهام القديم والحديث على السواء.

(١٣) هذه الاتهامات نجدها جميعا فى مسرحية "السحب" للشاعر أرستوفانيز (حوالى ٤٥٠ - حوالى ٣٨٥ ق.م)، وقد تحدثنا عنها فى مقدمتنا (صـ ٨٠ - ٨١).

(١٤) الكلمة المستخدمة تعنى هنا السمعة أو الشهرة السيئة.

فى الآلهة. بعد هذا فإن هؤلاء المتهمين ذوو عدد، وهم يذيعون اتهاماتهم منذ وقت طويل، وهم إلى جانب هذا كانوا يقولون لكم ما يقولون فى العمر الذى كنتم فيه أسرع إلى التصديق، أى حينما كنتم أطفالاً أو شباباً[١٥]، ببساطة لقد كان اتهامهم لى اتهاما غيابياً وبدون وجود من يدفعه. ولكن الأغرب من هذا كله هو أنه من غير الممكن معرفة [د] أسمائهم أو النص عليها، اللهم إلا اسم واحد هو، بالصدفة، اسم شاعر كوميدى[١٦]. فهؤلاء الذين حاولوا إقناعكم بدافع من الغيرة أو الافتراء، ثم هؤلاء الذين اقتنعوا هم أنفسهم وأخذوا فى إقناع غيرهم، هؤلاء جميعا صعبٌ أمرهم، حيث إنه من غير الممكن إصعاد أحد منهم هنا [على منصة المحكمة] [١٧] ولا تفنيده، فكأنه قد فرض علىّ ببساطة أن أحارب فى الظلام [١٨] مدافعاً عن نفسى، وأن أرد مفنداً ولا أحد يجيب علىّ. فسلموا معى إذن، كما كنت أقول، بأن أمامى نوعين من المتهمين: من جهة، هؤلاء الذين اتهمونى مؤخراً[١٩]، ومن جهة أخرى، أولئك [هـ] القدماء الذين تحدثت عنهم. واعتبروا أنه من المفروض أن أبدأ بالدفاع عن نفسى أمام هؤلاء أولا، لأنكم استمعتم إلى اتهاماتهم أولا، وخلال وقت أطول[٢٠] بالمقارنة إلى الآخرين الذين أتوا من بعد.

١٩ فلنبدأ، إذن، ولأدافعن عن نفسى، أيها الأثينيون، محاولا [١٩أ] أن انتزع من صدوركم الفرية التى حملتموها على مدى أعوام طويلة[٢١]. ولكم أود أن تكون هذه هى النتيجة [٢٢]، إن كان ذلك أنفع لكم ولى، وأن[٢٣] أكون بدفاعى قد

---

(١٥) القضاة الذين فى الأربعين من العمر الآن كانوا منذ عشرين عاما شبابا، والذين فى الثلاثين كانوا فى ذلك الوقت أطفالا. ولنلاحظ أن "الفرية" التى تعلقت، وتعلق بسقراط، مستمرة منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما.

(١٦) هو أرستوفانيز. و "بالصدفة" (أو: "وحدث أنه") تهكم مقصود به التقليل من شأن الاتهام ومن جديته، لأن أحد مصادره ليس جاداً.

(١٧) العبارات التى ستوضع بين قوسين مربعين هكذا إضافة ليست فى النص (حرفيا كما هو مفهوم).

(١٨) أى أن يحارب أشباحا لا يراهم.

(١٩) أى أنيتوس ومليتوس ولوكون.

(٢٠) الترجمة الحرفية هى: "أكثر كثيرا"، وفى العبارة الأصلية تأكيد على الكم والكيف معا، أى على الطول والشدة.

(٢١) وهكذا فإن مهمة سقراط الأولى هى تطهير مواطنيه من الأكاذيب التى علقت بصدورهم. هاهو سقراط المربى يسبق سقراط المدافع عن نفسه فى الظهور.

(٢٢) أى تطهيرهم من الاعتقاد فى صحة الافتراء الذى انتشر حول سقراط، وكأنه مرض.

فعلت لنفسي شيئاً مذكوراً. ولكنى أعتقد أن هذا أمر صعب[٢٤]، ولا يخفى علىّ كم هو كذلك! وعلى أية حال، فلتسر الأمور على النحو الذى يراه الإله[٢٥] حسناً، ولأطع القانون[٢٦] ولأقم بدفاعى.

فلنرجع إذن إلى الأصل لنرى ما هى التهمة التى بنيت عليها [ب] الفرية[٢٧] التى التصقت باسمى، والتى أغرت مليتوس[٢٨] بأن يرفع ضدى الادعاء الحالى. فلنر ماذا تقول على الدقة فرية المفترين. ولنفرض كما لو أن هؤلاء المتهمين كانوا قد حلفوا اليمين، فيجب أن نعلن اتهامهم: "سقراط مذنب، فهو يعنى عناية كبرى[٢٩] بالبحث فيما تحت الأرض وما فى السماء، وبقلب القضية الضعيفة قضية قوية، [جـ] وتعليم هذا كله للغير". هذا هو الاتهام[٣٠]، وهو ما رأيتموه بأنفسكم[٣١] فى كوميديا أرستوفانيز، أى "سقراط" معيناً[٣٢] يُحمل رائحا جائياً فى المسرحية، معلنا أنه يتنزه فى الهواء، ومطلقا غير ذلك الكثير من ألوان السخافات التى لا أفهم فيها شيئاً كثيراً كان أم قليلا: ولا أقول ذلك عن عدم احترام لهذه المعرفة[٣٣] المذكورة، إن كان هناك حقيقةً العالم المتمكن فى هذه الأمور[٣٤] (وذلك حتى لا أحتاج إلى

---

(٢٣) أى: ولكم أود كذلك أن ...

(٢٤) سقراط يعى صعوبة موقفه، وسيعود إلى هذا عدة مرات، مثلا ٢١هـ.

(٢٥) سيلاحظ القارئ كثرة ورود صيغة المفرد عند الحديث عن الآلهة.

(٢٦) أو "ولأضع نفسى تحت تصرف القانون".

(٢٧) انظر ١٨ ب – جـ، والسطور التى ستلى فى النص.

(٢٨) فالإدعاء الحالى ليس إذن إلا حلقة، الحلقة الأخيرة، من حلقات الافتراء كذبا على سقراط.

(٢٩) نفس الفعل الذى نترجمه هكذا يعنى أيضاً التدخل فيما لا يعنى المرء، ويجب أن يؤخذ هذا المعنى فى الاعتبار بحيث تفهم الجملة على النحو التالى: سقراط يضع عناية كبرى فى أمر كان يجب عليه، لاعتبارات دينية، ألا يخوض فيه، ألا وهو ...

(٣٠) القديم، وقد صاغه سقراط على هيئة اتهام قانونى ليرد عليه نقطة نقطة. عن الإدعاء الجديد، انظر ٢٤ ب وما بعدها.

(٣١) كان يمكن لأى أثينى أن يرى المسرحيات التى كانت تتسابق على الجوائز، ومنها مسرحية "السحب" لأرستوفانيز، وهى المقصودة هنا.

(٣٢) لأنه ليس سقراط الحقيقى (فى نظر سقراط).

(٣٣) epistēmē، والمقصود العلم الطبيعى.

(٣٤) سقراط يشكك إذن فى إمكان المعرفة الطبيعية.

إدعاء جديد بخصوص هذا من جانب مليتوس[٣٥])، ولكن الواقع، أيها الأثينيون، أننى غريب عن هذه المسائل كل الغربة[٣٦]. [د] وإننى استقدم على هذا الكثيرين منكم كشهود، وأطلب منكم أن يخبر بعضكم بعضاً وأن تعلنوا إن كان واحد منكم قد سمعنى أتحدث وأتناقش حول هذه المسائل، وكثيرون منكم قد استمعوا إلىّ أتحدث[٣٧]، فليقل، إذن، بعضكم لبعض إن كان هناك من سمعنى أتحدث كثيراً أو قليلاً حول هذه الأمور، وستعلمون من هذا أن كل ما يقوله الجمهور[٣٨] فى حقى إنما هو من نفس النوع[٣٩].

الواقع أن كل هذا لا تقوم له قائمة، وليس من الحقيقة فى شيء كذلك ما قد تسمعونه من أننى اشتغل بتعليم الناس [هـ] وأطلب منهم المال لقاء هذا، ذلك وإن كنت أجد أنه جميل[٤٠] أن يكون المرء قادراً على تعليم الناس، كما هو حال جورجياس الليونتينى [من ليونتيا] وبروديقوس الكيوسى [من كيوس] وهبياس الإيليسى [من إليس][٤١]. وها هو حال كل واحد من هؤلاء: هو يذهب إلى كل مدينة ويقنع الشباب، الذين فى مقدورهم، إن هم أرادوا، مصاحبة من يشاؤون من نفس مواطنيهم مجاناً[٤٢]، [٢٠أ] أن يتركوا صحبة هؤلاء وأن يصاحبوهم هم

(٣٥) متهماً لسقراط بعدم احترام العلم الطبيعى، والإشارة تبقى غير واضحة: فما الذى يربط مليتوس بالعلم الطبيعى؟

(٣٦) نتذكر هنا ما قاله شيشيرون الخطيب الرومانى الأشهر من أن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، أى نقل اهتمامها من أمور الطبيعة إلى أمور البشر.

(٣٧) إذا اعتبرنا، من جهة، عدد المواطنين (أى الأحرار) الضئيل فى المدن اليونانية وفى أثينا نفسها بالطبع (حوالى العشرين ألفا فى أثينا فى عام ٤٠٠ ق.م، بحسب بعض التقديرات)، وطول عمر سقراط من جهة أخرى وقضاءه كل وقته فى الطرقات والأسواق ولدى التجار والصناع وفى المادب، لتصورنا فى يسر كيف أنه كان يمكن للكثير الكثير من الأثينيين الأحرار أن يروا سقراط وأن يتحدثوا معه.

(٣٨) أو "العامة" أو "الكثرة" أو "الشعب" بالمعنى السيء. وهذا المفهوم سيتردد كثيراً هنا وفى محاورات أفلاطون الأخرى حين تثار مسألة مصدر القيم الأخلاقية: هل هو الجمهور أم العقل والعلم. انظر مثلاً "أقريطون" كلها، وخاصة ٤٦جـ - ٤٧د.

(٣٩) أى إفتراء.

(٤٠) حرفيا: "وإن كنت لا أجد غير جميل أن ...". وقصد السخرية واضح.

(٤١) الثلاثة من أعظم السفسطائيين. انظر الصفحات الأولى من محاورة "بروتاجوراس".

(٤٢) الإشارة هنا واضحة إلى سقراط نفسه الذى كان يحادث من يريد أن يحادثه بغير أجر.

أنفسهم مع إعطائهم الأجور والاعتراف لهم بالجميل. وهناك بهذه المناسبة رجل آخر على شاكلة هؤلاء، مواطن من باروس، رجل عالم، قيل لى إنه يقيم الآن بيننا. وقد حدث أن ذهبت بالصدفة إلى رجل أعطى السفسطائيين أجوراً أكثر مما أعطاهم كل المواطنين الآخرين مجتمعين، ذلك هوكالياس(٤٣) ابن هيبونيكوس، وقد سألته، لأن له ولدين: "كالياس، هكذا قلت له، لو كان ولداك مهرين أو عجلين صغيرين، فإننا لكنا أحضرنا لهما رجلاً متخصصاً وندفع له الأجر، [ب] وكان سيجعلهما جميلين حسنين فى نوع الفضيلة الذى يخصهما، ولكان إما المختص فى الخيل أو المختص في الزراعة. ولكن باعتبار أنهما من البشر، فأية فكرة لديك عن المعلم الذى ستحضره لهما؟ من هو الرجل العالم بنوع الفضيلة الخاص بهما، أى فضيلة الإنسان وفضيلة المواطن؟ إنى اعتقد أنك تدبرت الأمر لأن لك ولدين(٤٤). هل هذا الرجل موجود أم لا؟" هكذا سألته، فقال لي: "بلى"، فعدت لسؤاله: "فمن هو؟ ومن أية مدينة؟ وبكم يعلم؟" فأجاب: "إنه إيونس(٤٥) يا سقراط، من مدينة باروس، ويأخذ خمس مينات(٤٦)". ولقد غبطت إيونس هذا إن كان يحوز حقا هذا الفن(٤٧)، وإن كان يعلمه لقاء هذا الأجر المعتدل. وفيما يخصنى، [جـ] فإننى لو كنت أملك هذه المعرفة لكنت تبخترت ورفعت أنفى فى السماء. ولكن الواقع، أيها الأثينيون، أنى لا أملكها.

وربما يقاطعنى أحدكم قائلا: ولكن ياسقراط، ما هى حكايتك إذن؟ من أين نشأت هذه الافتراءات ضدك؟ فنحن إذا سلمنا بأنك لا تفعل شيئاً يخرج عما يفعله الآخرون، فكيف يقال كل هذا بصددك وكيف تنشأ كل هذه الأقاصيص إلا إذا كنت تفعل شيئاً مختلفاً عن الغالبية من المواطنين؟ فقل لنا إذن [د] ما هو الأمر حتى

---

(٤٣) أرستقراطى من أغنى الأثينيين، وكان بيته منزل السفسطائيين (انظر محاورة "بروتاجوراس").

(٤٤) الفرض الأساسى هنا هو أن السلوك لابد وأن يسبقه العلم.

(٤٥) سفسطائى وشاعر، يأتى ذكره أيضا فى "فيدون"، ٥٩ د وما بعدها.

(٤٦) المينا (mna) كان يساوى مائة درخمة، ومن الصعب تقدير المعادل الحالى لهذا المبلغ، ويقدره البعض بعشرة جنيهات ذهبا.

(٤٧) أى كان متخصصا فى التربية.

لا نتسرع ونحكم عليك على غير أساس وروية"[٤٨]. ويبدو لى أن صاحب مثل هذه الكلمات يقول صوابا، ولهذا فسأحاول أن أوضح لكم طبيعة الأساس الذى اعتمادا عليه اخترعت تلك السمعة وتلك الإفتراءات. فاسمعوا إذن. وربما يظن بعضكم أننى أمزح، ولكن ثقوا أنى سأقول الحقيقة كاملة. إن سمعتى هذه ليس لها من مصدر إلا وجود حكمة معينة عندى. ما طبيعة هذه الحكمة؟ ربما لا تكون أكثر من حكمة إنسانية، ويمكن أن أكون بالفعل حكيما بتلك الحكمة[٤٩]، أما الآخرون الذين تحدثت عنهم[٥٠]، [هـ] فربما كانوا حكماء بحكمة تعلو على حكمة الإنسان، وإلا فلست أدرى ما أقوله عنها[٥١]، فأنا فيما يخصنى لا أعرفها، وكل من يقول إنى أعرفها فإنه يكذب ويقول هذا إفتراء علىّ. ولا تصيحوا فى وجهى، أيها الأثينيون، حتى ولو بدا لكم أننى أتحدث بتفخيم عن نفسى، لأن الكلام الذى سأقوله ليس بكلامى، بل سأعتمد فيما أقول على من هو جدير بثقتكم. ففيما يخص حكمتى، إن كنت أحوزها، وأى نوع من الحكمة هى، فإنى سآخذ إلى جانبى شهادة الإله الذى فى دلفى[٥٢]. أنتم تعرفون، لا شك، خيْرِفون[٥٣] الذى [٢١أ] كان رفيقا **٢١**

(٤٨) كل الجملة الأخيرة ترجمة لكلمة واحدة بقصد إبراز متضمناتها.

(٤٩) ترجمة حرفية، أى: أن تكون لدىّ تلك الحكمة. يوجد فى الجملة اليونانية "مفعول وصفى" لتأكيد صفة الحكيم.

(٥٠) انظر ١٩ هـ.

(٥١) أى أنه لا يستطيع أن يصفها إلا بهذا الوصف.

(٥٢) وهو أبوللون. ونقرأ فى "أساطير اليونان" من تأليف الدكتور محمد صقر خفاجه والدكتور عبد اللطيف أحمد على، ص ٨٦ – ٨٨: "لم يكن هناك معبد يفوق معبد [دلفى] فى ذيوع الصيت، ونبوءة تبز نبوءتها فى الشهرة. فكان الناس يأتونه من كل فج عميق ... وكانت الإجابات على أسئلة السائلين ... تدلى بها كاهنة تدعى بيثيا ... وكانت هذه الكاهنة تستوى على مقعد مثلث القوائم، وتتقمصها روح الإله، فتروح فى غيبوبة طويلة، وتعتريها حالة من الهذيان قبل أن تنطق بوحيه. وكثيرا ما قرن أبوللون بالشمس حتى وصف بأنه إله الشمس، كما يتضح من لقبه "فويبوس" الذى يعنى المضىء أو الطاهر أو المطهر ... لقد كان أبوللون الدلفى قوة خيرة، ورباطا مباشرا يصل بين الآلهة والناس، وهاديا للبشر ليعرفوا إرادة السماء، وكيفية استرضاء الآلهة، وكان فوق ذلك إله التطهير".

(٥٣) من اتباع سقراط المتحمسين، ويظهر بهذه الصفة فى مسرحية "السحب" نفسها.

من رفقاء صباى وكان كذلك، فيما يخصكم، صديقا للشعب[٥٤]، وشارككم نفس المنفى ورجع معكم، وتعرفون كيف كان خيرفون، وكم كان ذا حمية فى كل عمل يندفع فيه. وقد حدث أن ذهب إلى دلفى وجسر أن يطلب من الوحى (وألح عليكم، أيها المواطنون، ألا تصيحوا) إن كان هناك من هو أحكم منى. وها هى الكاهنة تعلن أنه ليس هناك من هو أحكم منى. وسيشهد أخوه الحاضر هنا أمامكم فيما يخص هذا بأن الأمر كان كذلك، حيث أن خيرفون قد توفى.

[ب] وانظروا الآن إلى السبب الذى من أجله أقول هذا. ذلك أنه يجب أن أشرح لكم من أين أتت الفرية التى أنا موضوعها. فحينما سمعت هذا[٥٥] تفكرت بينى وبين نفسى: "ماذا يريد الإله أن يقول؟ وماذا يريد أن يعنى؟ فأنا نفسى أعى أننى لست حكيما على أى نحو صغيراً كان أم كبيرا. فماذا يريد إذن أن يقول حينما يعلن أننى أحكم البشر؟ لأنه لا يمكن للإله أن يكذب، فذلك غير ممكن له[٥٦]". وظللت حائراً مدة طويلة أمام ما قصد الإله أن يقول. وأخيراً، وبعد لأى شديد، اتجهت فى بحثى الوجهة التالية: ذهبت إلى أحد هؤلاء الذين يظنون حكماء، من أجل أن [جـ] أفند هكذا، وبأحسن طريقة، إجابة النبوءة[٥٧]، قائلا لها: "هذا الرجل أحكم منى، أما أنت فقلت إنى الأحكم"، وفحصته إذن فحصا شاملاً، ولا أحتاج إلى البوح بإسمه، ولكنه كان أحد رجال السياسة، وقد جعلنى فحصه، أيها الأثينيون، أحس بالتالى: فأثناء الحوار معه بدا لى أنه يبدو فى نظر الكثيرين من الآخرين، وفى نظره هو نفسه على الخصوص، حكيما، أما فى الحقيقة فإنه ليس بالحكيم. فحاولت إذن أن أبين له أنه يعتقد أنه حكيم ولكنه فى الواقع ليس كذلك. [د] فكانت النتيجة أن حقد على هو وكثير من الحاضرين. وفى نفسى، أثناء ابتعادى، قلبت الأمر، ورأيت أننى أحكم من هذا الرجل: فمن الممكن ألا يعرف أحد منا نحن الإثنين شيئاً ذا قيمة، ولكنه يعتقد، هو، أنه يعرف شيئاً بينما هو لا يعرفه، أما أنا،

(٥٤) أى من أنصار الحزب الديمقراطى. والإشارة إلى المنفى أثناء حكم الطغاة الثلاثين.

(٥٥) أى قول الكاهنة.

(٥٦) ou themis، حرفيا: "غير مسموح له به ..."، ويكون ذلك فى حالة البشر بناء على أمر من الآلهة أو القوانين.

(٥٧) manteion. ويقال "النبوءة" فى العربية بمعنى السفارة من الإله وبمعنى الإخبار عن الشىء قبل وقته حزرا وتخمينا. والمعنى الأول هو المقصود هنا.

فكما أننى لا أعرف شيئاً، فإننى لا أعتقد كذلك أننى أعرف شيئاً، فيبدو لى إذن أننى أحكم قليلا من هذا الرجل، حيث إننى لا أعرف شيئاً ولا أعتقد أنى أعرف(٥٨). على إثر هذا ذهبت إلى آخر ممن يعتبرون أحكم من السابق، [هـ] وظهر لى نفس الشيء، وكانت النتيجة أن حقد علىّ هو الآخر وكثيرون غيره. ولكننى استمررت بعد هذا فى الذهاب إليهم واحداً بعد الآخر، واعياً، فى حزن وخوف، أننى أجعل الناس تحقد على، ولكنه كان يبدو لى رغم هذا أننى يجب أن **٢٢** أجعل كلمة الإله هى العليا(٥٩)، فيجب الاستمرار، إذن، بحثا عما تقصده النبوءة، ومع كل من [٢٢أ] يدعى المعرفة. وقسما بالكلب، أيها الأثينيون، وواجب علىّ قول الحقيقة لكم، أن هذا هو ما حدث لى: هؤلاء الذين كانوا مشهورين أكبر شهرة بالحكمة بدوا لى، إلا فى النادر، بعد فحصى لهم بحسب ما قاله الإله، أفقرهم إليها، على حين أن آخرين كانوا يُظنون أقل منهم كانوا فى الحقيقة رجالاً أجدر من وجهة نظر الحكمة(٦٠).

وواجب علىّ، أليس كذلك، أن اشرح لكم جولاتى وكم كان القيام بها مضنياً من أجل أن يصير تكذيب النبوءة غير ممكن لى. فبعد السياسيين ذهبت إلى الشعراء، إلى شعراء التراجيديا [ب] وإلى الشعراء الغنائيين(٦١) وغيرهم، مقدراً هذه المرة أننى سأدرك بالوقائع(٦٢) أننى نفسى أكثر جهلاً من هؤلاء. وقد اصطحبت معى من مؤلفاتهم ما بدا لى أنهم بذلوا فيه غاية الجهد، وسألتهم بالتفصيل عما يقصدون راغبا فى الوقت ذاته أن أتعلم منهم. ولكنى أخجل، أيها المواطنون، من أن أقول الحقيقة لكم. ولكن الحقيقة يجب أن تقال. ويمكن أن نقول إن كل الحاضرين كادوا(٦٣) أن يكونوا قادرين على الكلام حول ما كتبوه هم أفضل

(٥٨) فى الفقرة السابقة يعارض سقراط المعرفة الحقيقية بادعاء المعرفة، وسقراط لديه معرفة واحدة حقيقية: هى أنه لا يعرف شيئاً.

(٥٩) هذا هو أساس البعثة السقراطية.

(٦٠) أو: من وجهة نظر امتلاك الحكمة، أو: العقل، أو الحكم بحكمة وتعقل (phronimôs).

(٦١) dithuramboi.

(٦٢) أو: "أننى سألمس بيدى".

(٦٣) هكذا نترجم هنا التعبير اليونانى الصعب ترجمته إلى العربية: epos eipein (والذى له فى الفرنسية مثلا ترجمة حرفية: pour ainsi dire).

منهم هم أنفسهم. وظهر لى من جديد، بخصوص الشعراء كذلك، وفى أقصر وقت، أنهم لا يكتبون [جـ] ما يكتبون على أساس من علم، بل بنوع معين من [الموهبة] الطبيعية وفي حالة من الإلهام على طريقة المتنبئين الموحى إليهم والمنجمين. فهؤلاء أيضاً يقولون أشياء كثيرة جميلة ولكنهم لا يدرون شيئاً عما هم قائلون. فى مثل هذه الحالة بدا لى وضع الشعراء. وفى نفس الوقت انتهيت إلى أن الشعر يجعلهم يعتقدون أنهم أحكم البشر حتى فيما يخص الموضوعات الأخرى، وهو ما لم يكونوه على الإطلاق[٦٤]. فذهبت عنهم إذن معتقداً على أثر هذا فى تفوقى عليهم، تماماً كتفوقى على السياسيين.

وأخيراً، ذهبت إلى المتخصصين فى الأعمال اليدوية. [د] وإذا كنت أنا على وعى بأننى لا أعلم شيئاً، أو ما يقرب من هذا[٦٥]، فقد كنت واثقاً من أن هؤلاء عالمون بأشياء كثيرة وجميلة، وبخصوص هذا لم أُكذَّب، فقد كانوا يعرفون أشياء لا أعرفها، وكانوا من هذه الناحية أعلم منى. ومع هذا، أيها الأثينيون، فقد بدا لى أن لدى هؤلاء الصناع الطيبين[٦٦] نفس النقيصة التى لدى الشعراء: فكل واحد منهم، لأنه يؤدى مهنته تادية ممتازة، يعتقد أنه أحكم البشر حتى فى أهم الأمور الأخرى، وهذا الخطأ من جانبهم [هـ] غطى على معرفتهم تلك، حتى لقد ساءلت نفسى، بخصوص موضوع النبوءة، عما إذا لم يكن من الأفضل لى أن أظل كما كنت، بدون أن أكون لا عالما على نحو علمهم ولا جاهلا على نحو جهلهم، وأن هذا أفضل لى من أن يكون لى هذا وذاك معا. وكانت إجابتى على نفسى وعلى النبوءة أنه أنفع لى أن أظل كما أنا.

٢٣ هذه الاستقصاءات تولدت عنها، أيها الأثينيون، [٢٣أ] أحقاد كثيرة علىّ، ولكم هى مؤلمة وخطيرة، ومنها نشأ الكثير من الافتراءات وتلك السمعة التى تقول إنى حكيم[٦٧]. ذلك أن الحاضرين كانوا يعتقدون فى كل مرة أننى عالم أنا نفسى فى

---

(٦٤) انظر حول كل هذا محاورة "إيون" لأفلاطون، وقد ترجمها إلى العربية الدكتور محمد صقر خفاجة والدكتورة سهير القلماوى.

(٦٥) هكذا نترجم فى هذا الموضع نفس التعبير المشار إليه فى هامش ٦٣ فوق.

(٦٦) أو "الفضلاء"، للسخرية فيما يبدو. قارن "أوطيفرون" ٦ جـ ١.

(٦٧) انظر ٢١ ب.

الموضوعات التى اكشف عن جهل محدثى بها[٦٨]. ولكنه من المحتمل، أيها المواطنون، أن يكون الحكيم الحقيقى هو الإله، وأنه أراد فى النبوءة التى أوحى بها أن يقول إن الحكمة الإنسانية قليلة القيمة أو بغير ذات قيمة على الإطلاق، وإذا كان الإله قد ذكر سقراط الذى أمامكم، فما ذلك إلا ليستخدم [ب] اسمى آخذاً منى مثلا، وكأنه كان يريد أن يقول: "الأحكم من بينكم، أيها البشر، هو من أدرك، مثل سقراط، أنه بغير قيمة فى الحقيقة بالنظر إلى الحكمة". ولهذا السبب فلا أزال أروح هنا وهناك باحثاً وفاحصاً، بحسب كلمة الإله، المواطنين أهل هذه المدينة والغرباء، حينما أعتقد أن أحدهم حكيم. وحينما يبدو لى أنه ليس كذلك فإنى أظهر له، مدافعاً عن كلمة الإله، أنه ليس حكيماً. وبسبب شغلى[٦٩] هذا، فإنه ليس لدى فراغ من أجل الاهتمام بشئون المدينة على نحو جدير بالذكر، ولا بشئونى الخاصة، بل إنى أعيش فى [جـ] فقر شديد بسبب خدمتى للإله.

إلى جانب هذا، فإن الشباب الذين يلتفون حولى من أنفسهم، لأن لديهم وقت فراغ كبير (فهم من أغنى العائلات)، هؤلاء الشباب يستمتعون بالاستماع إلىّ فاحصا الناس، بل إن منهم كثيرين يقلدوننى، ويحاولون بعد ذلك بدورهم فحص الآخرين، وأعتقد أنهم يجدون على إثر هذا عدداً كبيراً من الأشخاص ممن يعتقدون أنهم يعلمون، على حين أنهم لا يعلمون إلا القليل أو لا شيء على الإطلاق. والنتيجة هى أن أولئك الذين امتحنوا يثورون علىّ أنا، ولا يثورون عليهم، [د] ويقولون إن سقراط يشكل دنسا عظيما[٧٠]، وإنه يفسد الشباب. وإذا سألهم سائل عما يفعل سقراط وعما يعلّم حتى يفسد الشباب، لم يجدوا شيئاً ليقولوه، بل هم يجهلون الإجابة. ولكن، حتى لا يظهروا ارتباكهم، فإنهم يقولون هذه الأشياء التى على كل لسان ضد المتفلسفة، مثل "[البحث فى] الأمور السماوية وما تحت الأرض"، ومثل "عدم الاعتقاد فى الآلهة"، ومثل "صنع قضية قوية من قضية ضعيفة". أما الحقيقة، فإنهم، فيما أعتقد، لن يقبلوا أن يقولوها: ألا وهى أنه أصبح واضحا أنهم يتظاهرون بالمعرفة، على حين أنهم لا يعرفون شيئا. ولكنهم لما

(٦٨) فى محاورة "مينون" مثلا لا يصدق مينون أن سقراط يجهل طبيعة الفضيلة (٧١ جـ).

(٦٩) الشغل (بالضم وبضمتين وبالفتح وبفتحتين) ضد الفراغ، وهذا مقابل دقيق لليونانى.

(٧٠) أو حرفيا: "شخص دنس أعظم الدنس"، أو كذلك: "إن هناك سقراط معينا وهو دنس أعظم الدنس"، أى غير طاهر دينيا لأنه على ضلال.

كانوا، فيما أعتقد، يرغبون فى أن يكونوا موضع الاحترام، [هـ] فإنهم، باعتبار شدة عزمهم وعددهم الكثير، وبالنظر إلى أنهم متكاتفون ويتكلمون بإقناع فيما يخص أمرى، فإنهم توصلوا إلى ملء آذانكم، ولا يزالون، بافتراءاتهم المصرة. هذه الإفتراءات هى التى حرضت ضدى مليتوس وأنيتوس ولوكون، مليتوس **٢٤** مملوءاً ضغينة باسم الشعراء، وأنيتوس ممثلا للصناع [٢٤أ] والسياسيين، ولوكون ممثلا للخطباء(٧١). وهكذا، وكما بدأت بالقول، فإنه سيدهشنى أن أستطيع استخراج تلك الافتراءات منكم فى وقت قصير، على حين أنها قد حفرت لنفسها أبعاداً عميقة. هذه هى الحقيقة أمامكم، أيها الأثينيون، ولست فى قولى هذا بحاجب عنكم ولا بمخف شيئاً(٧٢) صغيرا كان أم كبيرا. ورغم هذا فإننى أكاد أعلم علم اليقين أننى أجلب على نفسى الأحقاد لنفس الأسباب السابقة، وما هذا إلا دليل على أننى أقول الحقيقة، وأن هذه هى الفرية التى تلاحقنى وأن هذا هو أصلها. [ب] وسواء استقصيتم الآن أو فيما بعد، فإنكم ستجدون أن الأمر هكذا.

حول اتهامات متهميّ الأوائل، فليكن هذا كافيا دفاعاً أمامكم. وسأحاول بعد هذا الدفاع عن نفسى ضد مليتوس، هذا الرجل الفاضل والمحب لمدينته فيما يقول، وضد متهمى المحدثين. من جديد إذن(٧٣)، باعتبار أنهم متهمون مختلفون، فلنأخذ منهم القسم القانونى، وسيكون [اتهامهم] على هذا النحو على التقريب: "سقراط، هكذا يقولون، مذنب لأنه يفسد الشباب ولا يعتقد فى الآلهة التى تعتقد فيها المدينة، [جـ] بل فى كائنات إلهية(٧٤) جديدة مختلفة عنها". هذا هو الاتهام. فلننظر فى نقاط هذا الاتهام واحدة واحدة. يقول مليتوس، إذن، إننى مذنب بإفساد الشباب. وأنا أقول من جانبى، أيها الأثينيون، إن مليتوس هو المذنب لأنه يهزل فى شأن أمور جادة، ولأنه يأتى بالناس فى استهتار أمام المحاكم، ولأنه يتظاهر بأنه يهتم جدياً ويعنى بأمور هو لا يفقه فيها شيئاً على الإطلاق. أما أن الأمر هكذا، فهذا هو ما سأحاول أن أبرهن عليه أمامكم. [تعال] إلى جانبى هنا يا مليتوس، وأجبنى: ألا تجد [د]

---

(٧١) هذا التعداد يشمل معظم فئات من كان سقراط يقابلهم ويحاورهم ويمتحنهم ويفندهم.

(٧٢) حجب لم يذكر، وأخفى هنا بمعنى ذكر تحت صورة مختلفة للتمويه.

(٧٣) انظر ١٩ ب.

(٧٤) daimonia . ويقصد الاتهام ذلك "الجنى" (daimôn) الذى يظهر لسقراط على هيئة صوت داخلى. انظر حوله "أوطيفرون"، ٣ ب، وكذلك هنا ٤٠أ.

أن العمل على جعل الشباب فاضلا إلى أكبر حد ممكن شيء هام؟

– أنا على هذا الرأى.

– فلنخط خطوة أكبر، وقل لهؤلاء [القضاة]: من يجعل الشباب أفضل؟ فمن الواضح أنك تعرف هذا ما دمت تهتم بالأمر، وما دمت قد عثرت على المفسد، فيما تزعم، وهو أنا، وما دمت تقودنى أمام هذه المحكمة وتتهمنى. فتشجع وقل لهم من يجعل الشباب أفضل، وحدد من هو. أنت ترى يا مليتوس كيف أنك تلزم الصمت ولا تدرى بيانا. ألا يبدو لك هذا مخجلا ودليلا كافيا على ما كنت أقول، من أنك لا تفقه فى الأمر شيئاً؟ ولكن تكلم، أيها الرجل الفاضل: من يجعل الشباب أفضل؟

– القوانين .

[هـ] – ليس عن هذا كان سؤالى يا أفضل البشر، بل عن الشخص المعين الذى يجعل الشباب أفضل (وهو الذى سيبدأ أولا بمعرفة هذا الشيء الذى تتحدث عنه، أى القوانين).

– هم هؤلاء القضاة يا سقراط.

– ماذا تقول يا مليتوس؟ هؤلاء القوم يعرفون كيف يربون الشباب وكيف يجعلونه أفضل؟

– تماماً.

– هل هم كذلك جميعاً، أم منهم من هو كذلك ومنهم من ليس كذلك؟

– هم جميعاً كذلك.

٢٥ – إنك تتكلم أحسن الكلام وحياة هيرا(٧٥)، ولكم سيكونون كثيرين كثيرين القوم ذوو النفع! كيف هذا؟ وهؤلاء الذين يسمعوننا هم كذلك يجعلون الشباب يصير أفضل [٢٥أ] أم لا؟

– وهم أيضا.

(٧٥) من أهم الالهات اليونانيات، كبرى بنات كرونوس وصاحبه زيوس الشرعية، إلهة السماء.

– وماذا سيكون أمر أعضاء المجلس التنفيذى(٧٦)؟

– وأعضاء المجلس التنفيذى أيضاً.

– ولكن ألن يكون المواطنون مجتمعين فى جمعية عامة، أى أعضاء جمعية الشعب(٧٧)، هم الذين يفسدون الشباب؟ أم أنهم هم أيضاً جميعاً يجعلون الشباب أفضل؟

– هم أيضاً.

– إذن فكل الأثينيين، فيما يظهر، يجعلون الشباب جميلا حسنا ما عداى أنا، فأنا وحدى الذى يفسدهم: هل هذا هو ما تريد قوله؟

– بكل تأكيد، هذا هو ما أقصد.

– إذن فما أعظم سوء الحظ الذى تلقيه علىّ. ولكن أجبنى. هل تعتقد أن نفس الوضع ينطبق على حالة الخيل؟ [ب] هل كل الناس قادرون على تهذيبها أجمعين، ماعدا واحداً فقط هو الذى يفسدها؟ أم، على العكس تماما من هذا، أن واحداً أو عدداً قليلا جداً هو الذى يهذبها، ألا وهم مدربو الخيل، على حين أن الكثرة، حينما تهتم بالخيل أو تستخدمها، هى التى تفسدها؟ أليس الأمر كذلك يا مليتوس فيما يخص الخيل وكل الحيوانات الأخرى؟ بالطبع هو كذلك، سواء لم تقولاه أنت وأنيتوس أو قلتماه. وما أعظم سعادة الشباب إن كان واحد فقط هو الذى يفسدهم على حين أن الآخرين [جـ] يفيدونهم. ولكنك تبرهن، يا مليتوس، بما فيه الكفاية، على أنك ما شغلت بالك على أى نحو بأمر الشباب، وإن عدم إكتراثك لينكشف بوضوح، حيث أنك ما اهتممت بتلك الأمور التى تقودنى من أجلها [أمام هذه المحكمة].

ولكن قل لنا كذلك، وحق زيوس يا مليتوس، ما هو الأفضل: العيش فى مدينة أهلها طيبون أم فى مدينة أهلها أشرار؟ أجبنى أيها الرجل الطيب، فما أطلب منك صعبا. أليس صحيحا أن الأشرار يفعلون الشر لهؤلاء الذين يكونون فى صحبتهم باستمرار، وأن الأخيار يفعلون الخير؟

(٧٦) هم أعضاء مجلس "البوليه" (Boulê)، وعددهم خمسمائة، وكانت بيدهم السلطة التنفيذية.
(٧٧) ekklêsia وتضم كل المواطنين الأحرار البالغين، وهى السلطة العليا فى المدينة.

- بالطبع.

[د] - بعد هذا، هل يوجد من يريد أن يُضر ممن يصاحبهم أكثر من أن يستفيد منهم؟ أجب ، أيها الفاضل، لأن القانون يقضى بأن تجيب: هل هناك من يريد أن يُضر؟

- يقينا لا.

- فلنستمر. حين تقودنى إلى هنا بتهمة إفساد الشباب وجعله أسوأ(٧٨)، هل ذلك على اعتبار أننى أفعل هذا بإرادتى أم على غير إرادتى؟

- بل بإرادتك(٧٩) فيما أرى.

- كيف إذن يا مليتوس؟ هل تكون، مع عمرك هذا، أحكم منى إلى هذا الحد، وأنا على هذه السن، بحيث أنك أدركت أن الأشرار يفعلون الشر دائماً للمقتربين منهم، [هـ] والأخيار الخير، أما أنا فجاهل إلى حد الوصول إلى أن أجهل حتى هذا: أنه إذا حدث وجعلت أحدا ممن يصاحبوننى شريراً فإنه يمكن أن يصيبنى على يديه سوء، وبحيث أننى أفعل مثل هذا الشر بإرادتى، بحسب ما تقول أنت؟ كلا، لن تجعلنى أقتنع بهذا يا مليتوس، لا أنت ولا أى شخص آخر فيما أعتقد(٨٠).
٢٦ الواقع أننى لا أفسد أحداً، أو إن كنت أفسدت أحداً، [٢٦أ] فإن ذلك بغير إرادتى، بحيث أنك فى كلتا الحالتين كاذب. ومن جهة أخرى، فحتى إذا كنت أفسد الشباب بغير إرادتى، فإنه ليس إلى هنا يقاد مرتكبو هذه الأخطاء غير المقصودة، بل يجب أن يؤخذوا على انفراد ليعلموا أو ليؤنبوا. لأنه من الواضح أننى لو كنت سأعلم، فإننى سأقلع عما أفعل بغير إرادتى(٨١). أما أنت فقد تهربت من لقائى ومن

---

(٧٨) أو "أوحش"، وهو لفظ يستخدمه ابن سينا فى "رسالة أضحوية فى أمر المعاد"، ص ٣٦ (طبعة سليمان دنيا).

(٧٩) وبالتالى قصدا.

(٨٠) لأن فى ذلك تناقضا واضحا: أن يريد المرء لنفسه الشر بإرادته (فى هذه الحالة بأن يفسد سقراط الشباب فيسيئون إليه هم لأنهم يصاحبونه، بينما هم يصيرون أشراراً على يديه). ومذهب سقراط ألا شرير بإرادته، فكل يريد الخير لنفسه.

(٨١) الطريق مباشر فى رأى سقراط من العلم إلى العمل، فمن يعلم الخير يفعله حتما، ومن يدرك الشر ينتهى عنه فورا.

تعليمى، وما رغبت فى هذا قط، بل قدتنى إلى هنا حيث القانون أن يقاد المستحقون للعقاب وليس المستحقون للتعليم.

وهكذا يتضح لكم، أيها الأثينيون، [ب] ما كنت أقوله من أن مليتوس لا يفقه شيئاً صغيراً كان أم كبيراً فى هذه الأمور. ومع هذا قل لنا يا مليتوس: كيف أفسد الشباب فيما تزعم؟ أليس واضحاً بحسب نص الإدعاء الذى حررته أن ذلك يكون بتعليمى لهم "عدم الاعتقاد فى الآلهة التى تعتقد فيها المدينة، والاعتقاد فى كائنات أخرى جديدة"، أليس هذا هو ما تقول إننى أفسدهم بتعليمه؟

– تماما، هذا هو ما أقول بكل قوة.

– باسمهم إذن يا مليتوس، باسم هذه الآلهة موضوع الحديث الآن، وضح الأمر لى [جـ] ولهؤلاء القوم أكثر. فأنا غير قادر على معرفة ما إذا كنت تقول إننى أعلّم الاعتقاد فى وجود آلهة معينة (وفى هذه الحالة، فإنى أعتقد فى وجود آلهة ولست ملحدا البتة ولا أكون مذنباً بذلك)، ولكن هذه الآلهة ليست آلهة المدينة بل آلهة أخرى، ويكون هذا هو ما تتهمنى به، أى تعليم الاعتقاد فى آلهة أخرى، أم كنت تقول إننى لا أعتقد فى الآلهة وأعلم هذا للآخرين؟

– هذا هو ما أقول، أنك لا تعتقد البتة فى الآلهة.

[د] – وعلى أى أساس تقول هذا أيا مليتوس المدهش؟ فكأننى لا أعتقد، مثل الآخرين، أن الشمس والقمر إلهان؟

– قسما بزيوس، أيها المواطنون القضاة، إنه يقول بأن الشمس حجر وبأن القمر أرض.

– إنما هو أنكساجوراس[٨٢]، يا عزيزى مليتوس، الذى يخيل إليك أنك تتهم. أوَ تحتقر هكذا هؤلاء القضاة، وتعتقد أنه لا خبرة لهم بالمؤلفات المكتوبة حتى أنهم لا يعرفون أن كتب انكساجوراس الكلازومينى [من كلازوميناوى] هى التى تمتلأ بهذه

(٨٢) فيلسوف شهير ولد حوالى ٥٠٠ ق.م، وأصبح صديقا لبريكليز، ولكن السلطات الأثينية أرادات محاكمته بتهمة عدم احترام الآلهة، ففر من أثينا لتجنب ذلك. ولاحظ استدراج سقراط لمليتوس ليوقعه فى هذا الخلط.

الآراء؟ وهل سيأتى الشباب ليتعلمها منى بينما يمكن له أن يشتريها [هـ] فى الأوركسترا[٨٣] أحياناً مقابل دراخمة واحدة على أبعد الفروض، وليسخر من سقراط إن إدعى إنها آراؤه هو، على الأخص نظراً لغرابتها؟ فقل لى، بحق زيوس، هل هذا هو ما تعتقده: أننى لا أومن بوجود أى إله؟

- نعم قسماً بزيوس، أنت لا تؤمن بوجود أى إله على الإطلاق.

- هذا لا يمكن أن يصدق، بل لا يمكنك أنت نفسك، فى رأيى، أن تصدق هذا[٨٤]. إنى أعتقد، أيها الأثينيون، أن مليتوس شخص يميل إلى الغلواء، ولا يعرف الاعتدال ولا يستحى، وأن اتهامه الذى حرره ضدى مصدره ببساطة هو الغلواء وعدم الخشية وأنه لا يزال شاباً. [٢٧أ] ذلك أنه يخيل إلىّ كما لو كان قد ألف لغزا ليختبرنى: "فلنر إن كان سقراط، ذلك الحكيم، سيدرك أننى أمزح وأننى أناقض نفسى، أم أننى سأوقع به وبكل المستمعين الآخرين". فإنه يبدو لى أنه يتناقض مع نفسه فى صيغة الاتهام كما لو كان يقول: "سقراط مذنب بأنه لا يعتقد فى الآلهة، ولكنه يعتقد فى آلهة". وما هذا إلا لعب.

٢٧

انظروا معى، أيها المواطنون، كيف يبدو لى أنه يتكلم على هذا النحو. أنت، يا مليتوس، أجبنا، أما أنتم [ب] فقد رجوتكم فى البداية، كما تتذكرون، ألا تصيحوا إن وضعت ما أقول فى الشكل الذى اعتدته[٨٥].

هل هناك، يا مليتوس، بين البشر من يعتقد فى وجود الأمور الإنسانية بدون الاعتقاد فى وجود البشر؟ فليجب، أيها المواطنون، ولا يصيحن أحد من جديد. هل هناك من لا يعتقد فى وجود الخيل بينما يعتقد فى أمور الخيل؟ من لا يعتقد فى وجود العازفين على الناى، ويعتقد فى الأمور الخاصة بالناى؟ هذا لا يمكن، يا أفضل الرجال. وما دمت لا تريد أنت أن تجيب، فأنا الذى سأقوله لك، لك ولهؤلاء

(٨٣) هو الموقع فى المسرح اليونانى الواقع بين مقاعد المتفرجين والموضع الذى يتحرك عليه الممثلون، أو ربما كان قسماً من الساحة الرئيسية بجوار المسرح.

(٨٤) فى محاورات أفلاطون كثيراً ما يأخذ سقراط محاوره شاهدا ضد نفسه، قارن مثلا "فيدون"، ٩٢بـ ولعل أعظم مثال على ذلك هو القسم الثالث من محاورة "جورجياس" الهامة (٤٨١ ب وما بعدها).

(٨٥) هذا دليل على صياح الحاضرين فى هذه اللحظة.

الآخرين، ولكن أجب عن هذا على الأقل: [جـ] هل هناك من يعتقد فى وجود الأمور الدايمونية ولا يعتقد فى وجود "الدايمونات"؟[٨٦].

- لا.

- لكم أبهجنى أن أجبت، وإن كان ذلك بمشقة وبعد أن أجبرك هؤلاء [القضاة]. إذن فأنت تقبل أننى أعتقد فى أمور دايمونية وأعلّم هذا، وسواء أكانت جديدة أم قديمة فإن هذا بغير أهمية، المهم أنى أعتقد فى أمور دايمونية بحسب ما تقول، بل إنك أقسمت على هذا فى المذكرة المرفقة بإدعائك. ولكنى لو كنت أعتقد فى أمور دايمونية، فإنه يلزم بالضرورة وبلا جدال أن أعتقد فى "الدايمونات". أليس كذلك؟ بل هو كذلك. وما دمت لا تجيب، فأنا اعتبر أنك موافق على هذا. هذه [د] الدايمونات ألا تعتبرها آلهة أو أبناء آلهة؟ قل: نعم أم لا؟

- نعم.

- بالتالى، فمادمت أعتقد فى الدايمونات، بحسب ما قلت أنت، وإذا كانت هذه الدايمونات آلهة معينة، فإن هذا هو ما يجعلنى أقول عنك إنك تتكلم بالألغاز وتمزح حين تقول إننى لا أعتقد[٨٧] فى الآلهة، ثم تعود من جديد لتقول إنى أعتقد فى آلهة ما دمت أعتقد فى الدايمونات. وإذا كانت الدايمونات[٨٨] أبناء غير شرعيين للآلهة، سواء من الجنيات[٨٩] أم من غيرهن بحسب ما يروى، فمن من البشر سيعتقد فى وجود أبناء للآلهة بدون الاعتقاد فى وجود الآلهة؟ إن هذا سيكون مخالفا [هـ] للعقل كالاعتقاد فى وجود أبناء الخيل والحمير، البغال، مع عدم الاعتقاد فى وجود

(٨٦) مثل استعدادات، جمع "دايمون" (daimôn)، وأقرب ترجمة لهذا اللفظ هى "الجنى"، وقد استخدمناها بالفعل. انظر هامش ٨ على نص "أوطيفرون".

(٨٧) نشير هنا إلى ظهور فعل ، وقبل ذلك فى هذا السياق كان أفلاطون يستخدم nomizein، وكلاهما يعنى "يعتقد"، وإن كانت الشحنة الدينية، تحت تأثير الاستخدام، أوضح فى الفعل الثانى.

(٨٨) يمكن للقارئ أن يضع مكان "الدايمونات" كلمة "الجن" بحسب تحديدنا فى الهامش المشار إليه فى هامش ٨٦، فوق.

(٨٩) numphai. وهى كائنات إلهية أقل مرتبة من الهة الأولمبوس، وتعيش فى الكهوف والغابات وحول العيون والأنهار.

الخيل والحمير. لا، يا مليتوس، لا يمكن أن يكون هناك شك أنك ما أقمت هذه الدعوى إلا لتختبرنا، أو لأنك حرت فى اتهامى بذنب حقيقى. أما أن تصل إلى إقناع امرءٍ مهما ضأل حظه من التفكير أن نفس الشخص يعتقد فى الأمور **٢٨** الدايمونية وفى الأمور الإلهية ولكنه لا يعتقد هو نفسه [٢٨أ] فى وجود الآلهة ولا فى وجود الأبطال(٩٠)، لا، هذا غير ممكن مطلقاً.

لكن، لبيان أننى برئ من اتهام مليتوس، لا أظن، أيها الأثينيون، أنه يجب علىّ أن أطيل فى دفاعى أكثر من هذا، فما سبق يكفى. وعندما قلت لكم فيما سبق أن هناك أحقاداً كثيرة ضدى، وعند كثيرين، فاعلموا جيداً أن هذه هى الحقيقة. وما سيجعلنى أدان، إن حدث وأدنت، ليس هو مليتوس ولا أنيتوس، بل هو افتراء هذه الكثرة وقدحهم فىّ، وهى أمور أدانت، [ب] وستدين فيما أعتقد، كثيرين من الآخرين من الرجال الفضلاء، فمن المتوقع ألا ينتهى الخطر عندى.

وربما قال لى البعض: "ألا تخجل يا سقراط من انشغالك بهذا النوع من الحياة الذى بسببه يمكن اليوم أن تموت؟" على هذا سأرد بكلمة الحق التالية: "أنت لم تصب، أيها الصاحب، إن كنت تعتقد أنه واجب على رجل ذى قيمة مهما ضئلت أن يحسب حساب إمكان أن يحيى أو أن يموت، إنما عليه أن يعتبر شيئاً واحداً فى سلوكه: وهو إن كان يسلك سلوكاً عادلاً أم ظالماً وإن كان عمله عمل رجل فاضل أم شرير، وبحسب [جـ] ما تقول فإنك ستحكم بالغباء على أنصاف الآلهة الذين أنهوا حيواتهم أمام طراوده، وعلى الأخص ابن ثيتيس(٩١) الذى احتقر الخطر أمام العار الذى كان سينتظره. فحينما رأت أمه أنه يحترق رغبة إلى قتل هكتور، قالت له، وقد كانت إلهة، على التقريب ما يلى بحسب ما أتذكر: "أيا ولدى، إن كنت ستثأر لمصرع بارتوكلوس رفيقك وتقتل هكتور، فإنك ستموت أنت نفسك: فعلى الفور بعد هكتور سيحل قضاؤك". لقد سمع هذا، ولكنه ما عبأ بالموت ولا بالخطر،

---

(٩٠) كان اليونان يعبدون بعض عظام الأبطال، وبعض هؤلاء، ومنهم هرقل، كان يقترب شيئاً فشيئاً من مقام الألوهية، وكان بعضهم على أية حال أنصاف آلهة. انظر هنا ٢٨جـ.

(٩١) هو أخيل، وثيتيس هى أمه. أخيل هو أعظم أبطال مهاجمى طرواده فى "الإلياذة" لهوميروس، التى يأتى منها النص الذى سيذكره سقراط، وهكتور هو بطل طرواده المدافع عنها حتى الموت، وكان القدر قد قضى بأن مصرع هكتور سيتبعه بالحتم مقتل أخيل.

[د] لأنه كان يخشى أكثر وأكثر حياة الجبناء بلا ثأر للأصدقاء. ورد قائلا: "فلأمت على الفور بعد إنزال العقاب بالمذنب، حتى لا أبقى هنا موضعاً للسخرية بجانب السفن المحنية، وعبئا باطلا على الأرض المخضرة". هل تعتقد أنه عبأ بالموت والخطر؟"[٩٢].

هذا هو الأمر، أيها الأثينيون، بحسب الحقيقة: كل من وُضع فى مركز[٩٣]، إما بنفسه لأنه يعتقد أنه الأحسن له، أو وضع فيه بأمر القائد[٩٤]، يجب أن يبقى فيه، فى رأيى، وليحدث ما يحدث، وبدون أن يحسب حسابا لا للموت ولا لأى شىء آخر أمام العار. ولكم يكون سلوكى غريبا، أيها الأثينيون، [هـ] إذا كنت بقيت مثل أى فرد آخر مخاطراً بحياتى فى الموضع الذى وضعنى فيه القواد الذين اخترتموهم ليرأسونى، سواء فى بوتيديا أو فى أمفيبوليس أو فى دليون[٩٥]، أما حين يكون الإله، بحسب ما بدا لى وما أعتقد، هو الذى يضعنى فى موضع موجبا **٢٩** علىَّ الحياة متفلسفا فاحصا نفسى والآخرين، فإنى فى هذه الحالة [٢٩أ] أهجر مركزى خوف الموت أو أى شىء آخر! هذا هو ما سيكون غريبا، وعندها سيكون للبعض الحق بالفعل فى سوقى إلى المحاكمة بتهمة عدم الاعتقاد فى وجود الآلهة وعاصيا للنبوءة وخاشيا الموت ومعتقداً أننى حكيم على حين أننى لست بحكيم فى الواقع. ذلك أن خشية الموت، أيها المواطنون، ليست شيئاً آخر غير أن يظن المرء أنه حكيم على حين أنه ليس حكيماً، حيث إن هذا هو ظن معرفة ما لا يعرفه. إن أحداً لا يعرف ما هو الموت، ولا إن كان يمكن أن يكون للإنسان أعظم الخيرات كلها، ولكن الناس تخشاه كما لو كانت تعرف [ب] أنه أعظم الشرور. وهل هذا إذن إلا ذلك الجهل المشين: اعتقاد أحد معرفة أشياء هو لا يعرفها؟ هنا وهكذا، أيها المواطنون، ربما أتميز عن أكثرية الناس. وإذا حدث وقلت إننى أحكم من آخر

(٩٢) لاحظ أن سقراط يبرر هنا سلوكه على نفس طريقة العامة، أى بالرجوع إلى النماذج التقليدية للسلوك، وهى الطريقة التى سيرفضها من أوطيفرون لتبرير سلوكه (انظر "أوطيفرون"، ٥ د وما بعدها).

(٩٣) أو "موضع" أو "مكان". هنا تظهر فكرة "المركز" الهامة التى ستعود إليها محاورة "فيدون"، ٦٢ب، وانظر كذلك "أقريطون"، ٥١ب.

(٩٤) القائد بشرا كان أم إلها.

(٩٥) مواقع حربية اشترك فيها سقراط.

على نحو ما، فإن هذا بمعنى أننى، لما كنت لست عارفاً معرفة كافية بما يجرى فى هاديس، فإننى لن أعتقد معرفة ما لا أعرفه. إننى أعرف أن الظلم وعصيان الأفضل، سواء أكان إلها أم بشراً، شىء قبيح ومخجل. ومع هذا، بعد الأشياء القبيحة(٩٦) التى أعرف أنها قبيحة، فإننى لن أخشى ولن أتهرب أبداً من الأشياء التى لا أعرف إن كان قد يحدث أن تكون أشياء حسنة.

وهكذا، فحتى إذا [جـ] برأتمونى الآن، ولم تتبعوا أنيتوس الذى قال: إما أنه لا يجب من أصله أن يؤتى بى إلى هنا، وإما، ما دام قد أُتى بى، أنه لا يمكن إلا أن أعدم، وذاكراً لكم إننى إن نجوت بجلدى هذه المرة، فإن أولادكم، سالكين فى حياتهم بحسب ما يعلمهم سقراط، سيفسدون جميعاً كل الفساد، أقول حتى إذا برأتمونى، وقلتم بخصوص هذا: "يا سقراط، إننا لن نطيع اليوم أنيتوس وسنبرئك، ولكن على شرط ألا تعود إلى شغل وقتك بذلك البحث وبالتفلسف، أما إذا [د] ضبطت وأنت تقوم بهذا، فستموت"، إذا أنتم برأتمونى على هذه الشروط فإنى مجيبكم بالتالى: "أنا أعزكم أيها الأثينيون وأحبكم، ولكنى أطيع الإله أكثر مما أطيعكم، وطالما بقى فىّ نَفَس وكنت قادراً على ذلك، فلن أتوقف عن التفلسف وعن حثكم(٩٧)، موضحاً فى كل مناسبة لمن ألقاه فى طريقى منكم، ومتكلماً على الطريقة التى اعتدت عليها: "أيا أفضل الناس، وأنت الأثينى، والذى ينتمى إلى أعظم المدن وأشهرها حكمة وقوة، ألا تخجل من أنك تعنى بكيف تحوذ أكبر ثروة ممكنة، [هـ] وبالشهرة وبألوان التكريم، بينما لا تعنى بالفكر(٩٨) ولا بالحقيقة ولا بالنفس وكيف تصير أفضل، بل لا تفكر فى هذا حتى مجرد تفكير؟" وإذا حدث واعترض أحد منكم، وقال إنه يعتنى بكل هذا، فلن أدعه يذهب على الفور، ولن أتركه أنا من جانبى، بل سألقى عليه الأسئلة وسأفحصه وسأفنده. وإذا كان لا يبدو لى حائزاً على الفضيلة، [٣٠أ] بل يتظاهر بذلك، فإنى سألومه على أنه يعطى قيمة بخسة لأعظم الأشياء، وقيمة كبيرة لأوضع الأشياء. هذا هو ما سأفعله مع من يحدث وأقابل من الصغار والكبار، مع الغريب ومع المواطن من هنا، وعلى

٣٠

(٩٦) أو السيئة، أى الشر بصفة عامة.

(٩٧) أى وعظكم.

(٩٨) phronêsis.

الأخص معكم أنتم، لأنكم أقرب إلىّ باعتبار الجنس(٩٩). هذا هو ما يأمر به الإله، كونوا على بينة منه، وإنى لأعتقد من جانبى أنه لم يظهر ما هو أعظم خيراً لكم فى هذه المدينة من وضعى نفسى هكذا فى خدمة(١٠٠) الإله. فما أفعله ليس إلا محاولة إقناعكم شبابا وشيوخاً بألا [ب] تعنوا بأجسامكم وبثرواتكم فوق عنايتكم وبنفس الحماس بالنفس، من أجل أن تصير أحسن، قائلاً: "الفضيلة لا تأتى من الثروة، وإنما بالفضيلة تصير الثروة وكل شىء آخر خيرات للبشر، سواء فى حياتهم الخاصة أو العامة". إن كنت بقولى هذا أفسد الشباب، إذن فهذه أشياء مضرة. ولكن أن يدعى أحد علىّ أنى أقول شيئاً آخر غير هذا، فإنه سيقول كلاماً فارغاً(١٠١). فاتبعوا، أيها الأثينيون، كما قلت لكم، بخصوص هذا، أنيتوس أو لا تتبعوه، برؤنى أو لا تبرؤنى، ولكنى لن [جـ] أفعل على اليقين شيئاً آخر غير هذا، حتى ولو وجب علىّ أن أموت مرات عديدة.

لا تتصايحوا، أيها الأثينيون، وابقوا على النحو الذى طلبته منكم: لا تصيحوا ضد ما أقول أياً ما كان، وأنصتوا. وإننى أعتقد أنكم ستستفيدون إن أنتم أنصتم(١٠٢). إنى أريد أن أقول لكم أشياء ربما جعلتكم تصرخون. ولكن لا تفعلوا ذلك مطلقاً. تيقنوا أنكم إن أنتم أعدمتمونى، باعتبار أننى من أقول(١٠٣)، فإنكم لن تضرونى بقدر ما تضرون أنفسكم. فعندى أنه ليس بإمكان مليتوس ولا أنيتوس إلحاق الضرر بى، فهما غير قادرين على ذلك، حيث أننى لا أعتقد أنه من المسموح به(١٠٤) أن [د] يضير الأسوأ الأفضل(١٠٥). ربما يستطيع، بالطبع، أن يجعلنى أعدم أو أنفى أو أحرم من حقوقى المدنية، وربما كانت هذه كلها فـــى

---

(٩٩) يتضح هنا أكثر من أى مكان اخر تعلق سقراط بمواطنيه الذى سيدفعه فى النهاية إلى التضحية بحياته.

(١٠٠) الكلمة اليونانية المترجمة هنا تستخدم أيضاً للدلالة على شغل البحارة فى خدمة السفينة وربانها، وهو عمل مجهد أعظم الإجهاد فى ظروف البحارة القديمة.

(١٠١) من المعنى، وحرفياً: "فإنه لن يقول شيئاً".

(١٠٢) هنا تزداد لا شك ثورة القضاة على سقراط.

(١٠٣) أى باعتباره مبعوث العناية الإلهية.

(١٠٤) انظر هامش ٥٦ فوق.

(١٠٥) المشكلة هى: هل يمكن لرجل السوء أن يضر حقيقة رجل الفضيلة؟

نظره وفى نظر غيره شروراً عظيمة، ولكنها ليست كذلك فى نظرى أنا، وإنما هناك من الشر قدر أعظم من هذا بكثير فى فعل ما يفعلونه هم الآن، حينما يحاولون ظلماً إصدار الحكم بإعدام رجل. وهكذا، أيها الأثينيون، فليس دفاعى من أجل نفسى كما قد يبدو للبعض، وإنما هو من أجلكم: وذلك حتى لا تخطئوا بإدانتى فى حق [هـ] هدية الإله إليكم[١٠٦]. ذلك أنكم إذا حكمتم بإعدامى فلن تجدوا بسهولة آخر مثلى، آخر (بدون كلمات معقدة، حتى لو كان قول هذا باعثا على الضحك) مشدوداً إلى المدينة بأمر الإله، وكأنه مشدود إلى جواد عظيم ومن أصل طيب، ولكن ضخامته تتسبب فى بطئه، فيحتاج إلى أن يوقظه مهماز ما. على هذا النحو، فيما أعتقد، ربطنى الإله بالمدينة وأنا كما أنا: من يوقظ كل فرد منكم ويحثه **٣١** ويلومه، غير متوقف [٣١أ] أبداً، [وتجدونه] فى كل مكان طوال النهار. رجلاً آخر مثلى لن تجدوه بسهولة، أيها المواطنون. وإذا أردتم إتباع رأيى، فأطلقونى. ولكنه من الممكن جداً أن يكون كيلكم قد طفح كحال من غفل فأوقظ، فتنزلوا علىَّ بضربة، بل وقد تحكمون بإعدامى فى عجلة متابعين أنيتوس، ولعلكم بعد هذا تقضون البقية من حياتكم فى النوم بلا انقطاع، اللهم إلا إن أرسل الإله إليكم رجلا آخر شفقة بكم.

أما أننى الرجل الذى وهبه الإله للمدينة، [ب] فإنكم ستدركون هذا على ضوء ما يلى: ذلك أنه يبدو أن هناك شيئاً غير إنسانى فى عدم اهتمامى بسائر شئونى وفى تحملى بشجاعة لما نتج عن إهمالى لشئوني الخاصة، وذلك منذ سنين عديدة، بينما شغلت نفسى على الدوام بشئونكم، معاملاً لكل منكم بشخصه كأب أو أخ، مقنعاً له أنه من الأفضل الاهتمام بالفضيلة. ولو كان قد حدث وكنت استفدت من هذا شيئاً، أو كنت أخذت أجراً لقاء نصحى، إذن لكان للأمر تفسير. ولكنكم ترون بأنفسكم أن متهمىَّ، الذين وصلوا إلى أعلى درجات الوقاحة فى اتهاماتهم، لم يصلوا إلى حد التعرى عن كل خجل [جـ] ليجلبوا شاهداً يقول بأننى استلزمت أو طلبت أجراً. ويكفى، فيما أعتقد، فقرى شاهداً أقدمه على أن ما أقول حق. ولقد يبدو غريباً أننى أروح هنا وهناك مقدماً نصائحى تلك لكل شخص على انفراد،

(١٠٦) وهى سقراط. وبالتالى فإنهم سيخطئون فى حق الإله.

مهتماً بشئون الآخرين، بينما لا أجرؤ على الظهور فى الجمعية الشعبية[١٠٧] لكى أقدم نصائحى للمدينة بشأن الأمور التى تخصكم جميعاً. العلة فى هذا هو ما سمعتمونى كثيراً، وفى كل مكان، أردده عن [صوت] إلهى [د] ودايمونى[١٠٨] يظهر لى، وهو ما ذكره مليتوس فى دعواه متخذا منه موضوعاً للسخرية[١٠٩]. وقد بدأ هذا عندى منذ كنت طفلاً: صوت معين يظهر، وحينما يحدث هذا، فإنه يصرفنى دائماً عن شىء كنت أفكر فى عمله، ولكنه لم يأمرنى قط بعمل شىء، وهو الذى عارض فى اشتغالى بالسياسة، وما كان، فى رأيى، أحسن اعتراضه. فاعلموا علم اليقين، أيها الأثينيون، أننى لو كنت دخلت عالم السياسة لكان قد قضى علىّ، ولما أمكننى أن أكون ذا نفع لا لكم [هـ] ولا لنفسى. ولا تغضبوا منى إن قلت لكم الحقيقة: ليس هناك من بشر قادر على إنقاذ حياته إن هو عارضكم معارضة حقيقية أنتم أو أية جمعية شعبية أخرى، وحاول منع كثير من ألوان الظلم **٣٢** ومخالفات القانون من أن تحدث فى المدينة، فلا [٣٢أ] مناص لمن يريد الجهاد فى سبيل العدل جهاداً فعلياً، إن هو أراد أن يبقى على حياته لفترة من الزمان ولو قصرت، لا مناص له من أن يعيش حياته الخاصة فقط وألا يكون له اشتراك فى الحياة العامة[١١٠].

وسأعطيكم أنا على ذلك براهين قوية، ليس بكلمات، بل بما تنزلونه أنتم منزلة عليّه، بالوقائع. أنصتوا إذن إلى ما حدث لى حتى تعرفوا أن خشية الموت ما جعلتنى أطيع أحداً فيما يخالف العدل، وأننى تعرضت للموت بسبب عدم خضوعى هذا. حقاً، إننى سأحدثكم على المكشوف حديث المحامى، ولكنه سيكون حديث الحق. لم يحدث قط أن شغلت وظيفة فى إدارة [ب] المدينة غير أن كنت عضواً فى المجلس التنفيذى. فقد حدث أن كانت قبيلتنا أنتيوخيس تملك زمام البروتانيا[١١١]

---

(١٠٧) dêmosia. قارن فوق، هامش ٧٧، والمقصود نفس الشىء.

(١٠٨) نسبة إلى "دايمون"، "الجنى" (انظر هامش٨ على نص "أوطيفرون"، وهنا فوق، هامش ٧٤).

(١٠٩) ترجمة أخرى ممكنة: "على طريقة كتاب الكوميديا".

(١١٠) نظرا لطبيعة تكوين المدينة اليونانية فقد كانت الحياة العامة، والاشتراك فى السياسة، فى متناول كل المواطنين. ومن هنا كان التقابل الشائع بين الحياة الخاصة والحياة العامة.

(١١١) اللجنة التى كان بيدها تسيير أمور المجلس التنفيذى (Boulê)، وهى مكونة من عُشر عدد أعضائه، إذن من خمسين مواطنا يمثلون إحدى "القبائل" العشر الأثينية، وكانت البروتانيا

حينما كنتم تريدون محاكمة القواد العشرة الذين لم يجمعوا جثث الموتى معا بعد المعركة الحربية، مخالفين فى هذا، كما اعترفتم جميعا من بعد، للقوانين. وقد كنت الوحيد بين أعضاء البروتانيا الذى عارضكم فى عمل شيء مخالف للقوانين وصوّت ضدكم. وقد كان الخطباء على وشك الإشهار بى وتقديمى إلى المحاكمة، وكنتم تدفعونهم إلى ذلك صارخين، ولكنى رأيت أنه يجب علىّ أن أفضل المخاطرة، [جـ] واقفاً فى صف القانون والعدل، على أن اتخذ، واقفاً معكم وخشية السجن أو الموت، قرارات غير عادلة. وقد حدث هذا بينما كان النظام الديمقراطى هو نظام دولة المدينة. وقد أتى بعد ذلك النظام الأوليجاركى، وأصدر [الطغاة] الثلاثون، بدورهم، أمرهم إلىّ، بعد أن أحضرونى خامس خمسة، إلى مبنى الثولوس(١١٢)، بأن آتى بليون السلامينى [من سلامينوس] بغرض تنفيذ حكم الإعدام فيه، وكانوا كثيراً ما يصدرون مثل هذه الأوامر إلى كثير من الآخرين بغرض إشراك أكبر عدد ممكن فى مسئولياتهم. هذه المرة أيضاً برهنت من جديد، ليس بالكلام بل بالأفعال، أنى بالموت [د] لا أبالى، وكأنه لا شيء (ولعل كلامى هذا لا يصدمنكم كثيراً)، ذلك أن كل ما يهمنى هو عدم القيام بأى فعل كان ظلماً أو بعيداً عن التقوى. وهكذا فإن هذا النظام لم يرهبنى، مهما كانت سطوته، حتى أقوم بفعل ظالم: فعندما خرجنا من الثولوس، توجه الأربعة الآخرون إلى سلامينوس وجاؤوا بليون، أما أنا فقد قفلت راجعا إلى منزلى. وكاد جزائى أن يكون الموت، لولا أن سقط هذا النظام بعد ذلك بقليل. على [هـ] هذا يمكن أن يشهد أمامكم كثير من الشهود.

هل تجدون الآن أنى كنت أعمر طويلا إن كنت اشتغلت بالأمور العامة سالكا السلوك الجدير بالرجل ذى الأخلاق ومدافعاً عن العدالة وواضعا لها، كما هو واجب، فى أعظم مكانة؟ لكم أشك فى ذلك، أيها الأثينيون، وما كان لأحد آخر أن **٣٣** ينجح فى هذا. [٣٣أ] وإذا كنت هكذا، فيما أعتقد، أثناء كل ممارسة لى فى

=فى يدهم عشر السلة. والمعركة المشار إليها بعد ذلك هى معركة جزر الأرجينوساى البحرية (عام ٤٠٦ق.م)، التى انتصرت فيها البحرية الأثينية على إسبرطة، ولكن القادة لم يستطيعوا رفع جثث الموتى من الماء بسبب العاصفة.

(١١٢) مبنى فى أثينا ذو قبة مدورة كان أعضاء البروتانيا يجتمعون فيه، ولكن الطغاة الثلاثين أخذوه لأنفسهم.

الحياة العامة، عندما حدث لى هذا، فقد كنت نفس هذا الرجل فى حياتى الخاصة، وما قبلت أبدا من أحد شيئا مخالفا للعدالة، لا ممن يقول المفترون علىّ إنهم "أتباعى"[١١٣]، ولا من غيرهم. فما كنت يوماً أستاذاً لأحد. ولكن، حينما كان أحد ما، صغيراً كان أم كبيرا، يرغب فى الاستماع إلى وأنا أتكلم مؤدياً مهمتى[١١٤]، فإننى لم أحرّم هذا على أحد: فلست بالذى يدخل فى حوار من أجل الحصول على الأجر[١١٥]، [ب] فإذا أنا لم أنله امتنعت، بل أنا أضع نفسى تحت تصرف الغنى والفقير سواء بسواء ليسألونى، اللهم إلا إن رغبوا هم فى أن يجيبوا علىّ وأن يسمعوا ما قد أقوله. فإذا صلح أحدهم أو طلح، فإنه ليس من العدل تحميلى أنا مسئولية ذلك، فما وعدت أحداً تعليما وما علمت أحداً، وإذا ادعى أحدهم أنه حدث وتعلم منى أو استمع فى الخصوص[١١٦] إلى شىء لم يستمع إليه كل الآخرون، فاعلموا جيداً أنه لا يقول الحق.

ولكن، لأية علة يستمتع البعض بالبقاء فى [جـ] صحبتى ساعات طويلة؟ لقد سمعتمونى، أيا الأثينيون، ولقد قلت لكم كل الحقيقة: إنهم يجدون لذة فى الاستماع إلىّ أفحص هؤلاء الذين يدعون أنهم حكماء، بينما هم ليسوا بحكماء، وليس هذا فى الحق بغير متعة. وكما قلت لكم فإننى أؤدى مهمتى التى أمرنى بها الإله فى نبوءات، أو فى أحلام، وبكل الطرق التى يدرك بها الإنسان النصيب الذى حددته له الآلهة وما تأمره أن يؤديه.

هذا الذى أقول، أيها الأثينيون، هو الحقيقة، ومن السهل التحقق منه: ذلك أننى إذا كنت [د] أفسد بعض الشباب حقيقة، وإذا كنت أفسدت بعضا فى الماضى، أما كان يجب أن بعضاً منهم يدرك، وقد تقدم به العمر، أننى فى شبابهم حدث وأعطيتهم نصائح سيئة، فيتقدمون اليوم هنا متهمين لى وآخذين بثأرهم؟ وإذا كانوا لم يريدوا أن يفعلوا هذا بأنفسهم، أما كان يجب أن بعضا من أقارب هؤلاء، آباءهم

---

(١١٣) كان بعض زعماء الطغاة الثلاثين من أصحاب سقراط، ويمكن أن نرى هنا كذلك تلميحاً إلى عدم مسئولية سقراط عن سلوك ألقبيادس، الأثينى الطموح الذى انقلب على أثينا وخدم عدوتها اللدودة إسبرطه.

(١١٤) أى رسالته طاعة لأمر الإله، وهى حث مواطنيه على الفضيلة والعناية بالنفس.

(١١٥) وهو حال السفسطائيين.

(١١٦) الخصوص ضد العموم . أى على انفراد.

أو إخوتهم أو أقرباء آخرين، [يأتي]، إن كان شرا قد مس أقاربهم بسببي، ويذكر هذا الآن منتقما مني؟ وعلى أية حال، فإن كثيرين منهم حضور هنا، وإني أرى منهم أولا أقريطون، وهو من عمري [هـ] ومن نفس الحي[١١٧] مثلي، أبو كريتوبولوس هذا، وبعده لوزانياس من إسفيتوس، وهو أبو إسخينوس هذا، وكذلك أنيتوفون من كيفيسوس الذي أمامكم، وهو أبو إبيجينوس، وهناك غيرهم أمامكم ممن قضى أخوتهم وقتهم على ذلك النحو[١١٨]: نيقوستراتس ابن ثيوزوتيديس وأخو ثيودوتس، ولما كان ثيودوتس قد توفي، فإنه لا يستطيع أن يستعطفه[١١٩]، **٣٤** وبارالبوس هذا ابن ديمودوقس، وكان ثياجيس أخوه. وهذا [٣٤أ] أديمانتس، ابن أرستون، وأخوه هو أفلاطون هذا الذي أمامكم[١٢٠]، وأيانتودورس وأخوه هو أبوللودورس هذا. وفي مقدوري أن أسمي لكم كثيرين من غيرهم، وكان يجب على مليتوس أن يقدم في كلمته واحداً منهم على الأقل كشاهد، وإذا كان قد سهى عليه ذلك، فليفعله الآن، وأنا أسمح له بهذا، وليذكر اسما واحداً إن كان قادراً على هذا. وعلى العكس من ذلك تماما، أيها الأثينيون، فإنكم ستجدونهم جميعاً على استعداد لمساعدتي أنا المفسد [لأقربائهم]، على ما يزعم مليتوس [ب] وأنيتوس. فقد يكون هناك دافع لمن أفسدتهم لكي يقدموا لي العون، ولكن أقرباءهم، هؤلاء الذين لم أفسدهم، وهم رجال متقدمون في السن، أي دافع لهم لكي يساعدوني إلا أن يكون ذلك هو الحق والعدل، لأنهم يعون أن مليتوس يكذب، بينما أقول أنا الحقيقة؟

فليكف هذا، أيها المواطنون. فما أستطيع الدفاع به هو هذا على التقريب، أو أشياء أخرى من نفس النوع. وربما [جـ] اغتاظ أحدكم وهو يتذكر، إذا كان قد مر بقضية أقل خطورة من قضيتي هذه، أنه توسل إلى القضاة وتضرع بالدمع الغزير، بل وأتى كذلك بأطفاله حتى يجعلهم يشفقون عليه أعظم الشفقة، وبالكثير من أقربائه الآخرين ومن أصدقائه، هذا على حين أنني لن أفعل شيئاً من هذا، وذلك في الوقت الذي يمكن فيه أن أعتقد أنني أتعرض لأكبر خطر. ومن الممكن أن يحدث لمثل

(١١٧) مجموعة سكانية في أثينا، انظر هامش ٦ على نص "أوطيفرون" في ترجمتنا، والإشارة التالية إلى "أحياء" المذكورين.

(١١٨) أي في صحبته.

(١١٩) من أجل ألا يشهد ضده سقراط.

(١٢٠) وهو مؤلفنا.

هذا الشخص، واضعا ذلك فى اعتباره، أن يحمل علىّ بسببه عجرفة منه، وما أن يهتاج لهذا حتى يضع صوته [د] بحسب ما يمليه الغضب(١٢١). إذا كان هذا هو حال أحدكم، ومن جانبى فلا يجب أن أظن ذلك، ولكن على فرض هذا، فإنى أعتقد أنى سأحدثه حديثا معقولا حين أقول له: أنا أيضاً، أيها الفاضل، لى أقارب من غير شك، فلست، كما يقول هوميروس، مخلوقاً "من شجرة(١٢٢) ولا من حجر"، بل من بشر، فلى إذن أقرباء، ولى أبناء كذلك، أيها الأثينيون، ثلاثة، واحد منهم أصبح فتى، واثنان لا يزالان طفلين، ولكنى رغم هذا لم آت بهم إلى هنا متوسلا إليكم أن تغفروا لى. لماذا إذن لا أريد إن أفعل هذا؟ ليس تحديا منى، أيها [هـ] الأثينيون، ولا استهانة بكم. أما إن كنت أجابه الموت ثابت الأقدام أم لا، فهذا أمر آخر. ولكنى لا أظن، من أجل سمعتى وشرفى(١٢٣) وسمعتكم وشرف المدينة كلها، لا أظن أنه من الجدير بى أن أفعل هذا، وأنا على هذه السن ومع سمعتى تلك، سواء **٣٥** كانت على أساس أم كانت زيفا. ولكن الواقع هو أن هناك اعتقاداً بأنه [٣٥أ] يوجد شيء يتميز به سقراط عن معظم البشر. فإذا كان المشهورون بينكم بالتفوق سواء فى الحكمة أو فى الشجاعة أو فى أية فضيلة من نوع آخر، سيسلكون هذا السلوك، فلكم سيكون هذا عارا. إلا أننى كثيراً ما رأيت بالفعل أناساً من هذا النوع، كانوا يعتبرون من ذوى الفضيلة، وحينما يحاكمون يأتون بأعمال غريبة مذهلة، كما لو كانوا يعتقدون أنه أمر رهيب أن تحكموا بإعدامهم، وكما لو كانوا سيخلدون فى حالة ألا تميتوهم. أما أنا فأعتقد أنهم يجلبون العار على المدينة، حيث أنهم يجعلون بعض الغرباء [ب] يعتبرون أن أولئك المتميزين بفضيلتهم من الأثينيين، وهم الذين يختارهم الأثينيون ذاتهم مفضلين لهم على أنفسهم لمراكز القيادة ومراكز الشرف الأخرى، أنهم لا يتميزون فى شيء عن النساء. هذه، أيها الأثينيون، أشياء لا يجب عليكم أن تفعلوها إن كانت لكم شهرة حيازة نوع من الفضيلة، وإن حدث وفعلناها فلا يجب أن تسمحوا بها، بل، على العكس، يجب أن تبينوا أن أصواتكم ستدين ذلك الذى يؤدى أمامكم تلك التمثيليات التى تبعث على الرثاء، جاعلاً المدينة موضع السخرية بفعله هذا، أكثر من أن تدين ذلك الذى يحتفظ بهدوئه.

---

(١٢١) فيصوت بإدانة سقراط.

(١٢٢) فى الأصل "شجرة القرو".

(١٢٣) doxa، وهى تعنى هنا معا السمعة والشرف.

وبصرف النظر عن الشرف، أيها المواطنون، فما أجد حقاً [جـ] التوسل إلى القاضى ولا النجاة بفضل هذا التوسل، وإنما الواجب إعلامه وإقناعه. فما يجلس القاضى فى مقعده من أجل هذا: أن يوزع العدل بحسب ما يحلو له، بل من أجل أن يفصل بالعدل. فقد أقسم ألا يحكم بحسب ما يحلو له، بل أن يحكم بحسب القوانين. ولهذا فلا يجب علينا أن نعوّدكم على الحنث باليمين ولا أن تتعودوا أنتم على ذلك، ففى كلتا الحالتين سيكون هذا دليلا منا على قلة ورع. فلا تنتظروا إذن منى، أيها الأثينيون، أن أفرض على نفسى أمامكم ألواناً من السلوك لا أجد فيها جمالاً ولا [د] عدلاً ولا ورعاً، وخاصة، بحق زيوس، بينما أجدنى متهماً بعدم احترام الآلهة من قبل مليتوس هذا. فواضح أننى إن نجحت فى إقناعكم وأجبرتكم توسلاتى على الإخلال بقسمكم، إذن لكنت بهذا أعلمكم عدم الاعتقاد فى وجود الآلهة، وهكذا يكون دفاعى عن نفسى ببساطة اتهاما لى بعدم الاعتقاد فى الآلهة. وأما أبعد هذا عنى! لأنى أعتقد فيهم، أيها الأثينيون، أكثر من أى واحد من متهمىّ، وأضع نفسى بين أيديكم وبين يدى الإله للفصل فيما يجب أن يكون أفضل لى ولكم.

[أصدر القضاة قرارهم بأن سقراط مذنب
بأغلبية ضئيلة ، ويبقى تحديد العقوبة]

٣٦ [هـ] إذا كنت لم أسخط، أيها الأثينيون، ضد هذا [٣٦أ] الحكم الذى تدينوننى به، فإن ذلك لأن هناك اعتبارات كثيرة أدت إلى موقفى هذا، ومنها أننى لم أكن استبعد أن يحدث هذا الذى حدث، ولكن الذى أدهشنى أكثر من أى شىء آخر هو عدد الأصوات التى ذهبت فى كلا الاتجاهين، فما كنت أظن من جانبى أن الفرق سيكون ضئيلا هكذا، بل كنت أظن أنه سيكون كبيراً. وفى الحقيقة فإنه، بحسب ما يبدو لى، إذا كانت أصواتٌ ثلاثون قد غيرت من اتجاهها، لكنت برئت. ويبدو لى الآن أننى قد نجوت من مليتوس، وليس فقط نجوت، بل إنه واضح كل الوضوح أنه إذا لم يكن أنيتوس ولوكون قد تقدما إلى المنصة ليتهمانى[١٢٤]، لكان قد دفع [ب] ألف دراخمة لعدم حصوله على خمس عدد الأصوات.

على أية حال، هو يطلب أن يكون الموت قصاصى. هذا هو ما يطلب. وأنا،

(١٢٤) وليساعدا مليتوس فى تقديم الاتهام بغرض زيادة التأثير على القضاة.

أيها الأثينيون، ماذا عساى أن أقترح قصاصاً؟ أليس من الواضح أنه ما أستحق؟ وماذا أستحق؟ ماذا أستحق من ثواب أو عقاب من أجل أن اخترت حياة لا تعرف الراحة، مهملا ما يهتم به معظم الناس من ثروة وأمور منزلية ووظائف القيادة الحربية ووظائف سياسية، وغيرها من ألوان القيادات، وتحالفات وتحزبات سياسية تنشأ فى المدينة، معتبراً أننى [جـ] فى الحقيقة رجل أطيب من أن أستطيع إنقاذ حياتى لو كنت دخلت هذا الطريق؟ من أجل أننى بالتالى لم أسلك طريقاً ما كان يعود عليكم وعلى بالنفع؟ من أجل أننى رحت أخدم كلا منكم بشخصه أعظم الخدمات (بحسب ما أقول)، آخذاً هكذا فى إقناع كل شخص منكم بألا يقدم العناية بأى شيء من شئونه على العناية بنفسه من أجل أن يصير أفضل أخلاقياً وعقلياً، وألا يعنى بأمور المدينة قدر العناية بالمدينة ذاتها[١٢٥]، وأن تسير عنايته بكل شيء آخر على [د] نفس الطريقة؟ ماذا أستحق إذن أن أتلقى لأننى كنت هكذا؟ أستحق الخير، أيها الأثينيون، إن كان القصاص سيكون حقاً بحسب الاستحقاق، وهذا الخير يجب أن يكون مناسباً للرجل الذى أكون. فماذا يمكن إذن أن يكون مناسباً لرجل فقير خدوم يقوم بأحسن الخدمات، ومحتاج إلى التمتع بالفراغ حتى يعظكم فيما يخصكم؟ ليس هناك، أيها الأثينيون، أنسب من أن يطعم هذا الرجل فى البروتانيون[١٢٦]، وهو أحق بذلك من هذا أو ذاك منكم ممن فازوا فى الألعاب الأولمبية على حصان أو على عربة يجرها جوادان أو أربعة! فهو يجعلكم تصيرون سعداء فى الظاهر، أما أنا فعلى [هـ] الحقيقة، وهو لا يحتاج إلى طعام، أما أنا فمحتاج إليه، فإذا كان يجب علىّ إذن أن أحدد القصاص بحسب الاستحقاق مراعياً العدالة، فإن [٣٧أ] ما أحدده هو أن أطعم فى البروتانيون. **٣٧**

---

(١٢٥) ما هو قصد سقراط؟ إن النموذج الذى أمامه هو عناية الفرد بنفسه قبل عنايته بالثروة وبالمنصب. فما هو مقابل هذا فى حالة المدينة؟ قد يكون ذلك العناية بدستور المدينة وبطريقة الحكم فيها قبل العناية بالفتوحات الخارجية والسيطرة السياسية والاقتصادية التى كانت شغل النظام الديمقراطى الشاغل خلال الخمسين عاما السابقة، والتى أودت به وبأثينا معا. وهناك تفسير اخر ممكن: أن يكون المقصود هو العناية بالدولة فيما ينبغى أن تكون عليه، وليس بإدارتها باقية على ما هى عليه. ولكننا نرجح التفسير الأول.

(١٢٦) بناء عام فى كل مدينة تحفظ فيه النار المقدسة ويطعم فيه ضيوف الدولة والذين يعيشون على نفقتها من المواطنين (انظر بقية النص).

وربما يبدو لكم أننى أتكلم على نحو قريب جداً من ذلك الذى استخدمته بخصوص التباكى والتضرع، وأننى أتحداكم(١٢٧). ليس الأمر كذلك أيها الأثينيون، بل هو كالتالى: إننى مقتنع بأننى لا أذنب بإرادتى فى حق أى بشر، ولكنى لا أصل إلى إقناعكم بذلك، فلن يكن لدينا فى الحق إلا القليل من الوقت للتحادث. ذلك أنه كان يمكن لى، فيما أعتقد، أن أقنعكم إذا كانت القاعدة، كما هو الحال عند أقوام آخرين(١٢٨)، ألا يفصل فى قضايا الأعدام [ب] فى يوم واحد بل خلال عدة أيام. فالواقع أنه ليس من السهل القضاء فى وقت قصير على افتراءات تعاظمت. مقتنعا، إذن، فيما يخصنى، أننى لا أذنب فى حق أحد، فما أبعدنى عن الإجرام فى حق نفسى، وعن أن أعلن أنا نفسى، وفيما يخصنى، أننى أستحق شراً، وعن تحديد عقاب لى. فماذا أخشى؟ أن أقاسى مما يطلبه مليتوس عقابا لى(١٢٩)، بينما قلت إنى لا أعرف إن كان ذلك خيراً أم شراً؟ هل أختار، كعقاب لى، بدلا من هذا، شيئاً ما أعلم حق العلم أنه شر؟ هل اختار السجن؟ [جـ] ولم أوجب على نفسى العيش بين القضبان عبداً للموظفين المتوالين دورياً أمر السجن، للأحد عشر؟ أم الغرامة، فأسجن حتى أدفعها؟ ولكن هذا يعود عندى إلى نفس الشىء الذى تحدثت عنه منذ لحظة: فلست أملك ثروة حتى أدفع منها. فهل أعاقب نفسى باختيار المنفى؟ ربما كان كثيرون منكم سيحددون هذا عقابا لى. ولكن لكم سيكون حبى للحياة عظيما، أيها الأثينيون، لدرجة أن يصل بى إلى فقد العقل، فلا أقدر على إدراك أنكم، وأنتم مواطنىّ، لم تستطيعوا تحمل [د] محادثاتى وكلماتى، بل لقد أصبحت ثقيلة كريهة عليكم حتى لتبحثون الآن فى التخلص منى. فمن بين الآخرين سيتحملها بسهولة؟ ما أبعد ذلك عن التصور، أيها المواطنون. ولكم ستكون حياتى تلك جميلة منفيا، وأنا فى سنى هذه، قاضيا عمرى مغيرا مدينة بأخرى، ومنفيا منها جميعاً! ذلك أننى على يقين من أننى حيثما ذهبت فسيأتى الشباب ليستمع إلى حديثى كما هو الحال هنا. فإن أنا أبعدتهم، فسيكونون هم الذين يطردوننى مقنعين الكبار بذلك، [هـ] وإن لم أبعدهم فسيفعل آباؤهم وأقرباؤهم هذا من أجلهم.

---

(١٢٧) انظر ٣٤ د - هـ.

(١٢٨) كما هو الحال فى إسبرطه مثلا.

(١٢٩) أى الإعدام.

وقد يقول قائل: "يا سقراط، أفإن التزمت الصمت وعشت فى هدوء، أو لن تستطيع الحياة فى المنفى؟" وهذا هو أصعب ما يمكن إقناعكم به، لأننى إن قلت لكم **٣٨** إنه سيكون فى هذا عصيان للإله، وإنى لهذا غير قادر [٣٨أ] على العيش فى هدوء، فلن تصدقونى ظانين أننى أتكلم بتهكم. وإن قلت لكم، فوق ذلك، إن هذا هو على الدقة أعظم خير يصيب الإنسان: أن يقوم بالحديث كل يوم فى موضوع الفضيلة وفى الموضوعات الأخرى التى سمعتمونى أتحاور حولها، فاحصا نفسى وفاحصا الآخرين بشأنها، ومن ناحية أخرى فإن حياة بلا فحص[١٣٠] ليست حياة جديرة بإنسان، فلن تصدقوا ما أقول أكثر وأكثر، ورغم هذا، كما قلت لكم أيها المواطنون، فإن الأمر هو هكذا، ولكن إقناعكم بذلك ليس سهلا.

وفى نفس الوقت فإننى لم أتعود على فكرة أننى مستحق لأى شر. [ب] مع هذا، فلو كنت أملك ثروة، لكنت حددت غرامة يكون فى مقدورى دفعها، فما سيكون فى هذا مضرة لى، ولكن الواقع أننى لست بذى ثروة. اللهم إلا إن أردتم أن تحددوا ما يكون فى مقدورى دفعه، وربما كان فى مقدورى أن أدفع لكم مينا من الفضة. ولكن أفلاطون هذا الذى أمامكم، أيها الأثينيون، وأقريطون وكريثوبولس وأبوللودورس يدعوننى أن أحدد غرامة ثلاثين مينا، وهم الضامنون، فهذا هو إذن ما أحدد غرامةً علىّ، وسيكون ضامنو سداد هذا المبلغ أمامكم ممن يعتمد عليهم.

[بعد الحكم على سقراط بعقوبة الإعدام]

[جـ] ما أقصر الوقت، أيها الأثينيون، الذى صنعتم فيه لأنفسكم سمعة سيئة ووفرتم اتهاما يلقيه عليكم من يتوقون إلى التشهير بمدينتنا: أنكم أعدمتم سقراط، ذلك الرجل الحكيم، لأنهم سيقولون، أى هؤلاء القاصدون الإساءة إليكم، إننى حكيم بينما أنا لست حكيما. أما لو كنتم قد انتظرتم قليلا، لكان قد حدث من تلقاء نفسه ما سيتم على أيديكم: فأنتم ترونِ سنى وأننى متقدم فى العمر ومن الموت قريب. وأنا لا أقول هذا [د] لكم جميعا، بل لأولئك الذين صوتوا ضدى بالإعدام. وإنى أقول لهم أنفسهم كذلك ما يلى: ربما تعتقدون، أيها الأثينيون، أننى أُدنت افتقارا إلى تلك

(١٣٠) أى بلا فلسفة.

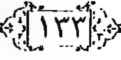
الخطب التى لعلها كانت أقنعتكم، لو كنت اعتقدت أنه واجب علىّ أن أفعل وأن أقول كل شيء حتى أتهرب من الإدانة. ما أبعد هذا عن الواقع! فما أُدنت افتقاراً إلى خطب، فى الحق، بل افتقاراً إلى الجسارة والوقاحة، ولأننى لم أرد أن أتحدث أمامكم على النحو الذى كان سيمتعكم سماعه أعظم إمتاع، ألا وهو سقراط يئن وينوح، فاعلاً [هـ] وقائلاً أشياء كثيرة لا أعتبرها جديرة بى، بحسب ما أقول أنا، أشياء تعودتم أنتم على سماعها من الآخرين. وكما أننى لم أعتقد منذ برهة أنه يجب علىّ، خشية الخطر، أن أفعل ما لا يليق برجل حر، فإنى لا أندم الآن على أننى دافعت عن نفسى على النحو الذى فعلت، ولأننى أفضل كثيراً أن أموت بعد أن أكون قد دافعت عن نفسى هكذا على أن أعيش بفضل تلك الأفعال، فلا **٣٩** يجب لا علىّ ولا على أى فرد آخر، لا أمام المحكمة ولا فى الحرب، [٣٩أ] أن يصطنع تلك الوسائل للهروب من الموت بأية طريقة. فكثيراً ما يحدث فى المعارك أن يظن أحدهم أنه سيهرب من الموت بإلقاء السلاح والتضرع إلى مطارديه أن يتركوه وشأنه. وهناك ألف وسيلة أخرى فى كل نوع من أنواع الخطر للهروب من الموت إذا ما كانت عند الفرد جسارة أن يفعل أى شيء وأن يقول كل شيء. إلا أن الصعب، أيها الأثينيون، ليس هو تلافى الموت بقدر ما أنه تلافى الشر، [ب] وهو الذى يتفشى بأسرع من الموت. والآن، وأنا فى حالتى هذه، وأنا البطيء المتقدم فى العمر، فقد أصابنى الأبطأ فيهما، أما متهمى، وهم الأقوياء خفاف الحركة، فإن الأسرع فيهما قد مسهم، وهو الشر. وسأخرج أنا الآن مداناً منكم ومحكوماً علىّ بالموت، أما هم فإنهم سيخرجون وقد أدانتهم الحقيقة بأنهم أشرار ظلمة. وإنى لقانع بما حُدد لى وهم بما حدد لهم. وربما كان هذا ما ينبغى أن تكون عليه الأمور، وإنى لأعتقد أنها ما يجب أن تكون عليه(١٣١).

[جـ] بعد هذا، أرغب فى أن أتنبأ لكم بشيء، أنتم يا من أدنتمونى، لأنى الآن، فى وضعى هذا، فى الحالة التى تسمح للإنسان أكثر ما تسمح بإطلاق النبوءات، وهو على وشك مغادرة الحياة(١٣٢). أقول إذن لكم، يا من حكمتم علىّ بالموت، إنه سينزل عليكم عقاب فور أن يأتينى الموت، عقاب أقسى، وحق زيوس، من ذلك الذى تفرضونه علىّ بإعدامى. فأنتم تفعلون هذا الآن على أمل ألا تعودوا

---

(١٣١) metriôs ، حرفيا "بمقياس"، وتعنى كذلك: إلى حد ما، باعتدال.

(١٣٢) قارن "فيدون"، ٨٤هـ وما بعدها.



مضطرين إلى وضع حياتكم موضع الفحص، هذا على حين أننى أقول لكم إن النتيجة ستكون مخالفة لهذا كثيراً. فسيكثر عدد [د] الفاحصين لكم، وقد كنت أنا حتى الآن الذى منعهم من ذلك، على غير ما كنتم تتصورون، وهم سيكونون أصعب وأصعب بقدر شبابهم، وسيكون غيظكم أعظم وأعظم. ذلك أنه إن كنتم تعتقدون أنكم بقتلكم الناس تكممون أفواه أولئك الذين يلومونكم على عدم الحياة حياة مستقيمة، فإنكم تكونون مخطئين فيما تظنون. فهذه الطريقة فى التخلص منهم لا هى بالفعالة كثيراً ولا هى بالجميلة، إنما الأجمل والأسهل، ليس إبعاد الآخرين، بل أن تهيؤا أنفسكم لأن تكونوا على أفضل ما يكون. على هذه التنبؤات إذن أترككم، أنتم يا من صوتم ضدى.

[هـ] أما هؤلاء الذين صوتوا بإطلاق سراحى، فإنه يلذ لى التحدث معهم بخصوص الأمر الذى حدث، فى الوقت الذى ينشغل فيه المسئولون، وحتى أقاد إلى المكان الذى يجب أن أموت عند الذهاب إليه. فأبقوا إلى جانبى حتى يأتى ذلك الحين، فليس هناك ما يمنع من أن نتبادل الكلمات طالما كان ذلك ممكنا. [٤٠أ] ذلك أننى أريد أن أبين لكم، كأصدقاء، كيف أتصور هذا الذى حدث لى اليوم. فقد حصل لى، أيها المواطنون القضاة[١٣٣]، وحينما أسميكم قضاة فإنى أسميكم بالتسمية الصحيحة، حصل لى شىء مدهش، فالصوت الإلهى المألوف كان يظهر دائماً وبتكرار كثير، حتى فى الحالات البسيطة، فى الوقت السابق على اعتزامى عمل شىء على نحو غير سليم، ليعارضنى. واليوم يحدث لى، كما ترون أنتم أنفسكم، شىء قد يرى البعض، بل إن هناك بالفعل من يعتقد، أنه أعظم الشرور. ولكن [ب] علامة الإله لم تأت لتعارضنى لا لحظة خروجى من المنزل هذا الصباح، ولا حينما صعدت هنا أمام المحكمة، ولا أثناء كلامى مهما يكن ما كنت أريد أن أقول. هذا على حين أنه أثناء أحاديث أخرى كثيرا ما كان يقطع كلامى فى منتصفه. أما اليوم فلم يعارضنى قط بشأن هذه المسألة لا فيما أفعل ولا فيما أقول. أى تعليل أراه إذن لهذا؟ سأقوله لكم: فيمكن أن يكون ما يحدث لى هذا خيراً، وأننا لسنا على حق فى رأينا [جـ] حينما نعتقد أن الموت شر. وعندى أن هناك برهاناً قويا على ذلك: فما كان يمكن للعلامة المعتادة ألا تأتى لتعارضنى إذا لم يكن ما كنت بسبيل عمله طيبا.

(١٣٣) هذه أول مرة يستخدم فيها سقراط هذا الاسم فى مخاطبته لأعضاء المحكمة.

ولنضع فى بالنا بهذا الصدد كذلك كيف أن هناك أملاً كبيراً في أن يكون هذا أمراً طيباً. فالميت يكون على أحد حالين: إما أن يصبح عدما ولا يكون له إحساس بأى شيء كان، وإما، بحسب ما يقال، أنه يحدث تحول وهجرة للنفس من هذا المكان إلى مكان آخر. وإذا كان الموت هو عدم الإحساس بأى شيء، [د] كما هو الحال فى النوم عندما ينام المرء ولا يرى أى شيء ولا حتى فى الحلم، فلكم سيكون الموت مكسبا مدهشا. وإنى لأعتقد أنه إذا كان لأحد أن يختار بين تلك الليلة التى ينام فيها بدون أن يرى أى حلم والليالى والأيام الأخرى من حياته نفسها، وإذا كان عليه، بعد المقارنة مع تلك الليلة، أن يقول بعد الفحص كم من الأيام والليالى عاشها فى حياته هو نفسه وكانت أفضل وأمتع من تلك الليلة، إن أى شخص عادى، بل الملك الكبير نفسه(١٣٤)، [هـ] سيجد أنه يسهل عدها بالمقارنة مع بقية الأيام والليالى. فإذا كان هذا هو الموت، فإنى أقول أنا إنه يعد كسبا، حيث إن كل الزمان لن يبدو أطول من ليلة واحدة. من جهة أخرى، فإذا كان الموت رحلة خارجية من هذا المكان إلى مكان آخر يكون فيه كل الموتى، إذا كان صحيحا ما يقال، فأى خير أكبر من هذا يمكن أن يتصور أيها المواطنون القضاة؟ ذلك

٤١ أنه إذا كان [٤١أ] الواصل إلى هاديس يتخلص من هؤلاء القضاة المزعومين ليجد قضاة حقيقيين، مينوس ورادامنتوس وإياكوس وتربتوليموس الذين، فيما يقال، يحكمون بالعدل هناك، وغيرهم من أنصاف الآلهة الذين كانوا عدولا أثناء حياتهم هم أنفسهم، فهل ستكون هذه الرحلة الخارجية بلا قيمة؟ وإذا كان المرء، من جهة أخرى، سيصاحب أرفيوس وموسايوس وهزيود، فمن منا لا يرغب فى ذلك مهما يكن الثمن؟ وأنا من جانبى أرغب فى الموت مرات عديدة إن كان هذا صحيحا، وما دمت [ب] سأستطيع أنا نفسى الدخول فى أحاديث رائعة كلما قابلت بالاميدس وإياس وتيلامون(١٣٥)، وغيرهم من القدماء الذين ماتوا بسبب حكم ظالم، مقارنا مصيرى بمصيرهم، وهذا، فيما أظن، لن يكون بغير متعة. ولكن المتعة الأعظم ستكون فى قضاء وقتى فى فحص وسؤال هؤلاء الذين من هناك، كما كنت أفعل مع الذين من هنا، بحثا عمن هم حكماء بينهم وعمن يعتقدون أنهم حكماء ولكنهم ليسوا كذلك. فمن لا يرغب، أيها المواطنون، مهما يكن الثمن، فى فحص ذلك الذى

(١٣٤) هكذا كان يلقب ملك الفرس، القوة السياسية العظمى فى ذلك الحين.

(١٣٥) معظم هؤلاء من سبق ذكرهم آلهة وشخصيات أسطورية.

قاد [جـ] الجيش الكبير أمام طراوده أو أوديسيوس أو سيزيفون أو آلاف غيرهم ممن يمكن ذكر أسمائهم من الرجال والنساء، والذين سيكون الحوار معهم ومصاحبتهم وفحصهم هناك سعادة لا توصف؟ وعلى أية حال، فإن هذا، لا شك، لن يكون سبباً للحكم على الناس بالإعدام! وليس الناس هناك أسعد فقط ممن هم هنا، بل إنهم كذلك منذ ذلك الوقت فصاعداً خالدون أبد الدهر، على الأقل إن كان ما يقال حول هذا صحيحاً(١٣٦).

وأنتم أيضاً، أيها المواطنون القضاة، يجب أن تكونوا على أمل قوى بإزاء الموت، وأن تعتبروا أن هناك شيئاً حقاً، وهو [د] أن رجل الخير لا يستطيع الشر أن يلحقه لا فى حياته ولا بعد مماته، وأن الآلهة لا تهمل أمره. وما يحدث لى الآن ليس وليد المصادفة، بل إنه واضح أمامي أن الموت منذ الآن، والتخلص من كل العلائق، هو الأفضل لى. ولهذا السبب فلم تظهر لى العلامة [الإلهية] فى أية لحظة، ولنفس السبب أيضاً فإننى لا أحمل فى قلبى ضغنا كبيراً ضد من صوتوا بإدانتى ولا ضد متهمي. هذا رغم أن من صوتوا بإدانتى ومتهمى لم تكن تدفعهم هذه الفكرة ذاتها، بل كانوا يعتقدون أنهم ملحقون بى الضر، [هـ] وهم على هذا مستحقون اللوم. والذى أطلبه منهم يقيناً هو أنه حينما يكبر أطفالى فعاقبوهم، أيها الأثينيون، بأن تقلقوهم كما أقلقتكم أنا، وذلك إن بدا لكم أنهم يعنون بالثروة أو بأى شيء آخر فوق عنايتهم بالفضيلة. وإذا بدا لهم أنهم شيء، بينما هم ليسوا كذلك، فلوموهم، كما فعلت أنا معكم، على عدم العناية بواجب العناية(١٣٧)، وعلى الاعتقاد أنهم شيء، بينما هم بغير قيمة. إن [٤٢أ] فعلتم هذا، فسأكون قد عوملت منكم بالعدل، أنا وأبنائى. **٤٢**

ولكن ها قد حانت الساعة للرحيل، أنا لأموت، وأنتم لتعيشوا. من منا يذهب إلى المصير الأفضل؟ الأمر غير واضح أمام الجميع، باستثناء الإله.

انتهت محاورة " الدفاع "

(١٣٦) سقراط لا يتخذ حتى النهاية موقفا حاسما بخصوص الخلود. انظر كذلك اخر عبارة فى المحاورة.

(١٣٧) وهو النفس.

محاورة " أقريطون"

أفلاطون . محاكمة سقراط

مقدمة « أقريطون »

هذه محاورة فريدة بين محاورات أفلاطون الأولى. فعلى حين أن معظم هذه المحاورات تحاول الإجابة عن سؤال: "ما هو كذا؟"، فإننا نجد "أقريطون" تحاول الإجابة عن سؤال عملى: هل يجب على سقراط أن يهرب من سجنه رغم إرادة الأثينيين؟ من جهة أخرى، فعلى حين أن كل هذه المحاورات تنتهى نهاية "سلبية"، بمعنى أنها لا تصل إلى العثور على إجابة مرضية عن السؤال الذى تبحث فيه، فإننا نجد محاورتنا تصل إلى نتيجة "إيجابية"، وتتمثل هذه الإيجابية فى اتفاق المتحاورين على ما انتهى إليه الفحص. هذه إذن محاورة فريدة بين محاورات الشباب لأفلاطون.

وهى أيضاً مؤلف هام كانت له مكانته عند المهتمين بسقراط وخاصة فى الحضارة الغربية، حيث إنها هى التى تشكل، مع "الدفاع"، الصورة التى يكونها الطالب والقارئ هناك عن سقراط، وكأنها وضعت لتؤثر فى النفس وليبقى أثرها فى الذهن طويلا، وذلك بما لها من خصائص البساطة والإيجاز، وبما تقدمه من مفارقة شديدة بين هدوء سقراط البالغ وانفعال صديقه أقريطون. وسقراط يظهر هنا رجل المبدأ والشرف، رجل الاتساق مع النفس، فكراً وماضياً، وهو اتساق يصل به إلى حد التضحية، وما أقربه هنا إلى الشهداء.

وإذا كان من المؤكد أنها محاورة "سقراطية" قلباً، فإننا لا نتردد مع ذلك فى قول إنها أفلاطونية قالباً. فشكل المحاورة وترتيب خطواتها نجده فيها وفى الغالبية الساحقة من محاورات أفلاطون ككل. وهذا الشكل، وهو فنى وفلسفى معاً، لا يمكن أن ننسبه إلا إلى قلم أفلاطون حتى على فرض قبول أنه تأثر فى هذا بمناقشات سقراط التاريخى، ولكن لما كنا لا نملك الوصول إلى يقين عن "شكل" تلك المناقشات، فالآمن هو أن ننسب شكل الحوار إلى كاتبه، وهو أفلاطون. بل هناك ما هو أكثر من ذلك. فليس ثمة دليل على أن هذا هو ما قال سقراط بالفعل فى سجنه، وليس من دليل على أنه قابل فى تلك الساعة من الصباح صديقه أقريطون، وليس من دليل على أن أقريطون هو الذى قدم إليه اقتراح الهرب، ولا إذا كان قد قدمه باسمه هو أم باسم رفقاء سقراط وتابعيه والمعجبين به. وإنما كل ما نملك أن

نقول هو أن ما يوضع هنا على لسان سقراط كان يمكن له أن يقوله بالفعل، ولعله قال شيئاً مقارباً من هذا. أما أقريطون فربما لا يكون هنا إلا المتحدث باسم أصدقاء سقراط. وربما يكون أفلاطون قد لجأ إلى اختيار هذه الشخصية وحدها لدوافع فنية، أهمها أن الحوار يكون عادة بين شخصين، كما أن تركيز الحوار بين سقراط وشخص واحد أدعى إلى التأثير ويناسب وقت الحوار وهو قبيل ظهور الشمس، ولعله اختار أقريطون وليس شخصاً آخر لمقاربته سقراط فى السن ولصداقته الحميمة له منذ وقت بعيد ولثرائه. وهكذا فإن المحاورة سقراطية قلباً ولكنها أفلاطونية قالباً.

وقبل الحديث عن مضمون المحاورة فلسفياً يحسن أن نتحدث من الآن عن موضوعها الأول، لكى لا نقول "الظاهرى"، ألا وهو هروب سقراط من السجن بين عرض أقريطون ورفض سقراط. الأرجح أن خصوم سقراط لم يكونوا يقصدون أن يصل الأمر إلى حد إعدام سقراط، بل لعل هدفهم كان إسكاته فقط، ولا شك أن نفيه من أثينا كان الحل المثالى من وجهة نظرهم. ومن هنا فإننا يمكن أن نظن أنهم، بعد أن تطور الأمر بحيث صدر الحكم بالإعدام، كانوا سيسعدون بهرب سقراط من السجن وبمغادرته للمدينة وبلجوئه إلى مدينة أخرى، وكانوا سيغمضون العيون عن ذلك حتى يتم. ومن جهة أخرى فإن الهرب من السجن لم يكن، كما يبدو من المحاورة نفسها، شيئاً مستحيلاً، وكان يمكن أن يتم بمساعدة الحراس أنفسهم بعد دفع المال إليهم رشوة. ومن المؤكد أن أصدقاء سقراط، وفى مقدمتهم أقريطون، كانوا يفكرون فى مساعدته على الهرب، ومن المحتمل أنهم أعدوا للأمر عدته بحيث لم يعد باقياً من أجل تنفيذ خطتهم إلا موافقة سقراط نفسه. ماذا كانت الاعتبارات التى يكون هؤلاء قد اعتمدوا عليها ليعرضوا عليه الهرب؟ هناك اعتبار مثل إنقاذ سمعة هؤلاء الأصدقاء الذين كان يمكن أن يتهمهم العامة بأنهم تخاذلوا عن مساعدة صديقهم (٤٥هـ)، وهناك آخر من مثل أطفال سقراط الذين لا يزالون فى حاجة إلى رعايته (٤٥د)، ولكن هناك على الخصوص اعتباراً ثالثاً لعله كان الأول عند أشخاص مثل سيمياس وكيبيس من مدينة طيبة، وكانا من المعجبين بسقراط (وهما اللذان يحاورانه فى محاورة "فيدون" التى تصف ساعاته الأخيرة فى السجن قبل تناوله السم)، ألا وهو أن الحكم الذى صدر ضد سقراط كان ظالما، فسيكون إذن لسقراط أن يهرب وهو مطمئن الضمير.

وأقريطون يصل فى المحاورة (٤٥جـ) إلى حد قول إن سقراط إن رفض الهرب فإنما سيساعد بهذا أعداءه على تنفيذ خطتهم التى ترمى إلى القضاء عليه (ونلاحظ أن أفلاطون يعرض هنا وجهة نظر تعارض فرضاً عرضناه منذ قليل، ولعل أفلاطون يقصد بعض متهمى سقراط وخاصة مليتوس[1]). وهو يحاول أن يزيل اعتراضات ممكنة من جانب سقراط، منها مثلا اعتبار فقره، ولكنهم جميعاً مستعدون لدفع المال اللازم، وهو نفسه يضع كل ثروته تحت تصرف سقراط، ومنها أنه قد لا يدرى أين يذهب خارج أثينا، فيؤكد له أقريطون أنه أينما ذهب فسيكون هناك من يحسن استقباله، وخاصة فى تساليا حيث لأقريطون أضياف سيعرفون كيف يحمون سقراط ويقدرونه (٤٥ب - جـ)، أخيراً فإذا كان يظن أن أصدقاءه الأثينيين قد يصيبهم بعض الضر أو المضايقة من جانب السلطة التى ستتهمهم بمساعدته على الهرب وتعاقبهم على ذلك، فإن عليه أن يطمئن، فالدرهم ساحر خبير، وعلى كل شيء قادر. هذه هى الاعتبارات التى يدفع بها أقريطون، وهو يغلفها بغلاف أخلاقى زائف حين يقول إن هذا هو ما سيختاره أحسن الرجال وأشجعهم، وخاصة إذا كان ممن يراعون الفضيلة طوال حياتهم كسقراط (٤٥د)، ومشيراً كذلك إلى "العار" الذى سيلحق بأصدقاءه، وإلى "الشر" الذى سيحل به.

كيف سيرد سقراط؟ بعد "خطبة" أقريطون الطويلة والمليئة بالحرارة، تلقى كلمات سقراط الأولى بالهدوء إلى روع أقريطون وروع القارئ: حماس أقريطون عظيم، ولكن قيمته ستعظم لو كان مضافاً إليه "الاستقامة"، أما بدونها فإنه سيكون مجلبة للأسف. والواجب هو أن نفحص ما إذا كان علينا أن نسلك هذا السلوك أم لا (٤٦ب). بعبارة أخرى فإن الأساس ليس هو التلقائية والتقليد بل عكسهما تماماً: الفحص والتعقل. وعلى هذا يعارض سقراط مرجع أقريطون الأخلاقى الذى كان "أحسن الرجال وأشجعهم" (فى نظر مرجع أقريطون الأخلاقى الذى كان "أحسن الرجال وأشجعهم" فى نظر العامة) بالرجال الذين لا يتكلمون فى الهواء، الذين يقولون شيئاً مفيداً، أى شيئاً ذا مغزى ويقاوم الهجوم (يقول النص اليونانى حرفياً: "الذين يعتقدون أنهم يقولون شيئاً"، ٤٦د)، باختصار أولئك الذين يمثلون العقل، ولما

(١) فى "الدفاع" (٣٧جـ) يعلق سقراط نصاً على اقتراح النفى: "وربما يكون هذا هو بالفعل ما قد تقترحونه علىَّ [كعقاب]"، مما يؤيد فرضنا نحن.

كان العقل لا يعرف الانفعال، فإن سقراط يعود ليؤكد على ضرورة الهدوء. وفى سخرية هادئة يطلب من أقريطون أن يكون هو الحَكَم، لأنه ليس فى موقف من سيموت بعد قليل، ولهذا فإن قدرته على الحكم ينبغى أن تكون سليمة (١٤٧أ). ثم يقدم سقراط الأسباب التى تجعله يرفض الهرب من السجن، وتجعله يفضل الرضوخ لحكم الأثينيين حتى ولو كان ظالماً. فى مقدمة تلك الأسباب وأهمها أنه لا يجب رد الظلم بالظلم، ففعل الظلم شر فى كل الحالات حتى لو كان ذلك رداً لظلم يقع عليك. كذلك، فإن سقراط ملتزم بقوانين المدينة وعليه أن يطيعها حتى النهاية - هذان هما السببان الرئيسيان لقرار سقراط: سبب أخلاقى وآخر "مدنى" أو "وطنى"، وسنعود إليهما عند الحديث عن الأخلاق وعن موقف سقراط من المدينة.

وإذا كان هذان السببان يكوّنان الجانب الإيجابى من اعتبارات سقراط، فإنها تحوى أيضاً جانباً سلبياً، ذلك أنه حتى إذا هرب، فإن حساب النتائج ليس إيجابياً، لا فيما يخصه ولا فيما يخص أصدقاءه ولا فيما يخص المدينة وقوانينها. فإن حدث وهرب، فأين سيذهب؟ لن تقبله المدن ذات القوانين الحسنة وستطرده كمخرب لقوانين مدينته ذاتها وخشية أن يخرّب قوانينها هى الأخرى. ولا يرضى سقراط أن يذهب إلى تساليا حيث أضياف أقريطون، فهى بلد المجون والإباحية، وسيكون هناك تسلية لأهلها وموضعا لمزاحهم، وسيكون عليه أن يتحملهم مهما قالوا فى حقه من أقوال تهين وتحط من شأنه. أما عن أطفاله: فهل سيأخذهم معه إلى منفاه ليصبحوا "غرباء" ولا يكون لهم حق المواطنة؟ وهل يظن أن أبناءه سيحمدون له فعلته هذه؟ أم يبقيهم فى أثينا فى رعاية أصدقائه؟ ولكن هذا هو نفسه ما سيحدث إن هو أطاع حكم المحكمة واحترم القوانين. فسقراط إذن لا يجنى شيئا فى هذه الحياة من الهرب، ولا حتى فى الحياة الأخرى: فهو فى هذه الحالة سيصل إلى هناك مرتكبا الظلم، ولن تحسن آلهة القوانين استقباله. وفيما يخص أصدقائه فمن المؤكد أن أضرارا ستصيبهم فى أموالهم وفى أشخاصهم، من جراء مساعدتهم له على الهرب. أما عن الإساءة إلى المدينة وإلى قوانينها فإنه أمر واضح ولن يُغفر له لا فى هذه الحياة ولا فى الأخرى. هذا هو ما ينتهى إليه تدبر الأمر، وما يقول به العقل. فلن يهرب سقراط إذن، وسيبقى فى موضعه منفذاً حكم الأثينيين.

ونتحدث الآن عن الأفكار والمبادئ الفلسفية التى تعرضها المحاورة، وذلك على الترتيب التالى: الأخلاق، المعرفة والسلوك، ثم سقراط والمدينة.

المعروف أن للمحاورات الأفلاطونية عناوينها التى وضعها أفلاطون، ولكن لها كذلك عناوين فرعية وضعها مصنفو المحاورات الذين قسموها إلى "أنواع". وهكذا فإلى جانب عنوان "أقريطون" نجد عنوان "فيما يجب فعله" أو "عن الواجب"، ونجد كذلك: "من النوع الأخلاقى". ولم يخطأ المصنفون فى حكمهم هذا، لأن المحاورة تبحث فيما ينبغى أن يفعل فى موقف معين، وهى تتعرض لمشكلة السلــوك الأخلاقى بصفة عامة. ذلك أنه ينبغى أن نؤكد على أن هرب سقراط أو بقاءه ما هو، فى نظر المحاورة ذاتها، إلا حالة فردية تخضع للفحص، وذلك على ضوء مبادئ عامة، بحيث إن الحوار سرعان ما يرتفع من جزئية من جزئيات السلوك إلى العموميات التى يجب أن تحكم كل القرارات الأخلاقية. وأفلاطون حريص كل الحرص على إبراز هذا الموقف، ويعود إليه مرة ومرة. ففور أن يفرغ أقريطون من عرضه، أو من "خطبته" إن شئنا، يسرع سقراط بالتأكيد على أن الحجج والمبادئ (logoi) التى قال بها فى الماضى لا يمكن له أن يلقى بها الآن أرضا لأن نازلة نزلت به، بل هى تبدو له ثابتة لا تزال هى هى أو تكاد، وهو يبقى على احترامها وعلى الولاء لها كما كان الحال فى الماضى (٤٦ب – جـ). فلن يغير وضعه الخاص الآن من مواقفه الفكرية والأخلاقية التى أخذ بها طوال حياته السابقة. وهكذا يعارض سقراط الحالة الجزئية بالمبدأ العام الذى يجب أن تكون له صفة الدوام والثبات. فهل سيغير خطر الموت من حقيقة المبادئ التى كان قد ارتضاها لنفسه، أم أنه كان فى كل حياته الماضية يتحدث عنها حديث مزاح وثرثرة؟ (٤٦د). وهل كان سقراط وأقريطون كالأطفال طوال حياتهما لا يدرون عم يتحدثون؟ (٤٩ب). كلا، بل لا يزال سقراط يعتبر هذه المبادئ حقيقية أمس واليوم، ويوافقه أقريطون على ذلك (٤٩د – هـ).

ما هى هذه المبادئ؟ هى أربعة عددا.(١) أولها وأعمها يتعلق بسؤال له خطره: ما هو مصدر القيم الأخلاقية؟ وفى محاورتنا يوضع هذا السؤال وضعا أدق: هل الجمهور، أو الكثرة، أو "الرأى العام"، هو مصدر القيم؟ أقريطون يبدو وكأنه لا يخشى شيئاً قدر خشيته لرأى العامة، للرأى العام، يخشاه لما قد يقوله عن تفضيله لماله على صداقته مع سقراط إن هو لم يعرض مساعدته لهرب الفيلسوف، يخشى "السمعة" السيئة له ولأصدقائه إن هم ظهروا وكأنهم تقاعسوا عن إخراج سقراط من السجن (٤٤ب – جـ). فالعامة أو الكثرة عنده قادرة على كل شيء،

وعلى فعل الشر، بل وعلى ارتكاب أكبر الشرور، وهو الحكم بالموت فى نظر أقريطون (٤٤د). أما سقراط فإنه لا يهمه أمر الكثرة مهما فعلت ومهما هددت بالسجن أو التعذيب أو مصادرة الأموال (٤٦جـ)، بل هو يشك فى أنها قادرة على فعل الشر، لأن القادر على فعل الشر قادر على فعل الخير ما دام يقصد ذلك قصداً[٢]. أما العامة فإن كل ما تفعل إنما هو نتيجة للمصادفة، تماماً كما يحدث فى نظام القرعة الذى تختار به فى النظام الديمقراطى الأثينى حكامها. فالمبدأ إذن لا يجب أن يكون اتباع آراء الكثرة، لأن هناك آراء يجب أن تتبع وأخرى يجب أن ترفض (٤٦د – هـ). إنما الآراء أو الأحكام التى يجب أن تتبع هى آراء أصحاب العقل، أى العقلاء والحكماء (٤٧أ). ومن هم هؤلاء إن لم يكونوا "المتخصصين" فى مسائل العدل والظلم، الجمال والقبح، والخير والشر؟ (٤٧ب). إن الواجب علينا أن نرفض رأى الكثرة وأن نتبع حكم المتخصص حتى ولو كان فرداً واحداً (٤٧د). ذلك أن هذا الفرد المتخصص، الحكَم الوحيد، إنما يعبر عن الحقيقة ذاتها (٤٨أ). ويحس القارئ لهذه الصفحات أن ذلك الحكم الفيصل، ذلك الفرد المتخصص فى شئون الخير والشر، إنما هو سقراط نفسه، هو سقراط بقدر ما أنه يعبر عن العقل وعن إلزامه (انظر ٤٨جـ). ولا يغفلن أحد عن خطورة هذا المبدأ الذى تتبعنا درجاته من رفض لرأى الكثرة إلى فكرة "الرجل الحكيم" إلى فكرة "المتخصص" إلى فكرة "الحقيقة" التى مصدرها العقل، فهو يتضمن ضربة قاصمة للنظام الديمقراطى الأثينى كله القائم على حكم الكثرة أو الأكثرية (أى حرفيا باليونانية "الديمقراطيا")، ومعارضته بحكم المتخصص، أى الفيلسوف فى النهاية، ولو كان فرداً وحيداً، وهى الفكرة التى سنجدها فى أساس النظام السياسى فى محاورة "الجمهورية".

(٢) المبدأ الثانى هو أن المهم عندنا يجب أن يكون، ليس مجرد الحياة، بل الحياة الطيبة أو الخيِّرة (٤٨ب)، أى الحياة القائمة على القيم الأخلاقية المقبولة.

(٣) المبدأ الثالث هو أن الخير والجمال والعدل شىء واحد ونفس الشىء (٤٨ب).

---

(٢) هذا مبدأ أفلاطونى هام نجده على الأخص فى محاورات الشباب ويحتاج إلى بحث متعمق، ولكن الظاهر أنه يقصد به أن المتخصص قادر على الشىء وضده، لأنه يعرف كل شىء عن موضوعه (انظر مثلا محاورة "هيباس الصغرى").

(٤) إذن، فلما كان الأهم هو الحياة الخيرة، ولما كان الخير والعدل شيئاً واحداً، فإنه لا يجب بحال أن نرتكب الظلم، وهذا هو المبدأ الرابع (٤٩أ ، ب). فمهما تقل العامة ومهما يحل بنا، فإن الظلم سيظل فى كل الحالات شراً وعاراً، ويجب البعد عنه وتجنب ارتكابه، حتى ولو كان الظلم قد حل بنا نحن أنفسنا. إذن، فلن نرد على الصفعة بالصفعة، لأنه ليس مسموحاً بارتكاب الظلم على أى نحو حتى فى حق من يسيئون إلينا.

هذا المبدأ الأخير هو المبدأ الأساسى فى محاورتنا، وما سبقه من مبادئ كان تمهيداً وإعداداً له، وعلى أساسه سيتم فحص الحالة الخاصة المعروضة (٤٩هـ – ٥٠أ). وسقراط وأفلاطون على وعى بأن كثيرين لا يقبلون هذا المبدأ، ويضيف أفلاطون: وسيكون هناك دائماً كثيرون يرفضونه. ورغم هذا فإن التعارض مطلق بين ارتكاب الظلم وعدم ارتكاب الظلم، ويجب عليك أن تختار بينهما ولن تختار إلا جانباً واحداً فقط. وما من شك أننا هنا (٤٩جـ – هـ) أمام إحدى قمم المحاورة التى تبرز إلزام المبدأ الأخلاقى وإطلاقه وعموميته. كذلك فإن هذا الجزء يبين أن فضيلة العدل تحتل مكان المركز بين القيم الأخلاقية عند سقراط وأفلاطون، والإشارات كثيرة إليها (انظر على الخصوص ٤٩ب، ٥١ب – ٥٤ب، وغير ذلك).

هذه هى المبادئ الأخلاقية التى يمكن القول إنها تكوّن الهيكل الفلسفى للمحاورة، وعلى ضوئها يبدأ سقراط وأقريطون فى فحص ما إذا كان عدلا الهرب من السجن أم لا (٥٠أ)، ويعود أفلاطون إليها مرة أخرى ملخصا لها فى نهاية الحوار (٥٤ب –جـ). ومكانها هذا الهام ليس مصادفة، وإنما هو ترجمة لأحد أعمدة النظرية السقراطية (والأفلاطونية من بعدها، وهى وريثتها) فى الأخلاق، ألا وهو أن المعرفة أساس السلوك. وقد رأينا هذا المبدأ فى التطبيق أثناء حوار سقراط ورجل الدين فى محاورة "أوطيفرون"، ولنرجع مرة أخرى إلى نهاية تلك المحاورة لنجد سقراط يريد أن يعتقد أن أوطيفرون لا يعرف جيد المعرفة ما هى التقوى، وإلا لما وصل به الأمر إلى حد اتهام أبيه بالقتل. أما هنا فإن إرساء المبادئ النظرية المذكورة سابقاً هدفه إيضاح أسس السلوك قبل اختيار القرار الذى لا يتم إلا بعد الفحص العقلى. وهناك إشارة إلى هذا الأساس أثناء بحث مصدر القيم الأخلاقية هل هو الجمهور أم العقل، وذلك حين يتساءل سقراط، كما ألمعنا:

هل ما كانوا يتحدثون عنه من مبادئ لم يكن إلا على سبيل السمر؟ بعبارة أخرى: هل الفكر سيكون أساس السلوك ويكون هو ما نطيع، أم أنه سيكون ترفا زائدا؟ (٤٦د، ٤٩أ – ب). وبعد أن يتفق المتحدثان على المبادئ الأربعة، يقول سقراط: والآن فلنر نتائج هذا، ولنفحص إن كنا سنرتكب شراً بالخروج من السجن بدون موافقة المدينة. ونجد هذا النص الهام: "إذا وافق إمرؤ شخصا ما على أن شيئاً ما عدل، فهل سيكون واجبا عليه أن يفعله، أم هو سيتخلى عن كلمته؟"، فيجيب عليه أقريطون: "بل يجب عليه أن يفعله" (٤٩هـ، وانظر كذلك ٤٦ب). وهكذا فإن هناك اتصالا مباشراً بين المعرفة والسلوك، بعبارة أخرى: الفكر ملزم بالعمل.

ونأتى الآن إلى تحديد موقف سقراط من المدينة كما تعرضه هذه المحاورة. فى نص يجب أن يسترعى الانتباه (٥٤ج)، تقول القوانين لسقراط: إن الذى أدانك ليس نحن، القوانين، بل هم البشر. فيجب أن نميز فى مفهوم المدينة بين هذين العنصرين. ولكننا نجد نصا آخر (٥١ب – جـ) يخبرنا أن المدينة هى التى حكمت على سقراط بالإعدام، وأن كل ما كان يستطيع أن يفعله هو أن يحاول إقناعها، وإلا فعليه أن يتحمل كل ما تأمر به، ولأن العدل يريد ذلك. فهذا النص يميل بمفهوم المدينة إلى ناحية مفهوم "الدولة". ويبدو أن الإشارتين ليستا على اتساق واضح، ويظهر نفس الغموض أيضاً بصدد موقف سقراط من أثينا. فالمحاورة تخبرنا أن سقراط كان يحب مدينته (٥٢أ وما بعدها)، والدليل على هذا هو أنه لم يكد يغادرها، ولم يرغب فى رؤية مدينة أخرى أو قوانين أخرى، ولكنها تخبرنا أيضاً، وفى نص تعيد فيه هذا القول (٥٢هـ – ٥٣أ)، أن سقراط كان يمدح فى كل وقت قوانين إسبرطة وكريت، أى أنه كان يمدح فى النهاية هاتين الدولتين، فإذا تذكرنا أن إسبرطة كانت هى عدوة أثينا اللدودة، وعدوة نظامها الديمقراطى على الأخص، ظهر لنا أنه من الصعب تحديد طبيعة تعلق سقراط بأثينا.

ولكى نحاول الخروج من هذا المأزق، يفضل أن نضع السؤال على الوجه التالى: ما هى طبيعة الإلزام الذى يمنع سقراط من الهرب؟ وعلى الأخص: بإزاء من يكون هذا الإلزام؟ والذى يبدو لنا أن سقراط ملتزم قبل كل شىء أمام القوانين التى لم يرفضها وقبل السير عليها، وبتعبير أدق: هو ملتزم بإزاء التزامه بها. فى كلمات أخرى: سقراط لا يهرب لأنه يريد أن يظل متسقا مع نفسه، أى مع عقله،

ولو هرب لحطم القوانين، وكان قد قبل سلطتها. فالأساس فى سلوك سقراط إذن إنما هو مبادؤه الأخلاقية هو نفسه. ولماذا نذهب بعيداً فى التدليل ولدينا نص صريح يقول: "إننى، طيلة حياتى كلها، وليس اليوم فقط، لا أطيع شيئاً آخر فى غير الحجة التى تبدو لى الأفضل بعد التأمل"؟ (٤٦ب). فهو يفعل ما يفعل ليس بإملاء عاطفة ما، ولكن نتيجة لإلزام عقلى يوجه كل سلوكه الأخلاقى حتى فى لحظات المحنة.

ومن هنا فإننا نستطيع أن نقدم تفسيراً "لتشخيص" القوانين (انظر ٥٠أ) الذى يميز هذه المحاورة، والذى كان من أسباب شهرتها وتأثيرها. فالكثيرون يأخذونه على أنه حيلة أدبية من أفلاطون لتأكيد تأثير الحجج التى يقدمها على لسانها، وبالفعل فإن لظهورها تأثيراً فنياً على القارئ، ويمكن النظر إلى الأمر نظرة أدبية. ولكن الجوهرى ليس هنا. إنما هذه الفقرة الطويلة (٥٠- ٥٤) تعبير عن مداولة سقراط مع نفسه، أى هى حواره هو ذاته مع عقله. ويبدو أن أفلاطون يصرح لنا صراحة بالأخذ بهذا التفسير: فالعبارات الأخيرة فى الحوار تقول: "هذا هو ما أعتقد أننى أسمعه، كما يعتقد المجذوبون الذين يخرجون عن وعيهم أنهم يسمعون موسيقى الناى. إن صوت هذه الكلمات يهدد ويطنطن فى داخلى ويجعلنى غير قادر عل سماع شيء آخر". وليس أصرح من هذه العبارات فى دلالتها على أن الحجج التى تعرضها القوانين إنما هى أفكار سقراط تلح وتلح عليه حتى لتصبح أقرب ما تكون إلى الوسوسة. ومن جهة أخرى فإن هذه الطريقة فى تخيل شخصية أخرى تقوم بالحوار إلى جانب سقراط ومحاوره، ولكنها تعبر فى الحقيقة عن رأى سقراط نفسه، لا نجدها فقط فى محاورتنا هذه، بل وفى محاورات أخرى. فأفلاطون يستخدمها فى محاورة "هبياس الكبرى" مثلا وفى غيرها. وكثيراً ما يقول سقراط فى معظم المحاورات، بعد أن يكون الحوار قد وصل إلى موقف حرج: انظر لدىَّ فكرة، أو: سمعت أحدهم يقول، أو: رأيت فيما يشبه الحلم أن ... (انظر كذلك "أوطيفرون"، ١١هـ). وسنلاحظ أن القوانين تظهر على المسرح بعد وصول المحاورة إلى لحظة الارتباك (فى ٥٠أ يقول أقريطون: "أنا لا أستطيع الإجابة عن سؤالك يا سقراط، فأنا لا أفهمه"، وبعد ذلك مباشرة تظهر القوانين مشخصة"). وهكذا فليس تشخيصها بحيله أدبية، ولا هو "بتعويذة" كما رأى البعض، وإنما هو

تطبيق لإحدى طرائق الحوار الفلسفى الأفلاطونى، وهو مالا يمنع أن يكون له فى هذه المحاورة، وفى هذا الموقف بالذات، تأثير أدبى كبير.

فهذا إذن اعتبار آخر يرجع بنا إلى ما قلناه من أن المحاورة سقراطية قلبا ولكنها أفلاطونية قالباً. وهذا يثير من جديد "تاريخية" المحاورة. فهل هذه الاعتبارات هى التى حدت بالفعل بسقراط التاريخى إلى اتخاذ موقفه هذا؟ لا زلنا نرى أنه من الصعب جداً بل من المستحيل اليوم وغداً الإجابة عن هذا السؤال.

« أقريطون »

(أو : عن الواجب)

شخصيات الحوار: سقراط ، أقريطون

٤٣ [٤٣أ] سقراط: ماذا أتيت تفعل هنا[١]، يا أقريطون، وفى هذه الساعة؟ ألا يزال الوقت مبكراً على انبلاج الصباح؟

أقريطون: هذا صحيح.

سقراط: كم الساعة على التقريب[٢]؟

اقريطون: النهار على وشك البلوج.

سقراط: إنى أتعجّب كيف رضى حارس السجن أن يستجيب لك.

أقريطون: هو تعود علىّ بالفعل، يا سقراط، بسبب رؤيته لى كثيراً هنا، كذلك فإنه يصيبه بعض الخير على يدى.

سقراط: هل وصلت اللحظة أم منذ مدة؟

أقريطون: منذ مدة طويلة إلى حد ما.

[ب] سقراط: فلم لم توقظنى على الفور بدل أن تجلس إلى جانبى فى صمت؟

أقريطون: لا، وحق زيوس، يا سقراط، فما كنت لأرغب لنفسى أن أوقظ مبكراً على هذا النحو ليتلقفنى الحزن. أما أنت، فإنى أعجب بك منذ وقت بعيد حيث أراك وأنت تنام باستمتاع[٣]. ولقد قصدت قصداً ألا أوقظك حتى تمضى وقتاً فى أكبر متعة ممكنة. وكثيراً ما غبطتك، فيما سبق من كل حياتك، على مزاجك السعيد، وأغبطك الآن أكثر وأكثر وأنت تواجه هذا الخطب المؤلم الذى يحل بك، ولكم تتحمله فى يسر ولطف!

---

(١) مكان الحوار هو السجن. عن شخصية أقريطون، انظر المقدمة.

(٢) وهو معنى أرجح من "على الدقة".

(٣) أى ينام نوما طيبا، وفى هذا متعة. ولهذا فإن أقريطون لم يوقظه، ولو كان أيقظه فإن تلك المتعة كانت ستنقطع ويحل محلها الوعى بأحزان السجن (فيما يتصور أقريطون).

سقراط: ذلك أنه لا يليق بى يا أقريطون، أن أثور، إذا كان يجب علىّ أن أموت من الآن، وأنا على ما أنا عليه من العمر(٤).

[جـ] أقريطون: إن هناك غيرك، يا سقراط، ممن لهم نفس عمرك، وممن تدهمهم نفس المصائب، ولكن سنهم لا يمنعهم من أن يثورا على ما يحل بهم من قدر(٥).

سقراط: هو هكذا. ولكن ما الذى أتى بك والصباح مبكر هذا البكور؟

أقريطون: لأحمل إليك خبراً مؤلماً، ليس لك يا سقراط(٦)، بحسب ما أعتقد، ولكن لى ولكل صحابك الآخرين، نعم مؤلم ومضن، وليس هناك، فيما أعتقد، من يتحمله بألم أكبر من ألمى(٧).

سقراط: ما هو هذا الخبر؟ هل هو أن السفينة التى يجب أن [د] أموت عند وصولها قد وصلت من ديلوس(٨)؟

أقريطون: هى لم تصل بعد، ولكنى أعتقد أنها ستصل اليوم بحسب ما يعلنه بعض القادمين من صونيوم، والذين تركوها هناك. ومن الواضح بحسب ما يقولون أنها ستصل اليوم، وبالضرورة يا سقراط فسيكون غداً هو اليوم الذى توفى(٩) فيه حياتك.

سقراط: يا للحظ الطيب، يا أقريطون. فإن كانت الآلهة تحب ذلك، فليكن ما تريد. إلا أننى لا أظن أنها تصل اليوم.

[٤٤أ] اقريطون: وعلام يقوم تخمينك؟

سقراط: سأقوله لك. يجب أن أموت فى اليوم التالى على وصول السفينة.

---

(٤) هذه الإجابة قد تكون عضداً، من جهة ما، للرأى القديم القائل بأن سقراط رغب فى أن يعدم فى هذه الظروف حتى يتخلص من الام الشيخوخة.

(٥) الكلمة اليونانية tukhê تعنى كذلك "النصيب"، و"الحظ"، وهذا المعنى الأخير نجده فى ٤٣هـ ٧.

(٦) لأن سقراط، كما رأينا فى الدفاع، وكما سنرى هنا، لا يبالى بالموت.

(٧) بسبب تعلقه الشديد بسقراط وصداقته الطويلة له.

(٨) حول هذه السفينة، انظر "فيدون"، ٥٨أ - جـ.

(٩) وفى الشيء تم، وأوفى أتم. وهذا الفعل هو أدق ترجمة لليونانى teleutân، الذى يعنى ينهى ويكمل ويصل إلى الغاية أو النهاية.

أقرطون: هذا يقيناً ما يقوله المسئولون عن الأمر.

سقراط: لهذا اعتقد أن السفينة لن تصل فى اليوم الذى يأتى بل فى اليوم التالى، وأنا أخمن ذلك بناء على حلم رأيته منذ قليل هذه الليلة. وربما كان من المناسب أنك لم توقظنى.

أقريطون: وماذا كان هذا الحلم إذن؟

سقراط: تهيأ لى أن امرأة جميلة حسنة الهيئة، [ب] مرتدية ملابس بيضاء، تقترب منى وتناديني وتقول:

"يا سقراط: أيام ثلاثة وإلى فيثيا الخصبة تأتى"(١٠).

أقريطون: غريب حلمك يا سقراط.

سقراط: بل واضح ، بحسب ما أرى، يا أقريطون.

أقريطون: جداً، على ما يبدو. ولكن يا سقراط العجيب(١١)، بقيَت هذه المرة لتستمع إلىّ وتنقذ نفسك. فأنت إذا مت فإن هذا لن يعنى لى مصيبة واحدة فقط، بل إلى جانب فقد هذا الصاحب الوفى الذى لن أجد أبداً مثيله، فإن كثيرين(١٢) ممن لا يعرفوننا حق المعرفة، لا أنا ولا أنت، سيظنون [جـ] أنه كان بمستطاعى إنقاذك لو كنت رضيت بأن انفق من مالى ولكنى ما اهتممت. فهل هناك ما هو مجلبة للعار أكثر من هذه السمعة التى تجعل الناس يعتقدون أن المرء يضع ماله فوق أصدقائه(١٣)؟ ذلك أن الأغلبية لن تقتنع بأنك أنت نفسك الذى رفضت الخروج من هنا، بينما كنا نحن نحضك على ذلك.

---

(١٠) هذا الشعر مصدره "الإلياذه" لهوميروس، ويقوله أخيل لأجاممنون أثناء حصار طرواده. و"فيثيا" اسم قديم لإقليم تساليا أو منطقة منه، وهو إقليم أخيل. وحول حلم آخر لسقراط، انظر "فيدون"، ٦٠هـ.

(١١) أقريطون لا يصبر على حديث الحلم لأنه يتحرق رغبة إلى الإفضاء بما على قلبه من أجل حمل سقراط على الهرب.

(١٢) أقريطون يخاف كلام الناس أكثر ما يخاف. ويظهر ابتداء من هنا مفهوم "العامة" أو "الجمهور" الذى سيسطر على النصف الأول من المحاورة.

(١٣) مكانة الأصدقاء فى الأخلاق اليونانية عظيمة، وهذا طبيعى بسبب طبيعة تكوين المدينة اليونانية وقلة عدد سكانها وأهمية "الفراغ" عندهم. ومن المبادئ التى تتكرر كثيرا: "كل شىء مشترك بين الأصدقاء".

سقراط: ولكن لم تعنى كل هذه العناية، يا أقريطون السعيد، برأى الكثرة؟ إن أكثر الناس اعتدالا، وهم الذين يجب أن نهتم بهم أكثر من غيرهم، سيعتقدون أن الأمور سارت على النحو الذى كان عليها أن تسير عليه.

[د] أقريطون: ولكنك ترى يا سقراط أنه من الضرورة أن تعنى برأى أغلبية الناس. فما يحدث الآن يبين بذاته وفى وضوح كيف أن الكثرة قادرة ليس فقط على إلحاق الشر الطفيف بل وكذلك ما يكاد يكون أعظم الشرور، إذا ما وضع المرء موضع الافتراء عندها.

سقراط: ألا شاءت السماء، يا أقريطون، أن تكون هذه الكثرة قادر على صنع أعظم ألوان الشرور حتى تكون قادرة على القيام بأعظم ألوان الخير(١٤)، وسيكون هذا أجمل ما يكون. ولكن الواقع أنهم ليسوا بقادرين لا على القيام بهذا ولا بذاك: فما هم بقادرين على جعل إمرء عاقلا أو عديم العقل، أما ما يفعلون فإنهم يفعلونه بحسب الصدفة.

[هـ] أقريطون: فلنفرض فرضاً أن الأمر كذلك، وأجبنى الآن يا سقراط: أليس ما يمنعك من الخروج من هنا هو مراعاتك لى ولصحابك الآخرين؟ وأن "المخبرين"(١٥) سيسببون لنا المضايقات إذا نحن اختطفناك من هنا؟ وأننا سنكون مضطرين إلى التضحية بكل ما نملك أو بالكثير من النقود أو تحمل غير ذلك مما شابه؟ إن كان [٤٥أ] هذا هو ما تخشاه فدع عنك ذلك. فمن واجبنا، أليس كذلك، أن نخاطر هذه المخاطرة منقذين لك، بل، إن وجب الأمر، أن نخاطر مخاطرة أكبر منها. فاسمع كلامى، ولا تقل لى شيئاً آخر. **٤٥**

سقراط: أنا أضع فى اعتبارى كل هذا يا أقريطون، ولكنى أرعى كذلك إلى أشياء أخر(١٦).

---

(١٤) المتخصص القادر على فعل الشيء قصداً، وليس بالصدفة، قادر أيضا على فعل ضده، لأن العلم علم بالشيء وبضده معا. انظر محاورة "هبياس الصغرى".

(١٥) sukophantai. وكانت الكلمة تدل فى الأصل على من يشى بمصدرى التين من منطقة أثينا، وكان تصديره ممنوعا، ثم عمم المعنى على من احترفوا الوشاية. وقد ساد الفساد هذه "المهنة" فى عهد تدهور الديمقراطية.

(١٦) وسيأتى تفصيلها.

أقريطون: فلا يخيفنك إذن شيء من هذا، لأن البعض لا يطلب كثيراً من النقود من أجل إنقاذك وإخراجك من هنا. وبعد هذا، ألا ترى أن أولئك "المخبرين" لا يغالون فيما يطلبون، وأنه لا يجب الظن أن المرء يحتاج معهم إلى الكثير من النقود؟[١٧] [ب] واعتمد، من جهة أخرى، على ثروتى، وهى، فيما أعتقد، كافية. وبعد هذا، فإنك إن كنت ترى، رعاية منك لمصالحى، أننى لا يجب أن أصرف ثروتى، فإن هؤلاء الغرباء الذين[١٨] هنا مستعدون أن ينفقوا. بل إن هناك واحداً منهم قد اصطحب معه ما يكفى من النقود، ذلك هو سيمياس الطيبى [من طيبة]، وكيبيس مستعد أيضاً وكثيرون جداً آخرون. وهكذا، كما كنت أقول، فلا تصرفن النظر عن النجاة بنفسك خوفا من هذه الاعتبارات، ولا، كما كنت تقول أمام المحكمة[١٩]، لأن الأمر سيكون صعباً عليك لأنك حينما تكون قد خرجت من هنا فلن تدرى ماذا أنت صانع بنفسك، [جـ] ففى كل مكان حيثما تذهب فى الخارج سيُحتفى بك، وإن شئت الذهاب إلى تساليا[٢٠]، فإن لى هناك أضيافاً سيعاملونك أحسن المعاملة وسيقدمون لك حمايتهم، بحيث إنه لن يمسَّك شيء من التساليين.

وهناك هذا كذلك يا سقراط: فلا يبدو لى عدلا، فيما تعتزم من أمر، أن تسلم نفسك بينما فى مقدورك النجاة، ولا أن تجتهد ليحصل لك كل هذا الذى كان على أعدائك أن يجتهدوا ليحصل، وقد اجتهدوا فيه فعلا لرغبتهم فى أن يقضوا عليك. إلى جانب هذا كله، فإنى اعتقد أنك تخون أبنائك[٢١] إذ تتعجل وتتركهم راحلا، بينما أنت [د] قادر على تربيتهم وعلى إتمام تعليمهم. وفيما يخص مسئوليتك أنت، فإنك تترك سلوكهم يخضع للمصادفة، أما ما سيلاقونه فهو، بحسب المحتمل، ما يحدث فى العادة لليتامى فى حالة اليتم. والواجب هو إما عدم إنجاب أطفال وإما التعب معهم وتربيتهم وتعليمهم، أما أنت فأراك مفضلا الطريق الأيسر. ولكن

---

(١٧) العصر عصر فساد، وبقدر تفشى الرشوة يكون تفشى الفساد.

(١٨) أى الذين تعرفهم.

(١٩) انظر "الدفاع"، ٣٧جـ - هـ.

(٢٠) والثاء أدق، ولكنها أثقل فى العربية. منطقة فى شمال اليونان كانت تحت سيطرة إسبرطة عدوة أثينا. انظر ٥٣د وما بعدها. "الأضياف" عائلات أو أفراد من مدن مختلفة لهم حقوق الضيافة المتبادلة فيما بينهم بحسب العرف.

(٢١) كان لسقراط أبناء ثلاثة، صبى وطفلان.

الطريق الذى يجب عليك تفضيله هو الطريق الذى يأخذه رجل الخير والشجاعة، خاصة وأنت تقول أنك كنت معنياً بالفضيلة طوال حياتك. وإنى، فيما يخصنى، [هـ] لأخجل من أجلك، ومن أجلنا نحن صحابك، أمام فكرة أن يظن أن الأمر الذى يحدث لك مرده إلى عدم رجولة منا: دخول القضية أمام المحكمة على نحو كان يمكن تجنبه ولم نتجنبه، الطريقة نفسها التى سارت عليها القضية، وأخيراً تلك النهاية، نهاية "العمل" كما قد يقال فى سخرية، التى تجعل البعض يظن أنها أفلتت منا نتيجة الجبن وعدم الرجولة، [٤٦أ] فلا نحن أنقذناك ولا أنت نجوت بنفسك، وذلك فى الوقت الذى كان هذا ممكناً فعلا، فقط إذا كنا استطعنا أن نساعدك أية مساعدة ولو يسيرة. كل هذا إذن يا سقراط، انظر: أليس فيه إلى جانب المضرة عار عليك وعلينا؟ فتدبر الأمر إذن وقرر. بل إنه لم يعد هناك متسع للتدبر، فالوقت وقت قرار اتخذ وكان، وليس أمامك إلا اختيار واحد، لأن كل هذا يجب أن ينفذ فى الليلة المقبلة، أما إن تأخرنا عن ذلك، فلن نكون بمستطيعين عمل شىء. فأيا ما يكون الوضع، أيا سقراط، فأطعنى ولا تفعل شيئاً آخر.

٤٦

[ب] سقراط: يا أقريطون العزيز، لكم سيكون حماسك عظيم القيمة لو كان مصحوبا بالصواب، أما إن لم يكن فسيكون بنفس هذا القدر خطراً. فلننظر معاً إن كان ينبغى علينا أم لا أن نسلك على ذلك النحو. ذلك أننى، ليس اليوم فقط بل طيلة حياتى، لا أطيع شيئاً آخر فىّ إلا الحجة[٢٢] التى تبدو لى الأفضل بعد التأمل. وكل الحجج التى قلتها من قبل لا أجد الآن أنه بمقدورى أن أضعها جانبا لأن قدرا سيئاً قد حل بى، بل إنها لقائمة أمامى هى هى بلا تغيير على التقريب[٢٣]، [جـ] وإنى لأبجلها وأحترمها كما كنت أبجلها وأحترمها. وما دام ليس لدينا، فى الموقف الحاضر، شىء أفضل من هذا نقوله، فاعلم أننى لن أخضع لك حتى لو أفزعتنا قوة الكثرة، أكثر مما تفعل الآن، بالفزاعات[٢٤]، وكأننا أطفال، مهددة بالسجن وبالموت وبالتجريد من الأموال. فما هو إذن أنسب الطرق للنظر فى الأمر؟ ماذا لو بدأنا

---

(٢٢) logos .

(٢٣) لأن العقل مصدرها، والعقل عند سقراط ثابت. وفى العبارة التالية استخدمنا فعل "يبجل"، وهو أدق الأفعال ترجمة لليونانى المقابل له، لأنه يعنى معا عظم القدر وكبر السن كالفعل اليونانى تماما.

(٢٤) أو ما يسمى "بخيال المآته" الذى يوضع فى الحقول لإخافة الطيور.

بالرجوع إلى تلك الحجة التى ذكرتها بخصوص "ما سيقال"؟ هل كان من الصواب أم لا أن نقول فى كل مرة[٢٥] [د] إن هناك آراء يجب أن نقبلها وأخرى لا؟ أم أن هذا القول كان أكثر صواباً قبل الحكم علىّ بالموت، أما الآن فإنه يتضح لنا كل الوضوح أننا قلناه عفوا ومن أجل مجرد الكلام، وأنه كان فى الواقع لعبا وثرثرة[٢٦]؟ إننى شخصياً أرغب فى أن أفحص معك يا أقريطون إن كان يبدو لى أن ما قلناه يتغير بحكم الوضع الذى أنا فيه الآن، أم أنه يبقى ثابتاً هو هو، وهل نتركه جانبا أم نطيعه ونسير عليه. فيقال إذن، على وجه التقريب، إن كنت أتذكر جيداً، على طريقة من يعتقدون أنهم لا يقولون شيئاً فى الهواء[٢٧]، يقال، كما كنت أقول منذ لحظة، إنه من بين الآراء [هـ] التى يعتقد فيها الناس، هناك البعض منها يجب أن يحسب له أكبر حساب، والبعض الآخر لا. بحق زيوس، يا أقرطون، ألا يبدو لك أن هذا قول حسن؟ فأنت، والأمور الإنسانية هى على ما هى عليه، بمعدى عن أن يدهمك [٤٧أ] الموت غداً، وحضرة الهول لا تفلت منك جنانك. فانظر **٤٧**
إذن: ألا يبدو لك أن هناك دواعى كافية للقول بأنه لا يجب احترام كافة آراء البشر بل بعضها فقط والبعض الأخر لا، ولا احترام آراء كل البشر بل أراء البعض منهم فقط وآراء البعض الآخر لا؟ أليس هذا قولاً حسناً؟

أقريطون: هو حسن.

سقراط: أو ليست الآراء الطيبة هى التى تحترم، أما السيئة فلا؟

أقريطون: بالطبع.

سقراط: والطيبة، أليست آراء ذوى العقل، أما السيئة فآراء عديمى العقل؟

أقريطون: وكيف لا؟

سقراط: بعد هذا فلنتذكر الأساس الذى بُنى عليه هذا القول. هل يهتم الرجل الرياضى [ب] فى تمرينه بمديح أو نقد أو رأى أى شخص كان، أم فقط بثناء ونقد ورأى شخص وحيد، هو ذلك الذى يحدث أن يكون طبيباً أو معلما رياضياً؟

---

(٢٥) أى خلال حياة سقراط وأقريطون.

(٢٦) قارن "فيدون"، ٧٠ ب – جـ.

(٢٧) حرفيا: "يقولون شيئا"، أى الجادون الذين يعرفون معانى ما يقولون.

أقريطون: بهذا الشخص وحده.

سقراط: إذن هو سيخشى نقد هذا الرجل وحده ويمتلأ فرحا بثنائه، وليس نقد الكثرة هو الذى سيخشاه أو ثناؤها هو الذى سيفرح به.

سقراط: إذن، هو سيسلك سلوكه ويتمرن ويأكل ويشرب بحسب هذا الرجل الوحيد الذى يشرف عليه والذى هو خبير بهذه الأمور، وليس بحسب رأى كل الآخرين مجتمعين.

اقريطون: هو كذلك.

[جـ] سقراط: اتفقنا إذن على هذا. ولكن إذا حدث وعصى هذا الرجل الوحيد ولم يعبأ برأيه ولا بثنائه، بل احترم أقوال الكثرة ومن لا يفقهون فى الأمر شيئاً، ألن يناله شر؟

أقريطون: بلى.

سقراط: ولكن أى شر هذا؟ وسيصل إلى أى حد؟ وإلى أى جانب من جوانب الشخص العاصى؟

أقريطون: واضح أنه سيصيب الجسد، فهو ما سيُحطم.

سقراط: أحسنت قولاً. أو ليس الأمر كذلك يا أقريطون بخصوص الباقى من الأمور (وذلك حتى لا نتوقف عند كل شىء) وخاصة العدل والظلم والمعيب[٢٨] والجميل والخير والشر، وهى الأشياء التى نتدبر بشأنها الآن، فإنه يجب علينا إما [د] أن نتبع ونخشى رأى الكثرة وإما رأى ذلك الرجل الوحيد، إن كان هناك خبير فى الأمر، وهو الذى يجب علينا أن نحترمه وأن نخشاه أكثر من كل الآخرين مجتمعين؟ وإذا كنا لن نطيعه فإننا سنفسد ونحطم ذلك الشىء الذى يصير أفضل بالعدل ويفسد بالظلم. أليس الأمر كذلك[٢٩]؟

(٢٨) أو "القبيح". ولهذه الكلمة، فى اليونانية والعربية وغيرهما، جانب أخلاقى كذلك، تماما ككلمة "جميل".

(٢٩) لاحظ البعض عن حق أن كلمة "النفس" لا تظهر هنا، مما قد يدل على انتماء المحاورة إلى مرحلة مبكرة من مراحل تطور أفلاطون لم تكن فيها فكرة "النفس" تحتل المكان الهام الذى ستحتله من بعد. انظر كذلك ٤٨أ ١. ولكن قارن "الدفاع" حيث فكره النفس فكرة أساسية.

أقريطون: أعتقد من جانبى أنه كذلك يا سقراط.

سقراط: فقل لى إذن: إذا كنا سندمر ما يتحسن بالصحة ويفسد بالمرض، مطيعين رأى الذين ليسوا خبراء فى الموضوع، فهل سيكون من الممكن لنا العيش [هـ] مع هذا الذى هو فاسد؟ وهو هنا الجسد بالطبع، أليس كذلك؟

أقريطون: نعم.

سقراط: فهل سيكون من الممكن لنا العيش مع جسد سيء فاسد؟

أقريطون: أبداً.

سقراط: وهل سيكون من الممكن لنا العيش مع شيء قد فسد، الظلم يخربه والعدل يفلحه، أم أننا سنعتبر أقل من الجسد قدراً ذلك الذى، من بين [٤٨أ] ما ينتمى إلينا، يتصل بالظلم والعدل؟ **٤٨**

أقريطون: أبداً.

سقراط: بل هو أشرف منه؟

اقريطون: كثيراً.

سقراط: إذن، يا أقريطون الفاضل، فلا يجب علينا أن نشغل بالنا بما سيقوله الجمهور عنا، بل بما سيقوله ذلك الخبير بأمور العدل والظلم، ذلك الرجل الوحيد، وكذلك بما ستقوله الحقيقة نفسها(٣٠). وهكذا فإنك فيما سبق قد دخلت إلى الأمر مدخلا غير صحيح، حين قدمت بأنه يجب علينا أن نضع فى بالنا رأى الكثرة فى العدل والحسن والخير وأضدادها. وقد يقول قائلك: "ولكن أليس الواقع أن الكثرة بمستطاعها القضاء علينا؟".

[ب] اقريطون: بالطبع هذا هو نفسه ما سيقال. ولقد صدقت يا سقراط حين ذكرت أن هذا قد يقال.

سقراط: ورغم هذا، يا أقريطون المدهش، فإن المبدأ الذى فصلناه يظل، فى

(٣٠) فالخبير أو المتخصص أو الفنى سيكون مصدر الحقيقة أو ممثلا لها وناطقا بها. وهكذا فإن الخبير وليس الكثرة هو من يجب أن يتبع، وهو المبدأ الذى سيشار إليه فى ٤٨ ب فى أولها.

رأيى، هو هو كما كان من قبل. وانظر الآن من جهة أخرى إن كان هذا المبدأ يبقى هو الآخر أم لا: أن المهم ليس هو الحياة بل الحياة الطيبة.

أقريطون: بل يبقى.

سقراط: وأن الطيب والجميل والعادل كلها شيء واحد[٣١]، أيبقى هذا أيضاً أم لا؟

أقريطون: بل يبقى.

سقراط: إذن، فبناء على هذا الذى اتفقنا عليه، فلننظر إن كان عدلا أن أحاول الخروج من هنا بدون أن يطلقنى [جـ] الأثينيون أم أنه ليس عدلا. فإن بدا لنا عدلا، فنحاوله، وإلا فلنعدل عنه. أما عن تلك الملاحظات التى ذكرتها، بخصوص إنفاق المال والسمعة وتربية الأطفال، فإننى أخشى أن تكون، على الحقيقة، اعتبارات أولئك الذين يحكمون عليك بالإعدام بلا روية[٣٢]، وقد يعيدوك إلى الحياة إن كان ذلك فى مستطاعهم، أقصد الكثرة. أما نحن، حيث إن هذا هو ما يبرهن عليه العقل، فلن نعتبر إلا ما كنا نقوله منذ قليل: هل سنسلك سلوكاً عادلا إن نحن أعطينا نقوداً [د] لهؤلاء الذين سيخرجوننى من هنا (ومع النقود اعترافنا بالجميل)، وإن نحن أخرجنا من السجن أحداً أو خرجنا بأنفسنا[٣٣]؟ أم أننا إن ارتكبنا كل هذا فإننا سنكون فى الحقيقة غير عادلين؟ أو إذا حدث وبدا أننا سنقوم بأعمال غير عادلة، فلن يكون مما نضعه فى حسابنا إن كان ينبغى علينا أن نموت ببقائنا هنا وبدون أن نحرك ساكنا، أو أن نتحمل أى شيء آخر فى سبيل تجنب ارتكاب الظلم؟

أقريطون: حسنا تكلمت يا سقراط، فيما بدا لى، ولكن فلننظر ماذا نفعل.

سقراط: فلننظر معاً، يا صاحبى الطيب، وإن كان لديك ما تقوله [هـ] مخالفا لما أقول، فعارضنى وسأسير على كلامك[٣٤]، وإلا فكف من الآن، يا أقريطون السعيد، عن تكرار وتكرار نفس الكلام، من نحو أنه ينبغى علىّ أن أذهب من هنا

(٣١) مبدأ وحدة الفضيلة من المبادئ السقراطية الهامة. انظر محاورتى "بروتاجوراس" و"مينون".

(٣٢) حرفيا فى الأصل: "فى سهولة".

(٣٣) سيكون هذا حال أقريطون ثم حال سقراط على التوالى.

(٣٤) ما دام العقل سيقضى به.

مخالفا للأثينيين. ذلك أنه يهمنى كثيراً أن أجعلك تقتنع بسلوكى هذا وألا أخالفك.
٤٩ فانظر الآن إن كانت بداية فحصنا [٤٩أ] سترضيك، وحاول الإجابة عن أسئلتى بحسب ما تعتقد على الدقة[٣٥].

أقريطون: سأحاول.

سقراط: هل تقول بأنه لا يجب، مهما يكن الحال، أن نكون بإرادتنا ظالمين؟ أم بأن نكون ظالمين فى بعض الأحوال وفى البعض الآخر لا؟ أم بأن ارتكاب الظلم، على الإطلاق، ليس خيراً ولا حسناً، كما اتفقنا كثيراً فيما سبق[٣٦]، وكما كنا نقول منذ لحظة؟ أم أن كل ذلك الذى اتفقنا عليه من قبل قد تبخر فى هذه الأيام القليلة الأخيرة؟ وهل خفى علينا، خلال هذه المدة الطويلة، يا أقريطون، ونحن المتقدمون فى السن، [ب] أننا فى محاوراتنا الجادة فيما بيننا، لم نكن نختلف فى شىء عن الأطفال؟ أم أن الأمر بالأحرى هو كما كنا نقول فيما بيننا. سواء اعترفت الكثرة بذلك أم لا، ومهما يكن ما يصيبنا على أيديها، قاسيا كان ذلك أم طيبا، فإنه يبقى رغم هذا أن الظلم للظالم سوء وعار فى كل الأحوال؟ هل نقول بذلك أم لا؟

أقريطون: نقول بذلك.

سقراط: فلا يجب إذن أن نرتكب الظلم أبداً؟

أقريطون: مؤكد أن لا.

سقراط: ولا أن نرتكب الظلم رداً على الظلم، كما تعتقد الكثرة، حيث إنه لا يجب أبداً أن نرتكب الظلم.

[جـ] اقريطون: يظهر أن لا.

سقراط: وماذا إذن؟ هل يجب عمل السوء أم لا؟

أقريطون: لا شك أنه لا يجب ذلك يا سقراط.

---

(٣٥) انظر كذلك ٤٩ د ١. هذا مبدأ أساسى من مبادئ الحوار السقراطى. قارن مثلا القسم الثالث من محاورة "جورجياس" (٤٨١ ب وما بعدها).

(٣٦) أى خلال أحاديثهما السابقة.

سقراط: كيف؟ والرد بعمل السوء بعد تلقى السوء، هل هو عدل كما تقول الكثرة، أم أنه ليس عدلا ؟

أقريطون: ليس عدلا على الإطلاق.

سقراط: ذلك أنه لا يكاد يكون هناك فرق بين فعل السوء فى حق إنسان وبين الظلم.

أقريطون: أنت تقول الحق.

سقراط: فلا يجب، إذن، رد الظلم بالظلم، ولا فعل السوء فى حق أى شخص من الناس، مهما يكن ما نعانيه على أيديهم. وانتبه، [د] يا أقريطون، وأنت توافقنى على هذا، أنك لن تخالف فكرك [الحقيقى]، لأننى أعلم أنهم قلة هؤلاء الذين يعتقدون فى هذا والذين سيعتقدون فيه. وبين هؤلاء الذين يعتقدون فيه وأولئك الذين لا يعتقدون ليس هناك من تفاهم متبادل، وليس لهم إلا أن يتبادلوا الاحتقار نظراً إلى المواقف المختلفة التى ينتهون إليها. فانظر إذن، وبعناية كبيرة، إن كنت أنت أيضاً تشاركنى فيما أذهب إليه وإن كنت معى فيما أفكر. ولنبدأ فى تشاورنا من هذا: أنه ليس من الصواب على أى شكل لا ارتكاب الظلم ولا رد الظلم بالظلم ولا، عندما نعانى الظلم، أن نثأر بالرد بالشر. أم أنك تنبذ هذا المبدأ ولا تشاركنى رأيى بشأنه؟ [هـ] وفيما يخصنى، فإنى اعتقد فيه منذ زمن طويل، والآن كذلك. فإذا كنت أنت على رأى آخر، فقله وأخبرنى به، أما إن كنت تبقى على ما رأيت من قبل، فانصت لما يتبع.

أقريطون: بل إنى لثابت عليه وأفكر كما تفكر، فواصل كلامك إذن.

سقراط: سأقول إذن ما يتبع السابق، أو بالأحرى سأسألك. إذا وافق إمرؤ شخصاً آخر على أن شيئاً ما عدل، فهل سيكون من الواجب عليه أن يفعله أم سيتخلى عن كلمته؟

أقريطون: بل يجب عليه أن يفعله.

٥٠ سقراط: فانظر، إذن، بناء على هذا، فيما يلى. إذا خرجنا من هنا، [٥٠أ] على غير إرادة المدينة، أفلن نفعل سوءاً فى حق البعض، فى حق هؤلاء أنفسهم. الذين كان من الواجب ألا نفعل فى حقهم سوءاً على الإطلاق، أم لا؟ وهل سنبقى على ما اتفقنا على أنه عدل أم لا؟

أقريطون: لا أملك الإجابة عن سؤالك يا سقراط، فأنا لا أفهمه.

سقراط: فانظر إلى الأمر على هذا النحو. افترض، فى اللحظة التى نكون فيها على وشك الفرار من هنا (أو استخدم إن وجب أى اسم آخر لهذا)، أن قوانين المدينة والدولة حضرت ووقفت أمامنا(٣٧) متسائلة: "قل لى يا سقراط: ما نيتك أن تفعل؟ [ب] وهل يعنى هذا السلوك الذى تعتزمه إلا أن يكون تحطيما لنا نحن القوانين، بل ولكل المدينة بقدر ما فى وسعك؟ أم تعتقد أن تلك المدينة(٣٨) فى مقدورها الاستمرار ولا تنقلب رأسا على عقب إذ أصبحت الأحكام الصادرة منها بغير ذات إلزام، حتى أن الأفراد العاديين يمحونها ويلقون بها على الأرض عدما؟" بماذا نجيب يا أقريطون على تلك التساؤلات وعلى غيرها مما شابه؟ فالكثير يمكن أن يقال، وخاصة إذا كان المرء خطيبا، دفاعا عن هذا القانون المحطم، والذى يحتم أن تكون الأحكام الصادرة من المحاكم نافذة المفعول؟ [جـ] هل نجيب على ذلك بأنه: "لقد كانت الدولة ظالمة فى حقنا، ولم تقرر العدل بحسب ما ينبغى"، هل هذا هو ما سنقول أم شيئاً آخر؟

أقريطون: هو بعينه، بحق زيوس، يا سقراط.

سقراط: وماذا إذا تحدثت إلينا القوانين قائلة: "هل هذا هو ما اتفقنا عليه نحن وأنت يا سقراط؟ ألا يجب أن تحترم الأحكام التى تصدرها المدينة؟" وإذا تعجبنا مما هى قائلة، فلربما قالت: "يا سقراط، لا تتعجب مما نقول، بل أجب، ما دامت عادتك أن تسير على طريقة السؤال والجواب. فلننظر، فى الحق، بم تتهمنا [د] حتى تشرع فى تحطيمنا نحن القوانين والدولة كذلك. وقبل كل شىء، ألسنا نحن الذين أخرجناك إلى الوجود، وعن طريقنا أخذ أبوك أمك زوجة فأنجبك؟ فقل إذن: هل تلوم تلك القوانين من بيننا، التى تخص الزواج، بأنها، على نحو ما، ليست حسنة؟" وسأقول: "ليس عندى لوم عليها". "وتلك التى تخص تربية الطفل وتعليمه ذلك التعليم الذى نلته أنت كذلك؟ هل أحسنت دورها القيادى تلك القوانين من بيننا

---

(٣٧) حول تشخيص القوانين، انظر المقدمة.

(٣٨) حينما تقول المدينة فإنها تقصد كذلك الدولة. وأحيانا ما سنستخدم هذا الاسم الأخير مباشرة ترجمة لـ polis.

التى تنظم ذلك، حينما أوصت أباك بأن يعلمك [هـ] الموسيقى والرياضة[٣٩]؟" وسأقول: "بل أحسنت". "عظيم. ها أنت إذن قد أنشئت وربيت وعلمت، فهل تجرؤ بعد هذا على ادعاء، أولاً، أنك لست لنا ابناً وعبداً، أنت ومن يأتى من صلبك؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل تعتقد أنك كالقرين لنا فى الحقوق؟ وكل ما يمكن أن نشرع فى عمله بصددك، هل تعتقد أنه من حقك أن تفعل مثله فى حقنا؟ وهل كانت هناك بينك وبين أبيك مساواة فى الحقوق، وكذلك بينك وبين سيدك فى حالة ما إذا حدث **٥١** وكان لك سيد، حتى ترد عليه بفعل ما فعله فيك، [٥١أ] وإن سمعت منه سوءاً ترد بالمثل عليه، وإن صفعك تصفعه، إلى آخره من نفس هذا القبيل، وهو كثير؟ فهل سيسمح لك بهذا فى حق الوطن والقوانين، بحيث إنه، إذا شرعنا فى القضاء عليك معتقدين ذلك عدلاً، سيكون من الممكن لك بالمثل أن تحاول بقدر ما فى وسعك، رداً على ذلك، القضاء على القوانين وعلى الوطن، وأن تقول إنك، فاعلا هذا، تسلك سلوكاً عادلاً، وأنت المعنى بالحقيقة وبالفضيلة؟ فأى حكيم[٤٠] أنت إذن حتى يغيب عنك أن الوطن، بالقياس إلى الأم والأب وكل الأسلاف الآخرين، أحق بالتكريم وأعظم وأقدس، [ب] وأن له المكانة الأعظم عند الآلهة وعند من كان ذا عقل من البشر؟ وأنه يجب الخشوع والانقياد وإحسان القول له، إذا غضب، أكثر مما يكون الحال مع الأب؟ وأنه يجب أحد شيئين: إما إقناعه وإما العمل بما يأمر، وفى هذه الحالة يجب تحمل ما أمر أن يُتحمل مع حفظ الهدوء، سواء أكان أمره أن يُضرب المرؤ أو أن يقاد إلى الحرب ليجرح أو ليلقى المنية؟ وأن ذلك يجب أن يُفعل لأنه هكذا يكون العدل؟ وأنه لا يجب أن يتزحزح المرء عن مركزه ولا أن ينكص عنه ولا أن يهجره، بل، فى الحرب، أمام المحكمة وفى كل مكان، يجب أن يؤدى المرء ما تأمر به [جـ] الدولة ويأمر به الوطن، اللهم إلا إن أقنعه بالوسائل التى يسمح بها القانون[٤١]؟ أما اللجوء إلى العنف، فإنه إذا كان كفراً فى حق الأم أو الأب، فهل سيكون أقل من ذلك إذا كان بإزاء الوطن؟" بم سنجيب على هذا، يا أقريطون؟ هل قالت القوانين الحق أم لم تقل؟

---

(٣٩) وهما عنصرا التربية اليونانية الأساسيان.

(٤٠) لاحظ أن القوانين تعتبر أن سقراط "حكيم" (sophos).

(٤١) فى الأصل: "العدل" أو "العدالة". والمقصود الوسائل المشروعة.

أقريطون: أنا أعتقد أنها قالت الحق.

سقراط: وربما استطردت القوانين قائلة: "فانظر الآن يا سقراط، ما دمنا قد قلنا الحق، إذا لم يكن، وأنت تشرع الآن فيما تشرع فيه، عدلا فى حقنا ما أنت بسبيله الآن. إننا نحن الذين أنشأناك وربيناك وعلمناك، ولقد أشركناك، [د] أنت وبقية المواطنين أجمعين، فى كل ما كان فى مستطاعنا من الخيرات. ولكنا أعلنا سماحنا، لكل من شاء من الأثينيين، أن يفعل هذا: بعد قبوله[٤٢] مواطنا أثينيا، وبعد أن يأخذ علماً بأمور السياسة فى المدينة[٤٣]، وبنا نحن القوانين، فإن له، إن كان لا يرضى بنا، أن يخرج حاملا معه ما يمتلك، ذاهباً حيث شاء. وما من قانون بيننا يقف عائقا دون أن يذهب من يشاء منكم إلى إحدى المستعمرات[٤٤] أو يحرم ذلك، إذا لم نعجبه نحن ولا الدولة، أو أن يهاجر إلى مكان آخر يقيم فيه إلى جوار أهل ذلك المكان[٤٥]، ولا يقف عائقا دون أن يذهب حيث [هـ] شاء حاملا معه ما يملك ولا يحرم ذلك، أما ذلك الذى يبقى معنا، مدركا طريقتنا فى إصدار الأحكام وكيف ندبر غير ذلك من شئون المدينة، فإننا نقول على الفور إنه وافق بمحض سلوكه هذا على أن يعمل فى المستقبل ما بحسب قد نأمر به نحن، وإن عصانا فإنا نقول إنه قد أذنب مرة ومرتين وثلاثاً، فهو يعصينا ونحن الذين أخرجنا إلى الوجود، ويعصينا ونحن الذين ربيناه، ويعصيناه وهو الذى وافق على طاعتنا، فلا هو يقتنع ويطيع ولا هو يعمل على إقناعنا، إذا حدث وكنا فاعلين شيئاً غير جميل. [٥٢أ] وبينما نحن نقترح **٥٢** وحسب، ولا نفرض فرضا، عمل ما نأمر به، بل يكون عليه أن يأخذ بشىء من اثنين: إما إقناعنا وإما التنفيذ، فإنه لا يفعل لا هذا ولا ذاك"[٤٦].

---

(٤٢) أى عند بلوغه الثامنة عشرة. وبعد ذلك يمر بمراحل معينة منها التدريب العسكرى خلال عامين، وبعده يقسم بالخضوع للقوانين والدفاع عن الدولة والدستور وعبادة الهة المدينة (وهكذا تصبح الديانة أمرا مدنيا أى سياسيا).

(٤٣) ربما كان المقصود التدريبات المنوعة التى يتلقاها الشباب.

(٤٤) أى المدن الجديدة التى أسستها كل مدينة على طول البحر المتوسط وعرضه خاصة، والتى تظل على ارتباط ما بالمدينة الأم، على الخصوص.

(٤٥) ولكنه لن يصبح "مواطنا" له كل حقوق المواطنين الأحرار فى المدينة الجديدة التى سينتقل إليها، بل سيأخذ موضعا وسطا بين المواطن الحر والعبد.

(٤٦) يجب أن نظل متذكرين طوال حديث القوانين أن القوانين كانت قلب كل مدينة، حتى أن أول خطوة فى إنشاء مدينة جديدة، وما أكثر ما كان ذلك، كانت عمل دستور لها (politeia) يحدد مبادئ التعامل والحقوق فى المدينة (polis) ويقبله المواطنون (politai). راجع ٥٣أ.

"هذه هى يا سقراط، فيما نقول لك، التهم التى ستتعرض لها إن كنت ستفعل ما يدور برأسك. ولن تكون أقل الأثينيين تعرضا لها، بل ستتعرض لها أكثر من أى أثينى آخر". وإذا قلت لها: "ولم بحق زيوس؟"، فربما عنفتنى قائلة إننى عقدت معها، أكثر من أى أثينى آخر، هذا الاتفاق، وقد تذكر: [ب] "يا سقراط، إن لدينا براهين قوية على هذا: أنّا نعجبك نحن والمدينة. فما كان يمكن أن تبقى فيها أكثر من الأثينيين الآخرين أجمعين إلا إذا كانت تعجبك أكثر من أى شخص آخر، حتى أنك لم تخرج منها لا للذهاب لمشاهدة أحد الأعياد، إلا مرة فى البرزخ(٤٧)، ولا إلى أى مكان آخر، اللهم إلا للذهاب إلى الحرب هنا أو هناك، ولم تقم، كما يفعل الرجال الآخرون، برحلة إلى الخارج(٤٨)، ولم تأخذك الرغبة فى معرفة مدينة أخرى أو قوانين أخرى، بل اكتفيت بنا [جـ] وبمدينتنا. وهكذا فضلتنا تفضيلا شديداً، وقبلت أعظم القبول أن تحيى حياة المواطن بحسبنا. ومن بين علامات كثيرة على أن المدينة أعجبتك، هناك على الأخص أنك أنجبت فيها أطفالا، بل وهناك ما هو أكثر من هذا: فأثناء محاكمتك نفسها، كان من الممكن أن تحدد النفى عقوبة تستحقها إن كنت أردت(٤٩)، وبهذا كنت ستفعل، مع موافقة المدينة، ما تشرع فيه اليوم بغير موافقتها، ولكنك يومها تباهيت بأنه لا يعنيك إن كان عليك أن تموت، بل إنك، فيما أعلنت أنت، كنت تفضل الموت على النفى: ولكن ها أنت اليوم، بدون أن تستحى من هذا الذى قلت، وبدون أن تهتم بنا نحن القوانين، ها أنت تقوم بما [د] قد يقوم به أخس العبيد(٥٠)، وذلك حين تحاول أن تهرب خفية مخالفا العهود والاتفاقات التى عقدتها معنا على أن تسلك سلوك المواطن. فأجبنا إذن أولا حول هذا: هل نقول الحق حين نعلن أنك اتفقت على الحياة حياة المواطن بحسبنا، وعلى أن يكون ذلك بالأفعال وليس بالأقوال، هل هذا صحيح أم لا؟". فماذا سنقول رداً على هذا يا أقريطون، هل هناك من سبيل إلا أن نوافق على أن ذلك حق؟

(٤٧) أى إلى برزخ كورنثه، وهى مدينة تقع إلى الشرق من أثينا.
(٤٨) حول كل هذا، انظر "الدفاع"، ٢٨هـ، "المأدبة"، ٢١٩هـ، ٢٢٠هـ وما بعدها، "فايدروس"، ٢٣٠د.
(٤٩) انظر "الدفاع"، ٣٧جـ.
(٥٠) أى الهرب خفية وربما متنكرا، انظر ٥٣د.

أقريطون: بالضرورة يا سقراط.

سقراط: وهى قد تستمر تقول: "فهل [هـ] تفعل الآن شيئا غير التغاضى عن العهود والاتفاقات المعقودة معنا نحن أنفسنا، والتى وافقت عليها لا تحت ضغط ولا مخدوعا، ولا مضطرا أن تتدبر فيها فى وقت سريع، حيث كان يمكن لك، أثناء سبعين سنة، أن ترحل إذا لم تكن الاتفاقات قد بدت لك عادلة، ولكنك لم تفضل لا إسبرطة ولا كريت، وهما اللتان تتحدث فى كل مناسبة عن حسن قوانينهما، ولا **٥٣** أية مدينة أخرى [٥٣ أ] من مدن اليونان أو مدن الأجانب، حتى لقد خرجت من هنا اقل مما يفعل العرج والعمى وغيرهم من المعوقين. فلكم تميزت عن كل أثينى آخر بإعجابك بالمدينة وبنا كذلك بالطبع، نحن القوانين: فمن ستعجبه مدينة بدون أن تعجبه قوانينها؟ وتأتى اليوم لتلقى إلى الأرض باتفاقاتك؟ بل إنك لحافظ لها يا سقراط إن استمعت إلينا، ولن تضع نفسك موضع السخرية بأن تترك المدينة.

"ففكر إذن: مخالفة تلك الاتفاقات والتقصير فى حق بعضها، بأى خير يعود ذلك عليك أنت أو على صحابك؟ [ب] أما أن صحابك هؤلاء يمكن أن ينفوا هم أنفسهم أو أن يحرموا من مدينتهم أو أن يفقدوا أملاكهم، فهذا أمر على وجه التقريب مؤكد. وفيما يخصك أنت، فإن كنت، أولاً، تريد الذهاب إلى إحدى المدن القريبة، مثل طيبة وميجارا[٥١]، ولكليهما فى الحق قوانين جيدة، فإنك ستذهب إليهما عدواً لدستورهما، وكل من يهمه أمر هاتين المدينتين سينظر إليك فى شك كمخرب للقوانين. أما قضاتك فإنك ستثبتهم على رأيهم، وسيعتقدون هكذا أنهم أصابوا فى [جـ] حكمهم حينما أدانوك، حيث إن كل مخرب للقوانين يُنظر إليه يقينا على أنه، على وجه التقريب، مفسد للشباب ولضعاف العقول من الرجال. فهل ستتهرب إذن من المدن ذات القوانين الجيدة وكذلك من المهذبين[٥٢] بين الرجال؟ وإن فعلت هذا، فهل ستستحق حياتك عندها أن تحيى؟ وإن اقتربت من هؤلاء

(٥١) الإشارة لا شك إلى مدينة سيمياس وكيبيس (انظر فوق ٤٥ب، و"أوطيفرون" ٦٠جـ) من جهة، ومن جهة أخرى إلى مدينة أوقليدس الميجارى، وهو من اتباع سقراط ("فيدون"، ٦٠جـ).

(٥٢) الكلمة اليونانية تأتى من الجذر kosm، الذى يدل أولاً على النظام، والخلق المهذب هو الخلق "المنظم".

الرجال بلا استحياء لكى تتبادل معهم الأحاديث ... ولكن أى أحاديث يا سقراط؟ هل تلك التى كنت تتبادلها هنا نفسها، حول أن الفضيلة والعدل هما أثمن ما لدى الإنسان، وكذلك حول القوانين وسيادة القوانين؟ وهل تعتقد أن قبح [د] سلوك سقراط لن يكون واضحاً؟ بل يجب أن تعتقد أنه سيكون كذلك.

"أما إذا ابتعدت عن هذه المناطق، فهل ستذهب إلى تساليا عند أضياف أقريطون؟ ولكن هناك أكبر فوضى وأعظم إباحة، وربما استمتع القوم بالاستماع إليك وأنت تحكى على أى نحو مضحك هربت من السجن، ملتفا بأى ملبس، إما حاملا لباسا من الجلد أو غير ذلك مما يحمى من يهربون هكذا فى الخفاء، وقد تغير كل مظهرك. ولكنك، وأنت الرجل العجوز، الذى لم يبق أمام حياته بحسب كل احتمال إلا القليل من العمر، [هـ] إنك ستُبدى قحة[٥٣] فى رغبتك الشديدة هذه فى الحياة مع مخالفة أعظم القوانين، ألن يوجد من يقول هذا؟ نعم، ربما، إن أنت لم تسىء إلى أحد، وإلا فلسوف تسمع يا سقراط الكثير مما لا يليق بك، ولسوف تعيش إذن منافقا لكل الناس كالعبيد. وماذا أنت فاعل فى تساليا غير حضور المآدب، وكأنك ما ذهبت إلى الخارج متجها إلى تساليا إلا لتأكل، وماذا ستفعل بعد **٥٤** هذا بتلك الأحاديث عن [٥٤أ] العدل وعن الفضائل الأخرى؟ ولكنك ربما تريد أن تعيش من أجل أولادك، من أجل تربيتهم وتعليمهم؟ فكيف؟ هل ستأخذهم إلى تساليا تربيهم هناك وتعلمهم جاعلا منهم غرباء[٥٤]، وحتى يشكروا لك هذا الصنيع، أم أنك لن تصطحبهم؟ فهل ستكون تربيتهم وتعليمهم أفضل وأنت حى[٥٥] منها لو لم تكن بجانبهم؟ فصحابك سيعنون بهم من أجلك: فهم إذا كانوا سيعنون بهم إن ذهبت إلى تساليا أفلن يعنون بهم إذا ذهبت إلى العالم الآخر؟ ذلك أنه إذا كان هناك من نفع قد يأتى [ب] على أيدى هؤلاء الذين يسمون صحابك، فيجب الاعتقاد أنهم فاعلون ذلك.

"هيا يا سقراط، أطعنا نحن الذين ربيناك، ولا تضع لا أطفالك ولا حياتك ولا أى شىء آخر فوق العدل، حتى تستطيع أن تدافع عن نفسك بهذا حينما تذهب إلى العالم

---

(٥٣) المقصود الجسارة فى تعدى الحدود.

(٥٤) ولكن بعيداً عنهم. وفى كلتا الحالتين، النفى أو الموت، فإنه سيكون بعيداً عنهم.

(٥٥) حيث إنه لن تكون لهم حقوق المواطنة هناك. انظر هامش ٤٥، فوق.

الآخر أمام من بيدهم الأمر هناك. فمن جهة، لن يبدو هنا فى هذا العالم سلوكك أفضل، لا لك ولا لأحد من لدنك، ولا أعدل ولا أتقى، ومن جهة أخرى، فعندما تصل إلى العالم الآخر فإنه لن يبدو أفضل كذلك، وإذا رحلت الآن [جـ]، إن كنت سترحل، مظلوماً، فلن تكون مظلوماً على أيدينا نحن القوانين، بل على أيدى البشر، أما إن كنت ستخرج على هذه الطريقة المخزية راداً على الظلم بالظلم، وعلى الشر بالشر، ومخالفا للاتفاقات وللعهود التى عقدتها أنت نفسك معنا، وفاعلا الشر لهؤلاء الذين يستحقونه أقل القليل، أى لك أنت ولأصدقائك ولوطنك ولنا نحن، فإننا سنغضب عليك نحن طوال حياتك، وفي العالم الآخر لن تستقبلك أخواتنا القوانين التى هناك استقبال الكرام، عالمين أنك شرعت فى تحطيمنا بقدر ما كان فى وسعك.

[د] "هيا يا سقراط، لا تطع أقريطون ولا تفعل ما يقول به أكثر من إطاعتنا نحن"[٥٦].

هذا هو، اعلمه جيد العلم يا أقريطون، يا صاحبى العزيز، ما أعتقد أنى أسمعه كما يعتقد "المجذوبون"[٥٧]، الذين يخرجون عن وعيهم، أنهم يسمعون موسيقى الناى. إن صوت هذه الكلمات يهدر ويطنطن فى داخلى، ويجعلنى غير قادر على سماع شىء آخر. ولكن اعلم: بقدر ما يترائى لى الآن، فإنك مهما تقل مما يخالف هذا، فإن كلامك سيذهب سدى. ورغم هذا، بالطبع، فإن كنت تعتقد أنك بمستطيع أن تأتى بشىء جديد[٥٨]، فتكلم.

أقريطون: ولكن ما لدى يا سقراط من شىء أقوله.

[هـ] سقراط: فدع الأمر إذن يا أقريطون، وليكن سلوكنا بحسب هذا، ما دام الإله يدل على هذا الطريق[٥٩].

انتهت محاورة " أقريطون "

---

(٥٦) أى مطيعا له وعاصيا لها.

(٥٧) عن الـ korubantes، انظر على الخصوص محاورة "إيون"، ٥٣٥هـ - ٥٣٦جـ.

(٥٨) أى بحجة جديدة.

(٥٩) قارن "الدفاع"، ٤٠أ وما بعدها.

الفهرس





هذا الكتاب

يضم هذا المجلد ثلاثا من أشهر محاورات أفلاطون التى تتحدث عن سقراط قبيل محاكمته، ثم عنه وهو يقدم دفاعه فى وجه التهم التى اتهم بها أمام محكمة أثينا، ثم وهو فى السجن رافضاً دعوة أصدقائه له للفرار منه، مفضلاً طاعة قوانين المدينة، ولو كانت ظالمة، من أجل أن يظل دائما متسقا مع المبادئ الأخلاقية التى ارتضاها لنفسه.

ولا يحتوى هذا الكتاب، وحسب، على مقدمات وافية شاملة لكل واحدة من هذه المحاورات الثلاث: "أوطيفرون"، "الدفاع"، و"أقريطون"، ولا هو يكتفى بمصاحبة المتن بشروح وتعليقات كثيرة، فلسفية وتاريخية ودينية ولغوية، تفسيراً لما يأتى فى النص من مصطلحات، بل إنه يقدم أول ترجمة باللغة العربية لهذه المحاورات عن النص اليونانى القديم مباشرة.

إن هذا الكتاب لهو أول عرض دقيق وثيق واف متخصص لنصوص هذه المحاورات الثلاث ولمضمونها ولمغزاها على السواء. وهو كتاب موجه إلى سائر مستويات القراء، من طالب المرحلة الثانوية إلى الباحث والمتخصص إلى القارئ الطلعة، ز الإخبار عن تاريخ فكر بعض الأمم القديمة، كما أن قراءته تعر علينا مشكلات أخلاقية وسياسية وفلسفية جديرة بالتأمل فيها.

أحمد غريب

